حروب لبنان في سينماه

احتلت الحرب، سواء الأهلية أو في مواجهة إسرائيل، حيزاً ملحوظاً من السينما اللبنانية خلال العقود الماضية. [26]

من هو النجم الأعظم في تاريخ التنس؟ هذا ما يبدي رأيه فيه المدرب العالمي **مايكُ ديغبي**، الذي عمل مع كبار النجوم.

31.30

الاثنين **7** أكتوبر/ تشرين الأول 2024 م 4 ربيع الآخر 1446 هـ □ العدد 3689 السنة الحادية عشرة

العربي الجديد

www.alaraby.co.uk

يوميّة سياسيّة شاملة تصدر من لندن

Monday **7** October 2024

العدوان الإسرائيلي على لبنان والقطاع

تدمير بضاحية بيروت وتوغل شمالي غزة

- نحو 40 غارة على الضاحية الجنوبية وصفت بالأعنف منذ بدء العدوان
- اشتباكات بين مقاتلي حزب الله وقوات الاحتلال لمنع التقدم البري جنوباً
- فصائل المقاومة الفلسطينية تتصدى للتوغل الإسرائيلي شمالي غزة
- الاحتلال يرصد إطلاق صواريخ من القطاع

التفاصيل صفحة 5.2

عام على الطوفان

مضى عام على عملية طوفان الأقصى في 7 أكتوبر 2023، التي أعقبتها حرب إبادة إسرائيلية على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة والضفة الغربية، امتدت إلى لبنان.

8.6، 13.10، 25.20

تواصل إسرائيل ارتكاب المجازر في قطاع غزة، خانيونس، أمس الأحد (عبد الرحيم الخطيب/الأناضول)

في العدد

02 | سياسة
تهديدات إيرانية وإسرائيلية بضربات متبادلة

09 | اقتصاد
الجزائر تطوي ملف انضمامها لـ«بريكس»

13 |

التعامل باليوان الصيني يقفز عالمياً 21,1%

17 | مجتمع

الاحتلال يدمر **مستشفيات غزة**

18 |

لن أعود كما كنت... **عن الإبادة والنقصان**

28 | رياضة

قرعة بطولتي أفريقيا... الأندية العربية تترقب مواجهات قوية

9 772056 637035 32

الحدث

انتخابات تونسية باهتة لتجديد ولاية قيس سعيّد

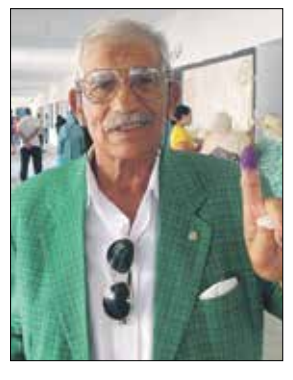

تونس ـ **العربي الجديد**

بسلاسة ومشاركة ضعيفة نسبياً، جرت الانتخابات الرئاسية التونسية، أمس الأحد، والتي من المتوقع أن تسفر عن فوز الرئيس قيس سعيّد بولاية ثانية، على منافسَيه رئيس حركة «عازمون» العياشي زمال القابع في السجن، والأمين العام لحركة الشعب زهير المغزاوي. وفتحت صناديق الاقتراع أمام الناخبين البالغ عددهم نحو تسعة ملايين و300 ألف عند الساعة الثامنة صباحاً (7,00 بتوقيت غرينتش) في أكثر من خمسة آلاف مركز لاختيار رئيسهم للسنوات الخمس المقبلة، لتصل نسبة الإقبال إلى 14,16% عند الساعة الواحدة بعد الظهر بعد خمس ساعات من بدء العملية. وقال المتحدث الرسمي باسم الهيئة العليا للانتخابات، محمد التليلي المنصري، في تصريح لـ«العربي الجديد»، إن النسبة تُعتبر مهمة مقارنة بالانتخابات التشريعية حيث كانت النسبة حينها 11% بعد إغلاق مراكز الاقتراع»، مبيناً أن «الانتخابات الرئاسية تحظى باهتمام التونسيين، وأن الاقتراع الحر في الخارج كانت له نتيجة إيجابية حيث وصلت النسبة إلى 10% حتى حدود الواحدة بعد الظهر، بينما كانت النسب ضعيفة ولا تتعدى 5% فقط في السابق». كما قدّر المنصري في تصريح لوكالة فرانس برس أن تتجاوز نسبة المشاركة 30% لتكون في مستوى النسبة التي سُجلت في عام 2022 خلال الاستفتاء على الدستور.

من جهتها، أكدت عضو الهيئة نجلاء العبروقي، في كلمة لها، أن «العملية الانتخابية تتم وفق القانون وبسلاسة ولم نُسجل خروقات جسيمة، في حين شهدنا تداول بعض النسب على صفحات التواصل الاجتماعي، ودعاية لأحد المرشحين». ولوحظ أن الفئة الأكثر حضوراً في مراكز الاقتراع كانت من المسنين والكهول، باستثناء نسبة قليلة من الشباب حضروا للتصويت. وقال الستيني عبد المجيد الاسكندراتي، في تصريح لـ«العربي الجديد»، إن «التصويت مهم لاختيار الرئيس الذي سيحكم البلاد والذي عليه أن يقوم بواجبه». وأكدت الشابة العشرينية، استبرق، والتي تدلي بصوتها لأول مرة، لـ«العربي الجديد» أن «الانتخابات الرئاسية مهمة لأنها ستحدد مصير البلاد».

تُظهر الاعتداءات الإسرائيلية المتلاحقة على الضاحية الجنوبية لبيروت سعيها لتطبيق «عقيدة الضاحية» التي ارساها قائد جيش الاحتلال الاسبق غادي ايزنكوت، وتتمحور حول تطبيق سياسة «الارض المحروقة». في المقابل، واصل حزب الله تصدّيه لتوغلات الاحتلال جنوبي لبنان

إسرائيل تطبّق «عقيدة الضاحية»

اشتباكات بين حزب الله والاحتلال جنوبي لبنان

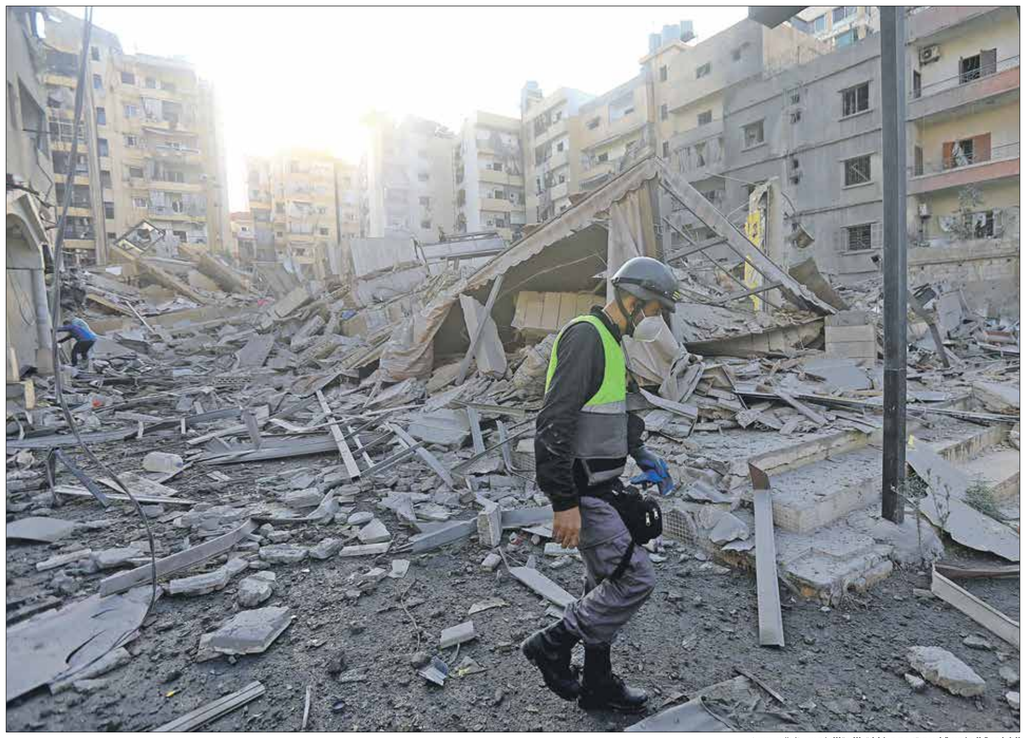
الضاحية الجنوبية لبيروت، بعد غارات الاحتلال امس (فرانس برس)

بيروت ـ **العربي الجديد**

شهد العدوان الإسرائيلي على لبنان منذ ليل السبت الأحد تكثيف الاحتلال غاراته على الضاحية الجنوبية لبيروت بهدف تدميرها، بما يترجم «عقيدة الضاحية» التي وضعها قائد الجيش الإسرائيلي الأسبق غادي آيزنكوت في عام 2008 عندما كان يشغل منصب قائد للجبهة الشمالية في الجيش الإسرائيلي الذي استلمه في 2006 حتى 2011. وتتمحور العقيدة على استخدام القوة النارية الإسرائيلية بصورة غير متكافئة ضد العدو، والتدمير الكامل للبنى التحتية للقرى والبلدات المقاومة لجيش الاحتلال بهدف فصل هذه المناطق عن حاضنتها الشعبية. وتعني هذه العقيدة تدمير المنطقة المستهدفة عبر استخدام سياسة «الأرض المحروقة»، وجعلها غير صالحة للسكن. وهو ما تفعله الطائرات الإسرائيلية في الفترة الأخيرة، خصوصاً أن المشاهد الواردة من المنطقة تُظهر دماراً هائلاً في المنشآت المدنية والصحية والمواصلات، وذلك وسط ادعاءات إسرائيلية عن «استهداف مستودعات أسلحة لحزب الله».

ويُعتبر القصف الذي تتعرض له الضاحية الجنوبية منذ بدء العدوان الإسرائيلي «الحملة الجوية الأكثر كثافة» في العالم خارج قطاع غزة في العقدين الماضيين، بحسب ما نقلت شبكة «سي أن أن» الأميركية عن مجموعة مراقبة الصراع «إيروورز» (Airwars). وعلى مدار يومين، في 24 و25 سبتمبر/أيلول الماضي، قال الجيش الإسرائيلي إنه استخدم ألفي نوع من الذخائر ذخيرة ونفذ ثلاثة آلاف ضربة. وبالمقارنة، فإنه خلال الغزو الأميركي لأفغانستان بين عامي 2001 و2021، نفذت كيلومتراً في بعض الأحيان. مع العلم أن الضاحية أصبحت شبه فارغة من سكانها، الذين نزح معظمهم إلى أماكن أكثر أمناً شمال بيروت. ويُمكن وضع ما يقوم به جيش الاحتلال في سياق «عقيدة الضاحية» التي وضع أسسها قائد الجيش الإسرائيلي الأسبق غادي آيزنكوت في عام 2008 عندما كان يشغل منصب قائد للجبهة الشمالية في الجيش الإسرائيلي الذي استلمه في 2006 حتى 2011. وتتمحور العقيدة على استخدام القوة النارية الإسرائيلية بصورة غير متكافئة ضد العدو، والتدمير الكامل للبنى التحتية للقرى والبلدات المقاومة لجيش الاحتلال بهدف فصل هذه المناطق عن حاضنتها الشعبية. وتعني هذه العقيدة تدمير المنطقة المستهدفة عبر استخدام سياسة «الأرض المحروقة»، وجعلها غير صالحة للسكن. وهو ما تفعله الطائرات الإسرائيلية في الفترة الأخيرة، خصوصاً أن المشاهد الواردة من المنطقة تُظهر دماراً هائلاً في المنشآت المدنية والصحية والمواصلات، وذلك وسط ادعاءات إسرائيلية عن «استهداف مستودعات أسلحة لحزب الله».

وتعتبر القصف الذي تتعرض له الضاحية الجنوبية منذ بدء العدوان الإسرائيلي «الحملة الجوية الأكثر كثافة» في العالم خارج قطاع غزة في العقدين الماضيين، بحسب ما نقلت شبكة «سي أن أن» الأميركية عن مجموعة مراقبة الصراع «إيروورز» (Airwars). وعلى مدار يومين، في 24 و25 سبتمبر/أيلول الماضي، قال الجيش الإسرائيلي إنه استخدم ألفي نوع من الذخائر ذخيرة ونفذ ثلاثة آلاف ضربة. وبالمقارنة، فإنه خلال الغزو الأميركي لأفغانستان بين عامي 2001 و2021، نفذت إيل (تبعد أقل من خمسة كيلومترات عن الحدود بين لبنان والأراضي الفلسطينية المحتلة)، أمس الأحد، فيما نشر جيش الاحتلال صوراً ومقاطع فيديو لعناصره مدعياً أنها من لبنان ومن دون تحديد في أي قرية. كما فجّر مسجد بلدة بارون المجاورة لعين إيل. ويسعى الجيش الإسرائيلي عملياً للسيطرة على عين إيل وبارون أولاً ثم مارون الراس ثانياً لمحاولة التقدم باتجاه مدينة بنت جبيل الملاصقة للقرى الثلاث، والوصول إلى طريق مواصلات أساسي في المنطقة الجنوبية. ويولي الاحتلال أهمية للسيطرة على بلدة مارون الراس نظراً إلى موقعها الاستراتيجي، إذ ترتفع نحو 900 متر عن سطح البحر بما يتيح للمُسيطر عليها الإشراف على قرى الجوار. غير أن المحاولات الإسرائيلية للتقدم براً تصطدم بمقاومة حزب الله، الذي صدّ العديد من محاولات التوغل منذ أعلن في تل أبيب عن «مناورة برية محدودة» الاثنين الماضي. وفي السياق، كشف قيادي في حزب الله، عُرّف عنه بأنه «ضابط ميداني في غرفة عمليات المقاومة الإسلامية»، مساء السبت، أن الحزب أحصى سقوط «أكثر من 25 ضابطاً وجندياً في صفوف نخبة العدو، وإصابة أكثر من 130»، مشيراً إلى أن «هذه الأرقام اعترف العدو ببعضها والأيام القادمة ستكشف ما أخفاه عن جمهوره». وأضاف الضابط الميداني أنه مساء الجمعة، تم «رصد تحرك قرية، كما فجّر مسجد بلدة بارون المجاورة لعين إبل. ويسعى الجيش الإسرائيلي عملياً للسيطرة على عين إبل وبارون أولاً ثم مارون الراس ثانياً لمحاولة التقدم باتجاه مدينة بنت جبيل الملاصقة للقرى الثلاث، والوصول إلى طريق مواصلات أساسي في المنطقة الجنوبية. ويولي الاحتلال أهمية للسيطرة على بلدة مارون الراس نظراً إلى موقعها الاستراتيجي، إذ ترتفع نحو 900 متر عن سطح البحر بما يتيح للمُسيطر عليها الإشراف على قرى الجوار. غير أن المحاولات الإسرائيلية للتقدم براً تصطدم بمقاومة حزب الله، الذي صدّ العديد من محاولات التوغل منذ أعلن في تل أبيب عن «مناورة برية محدودة» الاثنين الماضي. وفي السياق، كشف قيادي في حزب الله، عُرّف عنه بأنه «ضابط ميداني في غرفة عمليات المقاومة الإسلامية»، مساء السبت، أن الحزب أحصى سقوط «أكثر من 25 ضابطاً وجندياً

> نفّذ الاحتلال 3 آلاف ضربة في يومين وفقاً لـ «إيروورز»

> حزب الله يحصي مقتل 25 جندياً وضابطاً إسرائيلياً منذ بداية العدوان

الولايات المتحدة أقل من ثلاثة آلاف ضربة سنوياً، باستثناء السنة الأولى من الغزو، حيث تم تنفيذ حوالي 6500 ضربة، وفقاً لبيانات من «إيروورز» حللتها شبكة «سي أن أن» الأميركية.

وفي موازاة الهجوم المكثف لتدمير الضاحية، انتقلت المواجهات الحدودية بين حزب الله والاحتلال الإسرائيلي إلى مستوى جديد، بعد ورود تقارير عن وقوع اشتباكات مباشرة بين الجانبين على أطراف بلدة عين إبل (تبعد أقل من خمسة كيلومترات عن الحدود بين لبنان والأراضي الفلسطينية المحتلة)، أمس الأحد، فيما نشر جيش الاحتلال صوراً ومقاطع فيديو لعناصره مدعياً أنها من لبنان ومن دون تحديد في أي قرية. كما فجّر مسجد بلدة بارون المجاورة لعين إبل. ويسعى الجيش الإسرائيلي عملياً للسيطرة على عين إبل وبارون أولاً ثم مارون الراس ثانياً لمحاولة التقدم باتجاه مدينة بنت جبيل الملاصقة للقرى الثلاث، والوصول إلى طريق مواصلات أساسي في المنطقة الجنوبية. ويولي الاحتلال أهمية للسيطرة على بلدة مارون الراس نظراً إلى موقعها الاستراتيجي، إذ ترتفع نحو 900 متر عن سطح البحر بما يتيح للمُسيطر عليها الإشراف على قرى الجوار. غير أن المحاولات الإسرائيلية للتقدم براً تصطدم بمقاومة حزب الله، الذي صدّ العديد من محاولات التوغل منذ أعلن في تل أبيب عن «مناورة برية محدودة» الاثنين الماضي. وفي السياق، كشف قيادي في حزب الله، عُرّف عنه بأنه «ضابط ميداني في غرفة عمليات المقاومة الإسلامية»، مساء السبت، أن الحزب أحصى سقوط «أكثر من 25 ضابطاً وجندياً في صفوف نخبة العدو، وإصابة أكثر من 130»، مشيراً إلى أن «هذه الأرقام اعترف العدو ببعضها والأيام القادمة ستكشف ما أخفاه عن جمهوره». وأضاف الضابط الميداني أنه مساء الجمعة، تم «رصد تحرك قرية، كما فجّر مسجد بلدة بارون المجاورة لعين إبل. ويسعى الجيش الإسرائيلي عملياً للسيطرة على عين إبل وبارون أولاً ثم مارون الراس ثانياً لمحاولة التقدم باتجاه مدينة بنت جبيل الملاصقة للقرى الثلاث، والوصول إلى طريق مواصلات أساسي في المنطقة الجنوبية. ويولي الاحتلال أهمية للسيطرة على بلدة مارون الراس نظراً إلى موقعها الاستراتيجي، إذ ترتفع نحو 900 متر عن سطح البحر بما يتيح للمُسيطر عليها الإشراف على قرى الجوار. غير أن المحاولات الإسرائيلية للتقدم براً تصطدم بمقاومة حزب الله، الذي صدّ العديد من محاولات التوغل منذ أعلن في تل أبيب عن «مناورة برية محدودة» الاثنين الماضي. وفي السياق، كشف قيادي في حزب الله، عُرّف عنه بأنه «ضابط ميداني في غرفة عمليات المقاومة الإسلامية»، مساء السبت، أن الحزب أحصى سقوط «أكثر من 25 ضابطاً وجندياً

قنابل من يورانيوم

أكدت نقابة الكيميائيين في لبنان، أمس الأحد، أن حجم الدمار واختراق المباني والأرض لعشرات الأمتار يؤكد أن اسرائيل استخدمت قنابل تحتوي على اليورانيوم المنضّب المحرم دولياً، محذرة من خطر الأصابة بالعديد من الأمراض جراء استنشاق غبار هذا القصف. وشدّدت النقابة في «بيان تحذيري هام جداً»، على أن «استخدام هذه الأنواع من الأسلحة، خصوصاً في العاصمة بيروت المكتظة بالسكان، يؤدي الى دمار هائل، كما أن غبارها يتسبب بالعديد من الأمراض»، مطالبة المجتمع الدولي بالدعوة لوقف العدوان على لبنان.

مع فلسطين المحتلة، وصولاً إلى حيفا والخضيرة. من جهته، كشف موقع صحيفة يديعوت أحرونوت العبرية أن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو زار قاعدة الفرقة 36 في منطقة الحدود اللبنانية، أمس الأحد، وشدد في كلمة على أن «جنودنا يفككون البنية التحتية التي أنشأها حزب الله لمهاجمة أراضينا». وكان نتنياهو قد ذكر في كلمة مصورة، مساء أول من أمس السبت، أن جيش الاحتلال غيّر موازين القوى في الشمال. وادعى أن الجيش الإسرائيلي دمر جزءاً كبيراً من منظومة صواريخ حزب الله. في هذه الأثناء، ذكرت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف)، أمس الأحد، أن أكثر من مائة طفل استشهدوا في الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان، وأصيب 690 آخرون. كما أفادت وزارة الصحة اللبنانية، أمس، باستشهاد 23 شخصاً وجرح 93 آخرين في الاعتداءات الإسرائيلية، أول من أمس السبت، في محافظات الشمال وجبل لبنان والنبطية والجنوب والبقاع. وأمس، تسلّم وزير الصحة العامة قراس الأبيض، في مطار بيروت، شحنة مساعدات أدوية ومستلزمات طبية زنتها 25 طناً، مقدمة من «يونيسف»، بتمويل من الحكومة البريطانية. وكشف أن «هذه المساعدات هي الجزء الثالث من الشحنة التي تبلغ بمجملها 70 طناً من المساعدات»، مشيراً إلى أن عدد النازحين بلغ 1,2 مليون.

سياسياً، تلقى رئيس حكومة تصريف الأعمال اللبنانية نجيب ميقاتي اتصالاً من وزير الخارجية التركية هاكان فيدان، أمس الأحد، جرى خلاله البحث في الوضع الراهن في لبنان، لا سيما على الصعيد الإنساني وإغاثة النازحين من المناطق التي تتعرض للعدوان الإسرائيلي. وخلال الاتصال، جدد الوزير فيدان تأكيد استعداد تركيا لدعم لبنان في احتياجاته الإنسانية. كما استقبل ميقاتي المفوّض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين فيليبو غراندي، الذي أكد أن «المفوضية تدعم النازحين اللبنانيين بمواد طبية وسلع غذائية، كما ستساهم بالمساعدات النقدية لحوالي مئتي ألف شخص». ولفت إلى أنّ «المفوضية قامت بتوسيع شبكتها من المستشفيات في الجنوب والبقاع، ما يعزز الوصول إلى علاجات صحية حرجة من خلال اثنين وأربعين مستشفى». ورحّب ميقاتي بموقف الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون لمنع تصدير الأسلحة إلى إسرائيل، مطالباً بـ«الضغط على إسرائيل للالتزام بوقف إطلاق النار وتطبيق القرار 1701 (الذي وضع حداً للعدوان الإسرائيلي على لبنان صيف 2006) فوراً».

إلى ذلك، كشفت صحيفة نيويورك تايمز الأميركية، أمس الأحد، تفاصيل أحاطت بمبادرة أميركية ـ فرنسية لإرساء هدنة من 21 يوماً بين حزب الله وإسرائيل في 25 سبتمبر الماضي. وذكرت الصحيفة أنه «بدا أن كل شيء يسير في الاتجاه الصحيح لتحقيق انفراجة في صنع السلام في الشرق الأوسط، لتجنب حرب شاملة تورط المنطقة». وتطرقت إلى أن إسرائيل وافقت على المبادرة، بحسب المبعوث الأميركي عاموس هوكشتاين، غير أنه في 27 سبتمبر الماضي، «قبل أن يتمكن الدبلوماسيون من وضع اقتراح مفصل لوقف إطلاق النار، أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في الأمم المتحدة أن إسرائيل يجب أن تهزم حزب الله في لبنان»، وبعد دقائق من كلمة نتنياهو، اغتيل الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله بغارات إسرائيلية على الضاحية الجنوبية لبيروت. وأجرت «نيويورك تايمز» مقابلات مع تسعة مسؤولين لديهم معرفة مباشرة بالمحادثات، وأفادوا بأن «التقدم نحو وقف إطلاق النار كان أبعد مما كان معروفاً من قبل، لكنه توقف فجأة عندما قتلت إسرائيل نصر الله». وقال مسؤول إسرائيلي كبير للصحيفة، تحدث شرط عدم الكشف عن هويته، إن «إسرائيل شاركت في محادثات أولية حول وقف محتمل لإطلاق النار، لكنها لم تتوقع التوصل إلى هدنة خلال زيارة نتنياهو إلى نيويورك». وبحسب الصحيفة، فإن مسؤولين من الأمم المتحدة وفرنسا والولايات المتحدة بذلوا ما وُصف بـ«الجهد الهائل» للتفاوض على وقف مؤقت لإطلاق النار. وأجرى كبار المسؤولين من البيت الأبيض وإسرائيل محادثة أولية في 23 سبتمبر الماضي، ثم تولى هوكشتاين زمام المبادرة، مؤكداً للمسؤولين اللبنانيين أنه إذا تمكنوا من تأمين موافقة حزب الله، فإنه سيفعل الشيء نفسه مع إسرائيل، وفقاً لما كشف مسؤول لبناني ودبلوماسي مقيم في بيروت ومسؤول أميركي كبير لـ«نيويورك تايمز».

ودعا الاقتراح إلى وقف القتال مدة 21 يوماً للسماح للدبلوماسية بالتوصل إلى هدنة طويلة الأمد. وبموجب الخطة، كان حزب الله سينقل مقاتليه وأسلحته خارج المنطقة الحدودية، وهو مطلب إسرائيلي رئيسي. وكان نصر الله قد أكد مراراً أن حزب الله لن يتوقف عن إطلاق النار على إسرائيل إلا عندما تتوقف إسرائيل عن مهاجمة غزة. لذلك دعا الاقتراح أيضاً إلى وقف إطلاق النار بين إسرائيل وحماس. وقال مسؤولون مشاركون في المحادثات، لـ«نيويورك تايمز»، إنه جرى تضمين ذلك لتسهيل قبول نصر الله الاتفاق. وتعامل هوكشتاين مع مكتب نتنياهو في تل أبيب، ومع رئيس المجلس النيابي اللبناني نبيه بري في بيروت.

ارجاء بدء العام الدراسي في لبنان

أعلن وزير التربية في حكومة تصريف الأعمال اللبنانية، عباس الحلبي، أمس الأحد، تحديد بدء العام الدراسي في المدارس والثانويات والمهنيات الرسمية في 4 نوفمبر/تشرين الثاني المقبل، وذلك بعد استكمال الاستعدادات للمباشرة بالتدريس حضورياً أو من بعد أو مدمجاً تنفيذاً لخطة وزارة التربية. وأضاف الحلبي في مؤتمر صحافي، أنه تقت الإجازة للمدارس الخاصة التعليم من بعد بحسب إمكاناتها المتاحة. وقال «نظراً إلى أن عدداً من المدارس الخاصة أبلغ أولياء الأمور أن الدراسة ستستأنف بدءاً من (اليوم) الاثنين، منها تكون حضورية أو مدمجة، فإننا ندعو إداراتها إلى إدراك مخاطر الحرب، ونطلب منها الحصول على موافقة لجان الأهل وتوقيع تعهّد وفاقاً لنموذج تعدّه الوزارة لكي يكون قرار التدريس الحضوري على كامل مسؤولية من قرّره». في المقابل، كشف المدير العام لوزارة التربية عماد الأشقر، لوكالة فرانس برس، أن «هناك 1,25 مليون طالب في كافة مدارس لبنان من الحضانة إلى الصف الثالث الثانوي... 40% منهم تم تهجيرهم».

(العربي الجديد، فرانس برس)

بابا الفاتيكان يدعو لوقف النار

دعا بابا الفاتيكان فرنسيس (الصورة)، أمس الأحد، إلى «وقف فوري لإطلاق النار» في الشرق الأوسط و«إطلاق سراح الرهائن الإسرائيليين الذين تحتجزهم حماس»، وذلك عشية الذكرى السنوية الأولى لعملية «طوفان الأقصى» والعدوان الإسرائيلي على غزة. وقال البابا «غرق الشرق الأوسط في معاناة خطيرة بشكل متزايد، مع استمرار الأعمال العسكرية المدمرة في ضرب السكان الفلسطينيين»، مؤكداً أن «هؤلاء هم أساساً مدنيون أبرياء، أشخاص يجب أن يحصلوا على المساعدات الإنسانية اللازمة». وتابع «أطالب بوقف فوري لإطلاق النار على جميع الجبهات، بما فيها الجبهة اللبنانية».

(فرانس برس)

تهديدات إيرانية وإسرائيلية بضربات متبادلة

تستعد إيران وإسرائيل، على ما يبدو، لسلسلة من الضربات المتبادلة، في ظل تحذيرات لطهران من مصير مماثل لغزة وبيروت

حيفا ـ **نايف زيداني**
طهران ـ **صابر غل عنبري**

بعدما اتخذت إسرائيل قرارها بتوجيه ضربة لإيران رداً على الهجوم الصاروخي الذي نفذته الأخيرة يوم الثلاثاء الماضي وركز على أهداف عسكرية إسرائيلية، تستمر المناقشات سواء داخل إسرائيل أو بينها وبين الإدارة الأميركية حول طبيعة الهجوم وتوقيته، مع الأخذ بالحسبان احتمال توسّع المواجهة إلى حرب أوسع في المنطقة في جانب المؤشرات التي تفيد بأن المرحلة المقبلة ستشهد «سلسلة جولات قتالية وضربات متبادلة» بين إيران وإسرائيل بمدى زمني مفتوح. وفيما حذر وزير الأمن الإسرائيلي يوآف غالانت إيران أمس الأحد من أنها قد تتعرّض لدمار يشبه ما يحصل في غزة وبيروت في حال الحقّت الأذى بإسرائيل، كان قائد القيادة المركزية الأميركية، الجنرال مايكل كوريلا، يجري منذ مساء أول من أمس السبت مباحثات مع المسؤولين الإسرائيليين تحديداً وزير الأمن يوآف غالانت ورئيس الأركان هرتسي هاليفي تهدف لعرض موقف الجانب الأميركي والمساعدة في صياغة القرار، لا سيما مع الرفض الأميركي العلني على الأقل لضرب منشآت نووية أو نفطية إيرانية.

وفي مؤشر على توقع إيران ضربة وشيكة، نقلت وكالة مهر نيوز الإيرانية أمس الأحد، عن متحدث باسم منظمة الطيران المدني، قوله إنه ألغيت جميع الرحلات الجوية في المطارات الإيرانية، بدءاً من الساعة 9 ليل أمس بتوقيت طهران، وحتى الساعة السادسة من صباح اليوم الاثنين.

في المقابل، أكد مسؤول عسكري إيراني لوكالة تسنيم الإيرانية المحافظة، أمس الأحد، أن «خطة الرد اللازم» على الرد الإسرائيلي المحتمل على هجمات إيران الأخيرة «جاهزة بالكامل»، مضيفاً أنه «لن يكون هناك أي تردد في تنفيذ الضربة الإيرانية المتبادلة». وأوضح المصدر الإيراني الذي لم يكشف عن هويته، أن الخطة الإيرانية حددت عدة ضربات «سيتم اتخاذ القرار فوراً بشأن أي منها بشكل يتناسب مع طبيعة هذا الصهاينة»، مؤكداً أن طهران لديها بنك أهداف إسرائيلية متعددة و«أثبتت عملية الوعد الصادق 2 (القصف الذي استهدف إسرائيل الثلاثاء الماضي)، أنه بإمكاننا ضرب أي نقطة إن أردنا وتسويته بالتراب». وسبق أن ذكرت مصادر إيرانية مطلعة، لـ«العربي الجديد»، أن القوات المسلحة الإيرانية أعدت خطة لتنفيذ «عدة جولات متلاحقة» من الهجمات الأخرى «الأكثر كثافة وشدة» في حال ردّ إسرائيل على هجوم الثلاثاء، مشيرة إلى اتخاذ «إجراءات وتدابير صارمة» في مقرات حساسة، تحسباً لأي رد و«لن يتأخر الرد الواسع» على أي اعتداء إسرائيلي. وفيما استبعدت المصادر توجه الأوضاع نحو حرب، أكدت أن إيران وجهت عبر قنوات عدة «تحذيرات كافية لأطراف دولية وإقليمية بأن أي تدخل لصالح الكيان الصهيوني سيشعل المنطقة». وبرز أمس منح المرشد الإيراني الأعلى علي خامنئي وسام الفتح العسكري لقائد قوات الجوفضائية للحرس الثوري العميد أمير علي حاجي زادة الذي أشرف على عملية «الوعد الصادق 2» مساء الثلاثاء الماضي، وإطلاق قرابة 200 صاروخ بالبستي وفرط صوتي نحو أهداف عسكرية وأمنية إسرائيلية. وذكر التلفزيون الإيراني أن منح الوسام لحاجي زادة جاء لتنفيذ العملية «المشرفة». يذكر أن وسام الفتح في القوات المسلحة الإيرانية يرمز إلى تنفيذ «عمليات مظفرة». وقاد حاجي زادة، عمليتي «الوعد الصادق 1» رداً على استهداف السفارة الإيرانية في دمشق ومقتل سبعة جنرالات إيرانيين، و«الوعد الصادق 2» رداً على اغتيال رئيس المكتب السياسي لحماس إسماعيل هنية في طهران في 31 يوليو/ تموز الماضي، واغتيال الأمين العام لحزب الله اللبناني حسن نصر الله، ومسؤول ملف لبنان في الحرس الثوري العميد عباس نيلفروشان في 27 سبتمبر/أيلول الماضي.

في هذه الأثناء، يسود توافق كامل بين المستويين السياسي والعسكري في إسرائيل حول ضرورة الرد على إيران. وأكد مسؤولون إسرائيليون أبرزهم رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو اتخاذ قرار بضرب إيران في أكثر من مناسبة خلال الأيام الأخيرة، منها بيان صدر لدى المجلس الأمني، اعتبر فيه أن «إيران تقف وراء كل التهديدات الموجهة ضد إسرائيل، وقد أطلقت علينا مئات الصواريخ، في واحدة من أكبر الهجمات في التاريخ»، مشدداً على أن «من واجب إسرائيل ومن حقها الدفاع عن نفسها، وهذه هي الطريقة التي سنفعل بها ذلك». وأضاف: «كل الهجمات من غزة ولبنان واليمن وسورية والعراق تقف خلفها إيران وسنضع حداً لذلك... لقد هاجمتنا مرتين بمئات الصواريخ البالستية، ولن نقبل هذه الهجمات». وتابع «سنواجه كل التهديدات الإيرانية».

من جهته، قال غالانت في بيان أمس إن الإيرانيين لم يمسوا قدرات سلاح الجو الإسرائيلي في الهجوم الأخير، مشدداً على أنه «لم تتضرر أي طائرة ولم يتم إخراج أي سرب عن الخدمة». وأضاف: «من يعتقد أن مجرد محاولة الحاق الأذى بنا سنمتنعا عن اتخاذ أي إجراء، فعليه أن ينظر إلى (إيجاراتنا) في غزة وبيروت».

في غضون ذلك، تستمر المناقشات الإسرائيلية حول طبيعة الهجوم وتوقيته. ونقلت القناة 12 العبرية، أمس الأحد، عن مسؤولين كبار في المؤسسة الأمنية لم تسمّهم، أن «على إسرائيل تقليل التصريحات في هذا الشأن». وفيما أشاروا إلى أن «الأمر الواضح هو أن إسرائيل سوف تتحرك في الوقت المناسب، وفي اللحظة الأفضل لها»، ذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت، أن ثمة مسؤولين إسرائيليين يرون فرصة لضرب المنشآت النووية الإيرانية. وبحسب القناة 12، تطرح إسرائيل في مناقشاتها العديد من الأفكار من بينها مهاجمة أهداف اقتصادية مهمّة، مثل منشآت النفط أو الغاز، والمجمع الرئاسي، ومجمع المرشد الإيراني ومقر الحرس الثوري في طهران. وأضافت أن الجيش الإسرائيلي لديه قدرة على ضرب رموز للدولة والحكم، وأهداف عسكرية ذات رمزية، مثل قاعدة الصواريخ التي انطلقت منها الصواريخ في الهجوم الأخير على إسرائيل. وبحسب مراسل ومحلل الشؤون العسكرية في القناة نير دفوري، فإنه من المتوقع أن تكون للعملية التي تخطط لها إسرائيل عواقب كبيرة، الأمر الذي يتطلب، عدا عن التنسيق مع الولايات المتحدة، تعاوناً من الدول المجاورة أيضاً، سواء على مستوى الهجوم نفسه أو بشأن الرد الإيراني الإضافي المتوقع على الهجوم الاسرائيلي، إذا حدث. كما يرى أن «حلقة النار التي بنتها إيران على مر السنين تتآكل، وهذه فرصة لإسرائيل لإحداث تغيير في الواقع الأمني، لم يكن موجوداً منذ سنوات عديدة». ونقلت القناة 12 عن مسؤول أمني إسرائيلي مطلع على تفاصيل الهجوم قوله إن «سلسلة الضربات بين إسرائيل وإيران لن تكون مكثفة زمنياً، وعلى ما يبدو أنهم سيردون على ما سنفعله، لكنهم سيأخذون وقتهم، مثلما فعلوا في الماضي. وهذه ستكون سلسلة جولات قتالية وضربات متبادلة».

وفي السياق، ذكرت صحيفة «هآرتس»، أن الاتصالات بين إسرائيل والولايات المتحدة، هي بهدف تقييد الهجوم الإسرائيلي ومنع التدهور إلى حرب إقليمية («رغم أن الحرب الإسرائيلية ـ الإيرانية الأولى تدور هنا»)، وأن «الأميركيين نقلوا رسائل إلى إسرائيل ضد مهاجمة منشآت نووية».

وفي سياق متصل، نقلت القناة عن رونين بيرغمان، الصحافي في صحيفتي نيويورك تايمز ويديعوت أحرونوت، إشارته إلى فهم إسرائيل بأنها «ستكون وحدها»، إذ إنه من الواضح في الوقت الحالي أن إدارة جو بايدن ليست في ذلك المكان». كما ذكر أن وزير الدفاع الأميركي لويد أوستن قال لنظيره الإسرائيلي يوآف غالانت إنه «بالنسبة لنا هذا إعلان حرب ونحتاج إلى موافقة الكونغرس». وعلى الرغم من إشارة صحيفة يديعوت أحرونوت إلى أن «الحرب الإقليمية ليست جزءاً من أهداف الحرب كما حددتها الحكومة» الإسرائيلية، فإنها لفتت إلى وجود مسؤولين في إسرائيل، يعتقدون أنه («رغم المعارضة الأميركية وأسبابها المحددة (الحملة الانتخابية في المقام الأول)، فإن هذه لحظة تاريخية. إذا لم تعمل إسرائيل مع الأميركيين الآن، حاملين أعلاماً فلسطينية ولبنانية ومغربية.

احتجاجات في طهران بعد اغتيال نصر الله، 3 أكتوبر الحالي (ماجد سعيدي/Getty)

هاريس تذكّر تل أبيب بدور واشنطن

اعتبرت كامالا هاريس (الصورة)، نائبة الرئيس الأميركي، المرشحة الديمقراطية للانتخابات الرئاسية الأميركية، أمس الأحد، أن «مساعداتنا لإسرائيل سمحت لها بالدفاع عن نفسها ضد 200 صاروخ بالستي من إيران»، في إشارة الى الهجوم الإيراني على إسرائيل، الثلاثاء الماضي. وأضافت هاريس في تصريحات صحافية أنه «يجب بذل كل ما في وسعنا لمساعدة إسرائيل على الدفاع عن نفسها ضد تهديدات حماس وحزب الله وإيران، ونسعى مع قيادة إسرائيل لإنهاء الحرب».

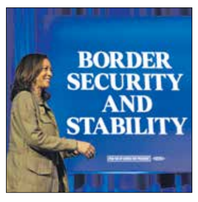

مسيرة تضامنية مع غزة ولبنان في الرباط

تظاهر الآلاف المغاربة، أمس الأحد، في مسيرة حاشدة بقلب العاصمة الرباط، دعماً لغزة ولبنان والمقاومة، وتنديداً بجرائم الاحتلال الإسرائيلي، ورفضاً للتطبيع، في الذكرى السنوية الأولى لانطلاق معركة «طوفان الأقصى». وسار الآلاف المتظاهرين الذين أتوا من مناطق مختلفة من المغرب، من باب الأحد التاريخي إلى شارع محمد الخامس في وسط العاصمة تحت شعار «طوفان الأقصى حتى تحرير فلسطين وإسقاط التطبيع. وفاء للمقاومة والشهداء»، بدعوة من «مجموعة العمل الوطنية من أجل فلسطين» (تضم تمثيليات مختلف الأحزاب المغربية وحركة التوحيد والإصلاح وحزب العدالة والتنمية) و«الجبهة المغربية لدعم فلسطين ومناهضة التطبيع (مكونة من أحزاب يسارية وجماعة العدل والإحسان الإسلامية المعارضة)»، ورفعوا لافتات كتب عليها «أمة قادتها شهداء ستنتصر» و«من القدس إلى بيروت المقاومة لن تموت». وأطلق المنظمون اسم «مسيرة الرباط الكبرى» بالنظر إلى حجم المشاركة اللافت، حاملين أعلاماً فلسطينية ولبنانية ومغربية.

(العربي الجديد)

الحدث

يواصل الاحتلال عدوانه على غزة بعد عام من عملية طوفان الأقصى، وشن، أمس الأحد، عملية عسكرية جديدة في شمال القطاع بالتوازي مع قصف على مناطق مختلفة أوقع عشرات الضحايا، لترتفع إلى نحو 140 ألفاً أعداد الشهداء والجرحى في القطاع

توغل شماليّ غزة

معارك ضارية وإطلاق صواريخ من القطاع

غزيون يفرون من هجوم الجيش الإسرائيلي، أمس (حمزة فريفع/الأناضول)

الدوحة ـ **ضياء الكحلوت**
حيفا ـ **نايف زيداني**

نحو 140 ألفاً بين شهيد ومصاب لم يكفوا حرب الإبادة على غزة بعد عام على بدئها في 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023، بل إنه يواصل التهجير والجرائم بحق المدنيين مستفيداً من غطاء أميركي يمنع عنه المحاسبة، ليُطلق من جديد، خلال الساعات الماضية، عدواناً جديداً على شمال القطاع، بعد تهجير مناطق من الوسط، بحجة وجود نشاط للمقاومة الفلسطينية في هذه المناطق. لكن على الرغم من مرور عام على هذه الحرب، لا يزال الاحتلال يواجه مقاومة في القطاع، ويتعرض لإطلاق صواريخ على مستوطناته، ليكشف ذلك زيف ادعاءاته بالنجاح في تفكيك حركة حماس والقضاء على قدراتها.

وبعد ليلة قاسية وصعبة، استيقظ أهالي شمالي قطاع غزة، أمس الأحد، ليجدوا قوات الاحتلال توغلت بالياتها العسكرية في مناطقتين سكنيتين شرقي مخيم جباليا وغربيه، مع إلقاء طائراته منشورات من الجو تدعو سكان مناطق الشمال إلى الإخلاء باتجاه منطقة المواصي جنوبي القطاع. وطوال ليل السبت ـ الأحد، شن الطيران الحربي والمُسيّر عشرات الضربات الجوية باتجاه منازل المواطنين والمناطق الفاصلة بين مخيم جباليا ومنطقة جباليا البلد، واستهدفت طائرات «كواد كايتر» (ذات المراوح الأربع المتحركين من صحافيين وطواقم طبية ودفاع مدني. واستقبلت المستشفيات طوال الليل عشرات الشهداء والجرحى. وتحت ستار القصف الجوي والبري العنيف، توغلت قوات من جيش الاحتلال إلى مناطق السلاطين والعامودي والتوام إلى الغرب من شمال القطاع، وأطراف مخيم جباليا وخلف مدارس الإيواء شرقي المخيم، في عملية لم يعلن الاحتلال انطلاقها قبل بدئها كما جرى في الأوقات السابقة. وحاصرت قوات الاحتلال عشرات المنازل، وسيطرت بالقوة الجوية على المناطق ومنعت السكان من إخلاء منازلهم والنزوح. وفي وقت لاحق، أعلن متحدث باسم جيش الاحتلال الإسرائيلي أنّ «الفرقة 162 بدأت الليلة الماضية (السبت) عملياتها للقضاء على بنية تحتية مسلحة في منطقة جباليا بعد ورود معلومات استخبارية مسبقة، وبعد تقييم وضع مستمر وأعمال القوات في الميدان التي دلت على وجود مخربين وبنى إرهابية في المنطقة إلى جانب محاولات لترميم بنى إرهابية من قبل حماس».

مجزرتان جديدتان سقط فيهما 26 شهيداً وأصيب العشرات

الاحتلال يعزز قواته في المناطق الجنوبية القريبة من غزة

وبالتزامن مع القصف الجوي والمدفعي، ألقى جيش الاحتلال منشورات تدعو السكان للإخلاء، ونشر في الوقت نفسه على وسائل التواصل بياناً موسعاً للجيش، يتحدث عن مزاعمه المتكررة بأنّ «حماس الإرهابية تواصل محاولاتها ترسيخ بنيتها الإرهابية في منطقتكم مستغلة السكان والمأوى والمنشآت الصحية درعاً بشرياً.» وقال جيش الاحتلال في المنشورات والبيان إنه فتح طريقي الرشيد البحري غرباً وصلاح الدين شرقاً لمرور الراغبين في الإخلاء باتجاه ما يسميه المنطقة الإنسانية في المواصي. وتعقيباً على إنذار الجيش لسكان شمال القطاع بإخلاء منازلهم، قالت وزارة الداخلية في غزة إن ادعاءات الجيش الإسرائيلي بوجود مناطق آمنة جنوبي القطاع كاذبة، مشيرة إلى أن جميع محافظات القطاع من دون استثناء تتعرض للاستهداف بما في ذلك خيام النازحين.

وكانت ساعات ليل السبت قاسية وصعبة على سكان الشمال، بعد فترة هدوء نسبية عاشتها المنطقة التي كانت واحدة من أسوأ المناطق التي شهدت عدواناً برياً في القطاع. واستهدف جيش الاحتلال عبر الطيران الحربي والمروحي والمُسيّر والمدفعية، وبشكل مركز، مناطق مختلفة من شمال غزة، منها مخيم جباليا وبلدة جباليا البلد وبيت لاهيا والمناطق الغربية من المحافظة الشمالية. وشن الطيران الحربي نحو أربع موجات من القصف العنيف على مناطق مختلفة من شمال غزة، في ما يعرف محلياً بأسوأ الأحزمة النارية، وبالتزامن، كانت الطائرات المسيّرة تطلق القنابل والرصاص الحي على المناطق المستهدفة. واستشهد عشرة على الأقل بقصف لمنزل في بلدة جباليا البلد، فيما استشهدت سيدة ورجل بقصف شقتين سكنيتين في وسط جباليا. وفي منطقة بئر النعجة غربي جباليا، استهدف الطيران الحربي منزلاً ما أدى إلى استشهاد نحو عشرة وإصابة العديد من الفلسطينيين. وقام جيش الاحتلال بنشر قناصة في مناطق التوغلات شرقي وشمال غربي قطاع غزة، واستهداف المواطنين.

في المقابل، قالت فصائل المقاومة الفلسطينية إنها تتصدى للاجتياح الإسرائيلي شمالي غزة. وأعلنت «سرايا القدس» في منشور عبر منصة تليغرام: «استهدفنا بقذيفتي تي بي جي غرفة قيادة وتحكم تابعة لجيش العدو الإسرائيلي المتوغل بمخيم جباليا». وأضافت: «قنصنا بالاشتراك مع كتائب القسام جندياً إسرائيلياً شرق بلدة بيت حانون شمالي قطاع غزة». فيما قالت «كتائب القسام» عبر «تليغرام»: «نخوض معارك ضارية مع قوات العدو الصهيوني في محاور التوغل شمالي قطاع غزة». كما أكدت كتائب أبو علي مصطفى، الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، أنها تخوض «معارك ضارية رفقة فصائل المقاومة مع قوات العدو في محاور التوغل شمالي قطاع غزة». من جهته، أعلن الجيش الإسرائيلي، أمس، مقتل جندي أصيب في وقت سابق، وإصابة جنديين آخرين وضابط بجروح «خطيرة» في معارك شمالي غزة أمس.

وفي وسط غزة الذي وجّه الاحتلال أول من أمس السبت إنذارات لإخلاء مناطق واسعة منه، كان جيش الاحتلال يرتكب مجزرتين جديدتين سقط فيهما 26 شهيداً وأصيب العشرات. وقصف جيش الاحتلال مسجد شهداء الأقصى الملاصق لمستشفى شهداء الأقصى في دير البلح، ومدرسة ابن رشد في الزوايدة. وأفادت وزارة الصحة في غزة بأن حصيلة ما وصل إلى المستشفيات نتيجة الاستهدافين «هي 26 شهيداً وعشرات الإصابات». وادعى جيش الاحتلال في بيان أنه «نفذ ضربة دقيقة على إرهابيين من حماس» كانوا يعملون داخل مراكز للقيادة والتحكم في مدرسة ابن رشد ومسجد شهداء الأقصى». لكن إمام المسجد، ويدعى أحمد، قال إن «المسجد شيّد قبل عشرين سنة... والناس نازحون، فيش أي حاجة (يقصد أنّ ادعاءات الاحتلال باطلة)».

من جهته، قال المكتب الإعلامي الحكومي في غزة إن «هاتين المجزرتين الوحشيتين تأتيان بعد سلسلة من المجازر ارتكبها جيش الاحتلال بقصفه 27 منزلاً ومدرسة ومركز نزوح في مختلف محافظات قطاع غزة خلال الـ48 ساعة الماضية، حيث أدى هذا القصف الغطيع المتواصل إلى ارتقاء عشرات الشهداء والجرحى». وأعلنت وزارة الصحة في القطاع، أمس، ارتفاع حصيلة الحرب إلى 41 ألفاً و870 شهيداً و97 ألفاً و166 مصاباً منذ 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023. وأضافت في تقريرها الإحصائي أن الاحتلال ارتكب ثلاث مجازر خلال 24 ساعة، وصل منها إلى المستشفيات 45 شهيداً و256 مصاباً.

في غضون ذلك، أعلن الجيش الإسرائيلي، أمس، رصد إطلاق صواريخ من شمال غزة. وأوضح متحدث باسم الجيش أنه «تم رصد عدة قذائف صاروخية أطلقت من شمال غزة باتجاه الأراضي الإسرائيلية، وتم اعتراض قذيفة واحدة، في حين سقطت القذائف الأخرى في مناطق مفتوحة». وكان جيش الاحتلال قد عزز قواته في المناطق الجنوبية القريبة من غزة عشية الذكرى الأولى لعملية «طوفان الأقصى». وحصلت قيادة المنطقة الجنوبية من هيئة الأركان العامة على قوات كبيرة في إطار التعزيزات الدفاعية، خشية حدوث عمليات ضد أهداف إسرائيلية، كما جرى تعزيز الإجراءات الأمنية، بالتنسيق مع السلطات المحلية، من أجل إتاحة تنظيم المراسم المخطط لها في هذه الذكرى. في غضون ذلك، نقلت صحيفة هآرتس العبرية، أمس الأحد، عن مسؤولين إسرائيليين، لم تسمّهم، قولهم إن إسرائيل تفحص إمكانية التوصل إلى صفقة تتضمن خروج رئيس المكتب السياسي لحركة حماس يحيى السنوار وكبار مسؤولي الحركة الذين لا يزالون في غزة إلى السودان، كجزء من خطة تسمح بإنهاء حكم حماس في القطاع واستعادة المحتجزين الإسرائيليين.

استهداف «أونروا»

صادقت لجنة الخارجية والأمن في الكنيست، أمس الأحد، على مشروع قانون لحظر عمل وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «أونروا» في إسرائيل. وتعني المصادقة إحالة المشروع إلى التصويت بالقراءة الثانية والثالثة في الهيئة العامة للكنيست ليصبح نافذاً. ووفق مشروع القانون، سيتم إلغاء اتفاقية عام 1967 التي سمحت لـ«أونروا» بالعمل في إسرائيل، ومن ثم ستتوقف أنشطة الوكالة فيها، وسيتوقف منح تأشيرات دبلوماسية لموظفي الوكالة.

متابعة

مقتل مجندة إسرائيلية وإصابة 10 في عملية ببئر السبع

أدت عملية إطلاق نار في بئر السبع بالنقب، أمس الأحد، إلى مقتل مجندة إسرائيلية وإصابة عشرة آخرين، وسط مخاوف إسرائيلية من عمليات في ذكرى 7 أكتوبر

حيفا ـ **العربي الجديد**

قُتلت مجنّدة في الشرطة الإسرائيلية، وأصيب عشرة إسرائيليون آخرون على الأقل، في عملية إطلاق نار بمحطة الحافلات المركزية في بئر السبع بالنقب، فيما أعلنت الشرطة الإسرائيلية «تحييد» المنفّذ الذي استشهد في موقع العملية. وتضاربت المعلومات حول كيفية حصول العملية، فقد أفادت هيئة البث الإسرائيلية بأن المنفذ وصل بواسطة حافلة إلى المحطة المركزية في بئر السبع، ونفذ العملية مستهدفاً عناصر قوات الأمن بما في ذلك عملية مزدوجة بواسطة إطلاق النار والطعن. في حين قالت وسائل إعلام إسرائيلية أخرى إن المنفذ وصل إلى الموقع بواسطة مركبة خاصة، حيث أقدم على إطلاق النار وطعن عدد من الإسرائيليين في محيط المحطة المركزية في بئر السبع. ووفق تفاصيل أخرى بثتها وسائل إعلام، فقد وصل الشاب إلى المبنى «مسلحاً بمسدس وأطلق النار على المارة وطعنهم، في ثلاث ساحات مختلفة في منطقة المحطة المركزية».

وادت العملية إلى مقتل مجنّدة في «حرس الحدود» وإصابة عشرة آخرين. وقالت وسائل إعلام إسرائيلية إن «الجنود المسلحين وعناصر حرس الحدود الذين كانوا في الموقع ردوا بإطلاق النار على المنفذ»، الأمر الذي أدى إلى وفاته متأثراً بجراحه الحرجة من جراء إصابته بعدة أعيرة نارية. وأكدت الشرطة الإسرائيلية في وقت لاحق أنه تم تحييد الإرهابي». وذكر مستشفى سوروكا في بئر السبع، في بيان، أن اثنين من المصابين حالتهم «خطيرة» وأربعة «متوسطة». فيما قالت صحيفة يسرائيل هيوم إن منفذ الهجوم هو أحمد سعيد سليمان العقبي (29 عاماً) من عشيرة العقبي التي تقطن في ضواحي بلدة حورة في النقب، وهو قريب مهند العقبي الذي نفذ عملية في نفس الموقع عام 2015 وأسفرت عن مقتل جندي. وفيما أعلنت الشرطة أنه تم تحييد العقبي، أفادت تقارير صحافية بأن قوات الأمن الإسرائيلية «ألقت القبض على مشتبه به (آخر) في الضلوع بالعملية»، وأشارت إلى أن أجهزة الأمن تشتبه بأن المعتقل «قدم المساعدة للمنفذ»، من دون الكشف عن مزيد من التفاصيل.

جنديان إسرائيليان في جنوب إسرائيل، أمس (مناحيم كهانا/فرانس برس)

وفي أول تعليق لمسؤول إسرائيلي على العملية، قالت وزيرة المواصلات الإسرائيلية ميري ريغيف: «أدعو إلى طرد عائلات الإرهابيين (من إسرائيل)». وأضافت: «حان الوقت لعقوبة رادعة لمنع الهجمات على الأراضي الإسرائيلية». في المقابل، رحب المتحدث باسم «كتائب القسام» أبو عبيدة بعملية بئر السبع «النوعية التي نفذها أحد أبطالنا من الداخل المحتل»، مضيفاً أن «ثقتنا بوطنية أبناء شعبنا في فلسطين المحتلة عام 48 ثابتة لم تتزحزح، ونحن على يقين بأن شباب الداخل قادرون على اجتراح الوسائل الكفيلة بإيلام المحتل وإسناد أبناء شعبهم في غزة المكلومة بشتى الطرق الممكنة». كما قالت حركة حماس في بيان عبر «تليغرام» إنها تبارك «العملية الفدائية البطولية التي نفّذها الشهيد البطل أحمد سعيد العقبي (من حورة في النقب المحتل) في مدينة بئر السبع، التي جاءت دفاعاً عن شعبنا وأرضنا ومقدساتنا، وتصدياً لغطرسة المحتل المعمن في حرب الإبادة ضد شعبنا في غزة». يُذكر أن جيش الاحتلال كان يتحسب لحصول عمليات ضد أهداف إسرائيلية في ذكرى مرور عام على «طوفان الأقصى»، لكنّه توقعها من قطاع غزة. وبحسب بيان صادر عن جيش الاحتلال، «تم نشر تعزيزات للقوات في منطقة غلاف غزة استعداداً لذكرى أحداث السابع من أكتوبر. ووفقاً لتقييم الوضع، تستعد قيادة المنطقة الجنوبية للدفاع والهجوم ولعدة سيناريوهات خلال هذا الشهر».

رصد

ضربات إسرائيلية مكثفة في سورية

بارليل ـ **عدنان أحمد**
دمشق ـ **ليث أبي نادر**

هز انفجاران على الأقل مدينة حسياء الصناعية في ريف حمص الشرقي وسط سورية، أمس الأحد، جراء قصف جوي إسرائيلي. وأفاد المرصد السوري لحقوق الإنسان بأن «غارة إسرائيلية استهدفت مصنعاً للسيارات الإيرانية». وفيما أفادت وكالة «سانا» التابعة للنظام عن «سماع صوت انفجار في أحد المعامل بالمدينة الصناعية ويجرى التأكد من سببه»، ذكرت صحيفة الوطن الموالية أنه جرى استهداف سيارات تحمل مساعدات ومواد غذائية ضمن مدينة حسياء الصناعية. ونقلت الصحيفة عن مدير المدينة الصناعية في حسياء عامر خليل قوله إن العدوان الجوي استهدف ثلاث سيارات تحمل مساعدات ومواد إغاثية، مشيراً إلى وقوع أضرار مادية فقط، ونافياً استهداف معمل سيارات. من جهته، ذكر الناشط محمد الخلف، لـ«العربي الجديد»، أن الاستهداف كان كما يبدو لسيارات تتبع للهلال الأحمر العراقي تحمل مساعدات إنسانية، مشيراً إلى أنه ربما يتحسب جيش الاحتلال الإسرائيلي من أنها تحمل شحنات أسلحة لحزب الله. ولفت الخلف إلى وجود معلومات أخرى عن استهداف مصنع الشركة السورية الإيرانية الدولية للسيارات «سابا» في المدينة الصناعية أو بالقرب منه. وكان الرئيس السوري افتتح المصنع عام 2007.

وسبق أن دوت انفجارات، مساء أول من أمس السبت، في مناطق مختلفة من سورية، يُعتقد أنها ناجمة عن غارات للاحتلال الإسرائيلي قرب الحدود مع لبنان ولقوات التحالف الدولي في شرق البلاد، كما استهدفت مدفعية الاحتلال مواقع في ريف دمشق الجنوبي الغربي قرب الجولان المحتل. وذكر المرصد السوري لحقوق الإنسان أن مسيّرة إسرائيلية قصفت محيط بلدة حوش السيد علي اللبنانية، من دون ورود معلومات عن سقوط خسائر بشرية، تزامناً مع تحليق عدة مسيّرات إسرائيلية في الأجواء. وجاءت هذه الغارة بعد ساعات من استهداف غارة إسرائيلية سيارة عند مدخل مدينة حمص الشمالي، أسفرت عن مقتل شخص وجرح آخرين، وذلك بعد معلومات عن قصف مماثل طاول قواعد عسكرية تابعة للنظام السوري في مدينة تدمر بريف حمص الشرقي.

وذكرت وكالة أنباء النظام «سانا» أن الدفاعات الجوية تصدت لأهداف معادية في أجواء ريف حمص الغربي. في غضون ذلك، ذكرت مصادر محلية، لـ«العربي الجديد»، أنه سُمع دوي انفجارات قوية في محافظة دير الزور، شرقي سورية. وأوضحت المصادر أن الانفجارات مصدرها مستودعات عياش في ريف دير الزور الغربي، وهي أكبر المستودعات التابعة للمليشيات المدعومة من الحرس الثوري الإيراني في سورية.

وسبق ذلك سماع دوي انفجار قرب المعبر الحدودي السوري العراقي في مدينة البوكمال بريف دير الزور الشرقي، ووسط معلومات تشير إلى قصف أميركي جوي استهدف أحد المواقع. وفي جنوب سورية، قصف جيش الاحتلال الإسرائيلي، مساء أول من أمس السبت، بقذائف الدبابات، تلّتي دربل وتنورة في ريف دمشق الجنوبي الغربي قرب الجولان السوري المحتل، حيث سُمع دوي انفجارات من المواقع المستهدفة، والتي تتمركز فيهما نقاط عسكرية تابعة لقوات النظام، وفق شبكات محلية. كما سُمع، مساء السبت، دوي انفجار بريف درعا الغربي ناجم عن انفجار عبوة ناسفة زرعها مجهولون قرب أحد المنازل في قرية خراب الشحم في ريف درعا الغربي، بالقرب من الجولان السوري المحتل. وتزامن ذلك، وفق الناشطين، مع تحليق مكثف للطيران الحربي الإسرائيلي على مثلث الحدود السورية - الأردنية - الفلسطينية، وهو ما أثار التباساً بشأن إمكانية تعرّض المنطقة لغارة إسرائيلية.

تقرير

الفصائل العراقية تتجنّب استهداف إسرائيل من سورية

على الرغم من تعدد استهداف الفصائل العراقية لإسرائيل أخيراً، غير أنها لا تزال ممتنعة عن إطلاق هجماتها من سورية، لحسابات عدة

بغداد ـ **محمد الباسم**

واصلت الفصائل العراقية المنضوية تحت اسم «المقاومة الإسلامية» للأسبوع الثاني على التوالي عملياتها ضد مواقع وأهداف للاحتلال الإسرائيلي داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة والجولان السوري المحتل، بواسطة طائرات مسيرة وصواريخ كروز مطورة، وسط تأكيدات منها على استمرار تلك العمليات حتى توقف العدوان على غزة ولبنان. وعمدت «المقاومة الإسلامية» في العراق إلى تبنّي عملياتها عبر بيانات رسمية لها، للإشارة من خلالها إلى انطلاق عملياتها من داخل الأراضي العراقية، وهو ما أكده أيضاً مراقبون ومقربون من تلك الفصائل بالقول إن مقر انطلاق العمليات هو من أراضي أقصى غربي محافظة الأنبار العراقية، المحاذية لسورية والأردن، وهو شريط حدودي يمتد بطول أكثر من 300 كيلومتر. وكشف مسؤول عراقي بارز في العاصمة بغداد، لـ«العربي الجديد»، أن الحكومة العراقية رفضت أخيراً ضغوطاً أميركية مختلفة، لدفعها إلى منع هجمات الفصائل المسلحة التي تنطلق من الأنبار باتجاه الأراضي الفلسطينية المحتلة.

ورغم امتلاك الفصائل العراقية حضوراً مهماً في الجغرافيا السورية، وأبرزها مواقع في حمص (وسط)، ودرعا وريف دمشق (جنوب)، للمشاركة في دعم قوات النظام السوري، إلا أن تجنيها استعمال مواقعها في سورية لتنفيذ الهجمات طرح عدة تساؤلات حول السبب، خصوصاً أن المسافة التي تقطعها المسيرات والصواريخ ستكون أقصر بنحو النصف، إلى جانب حقائق عسكرية تتعلق بدقة الإصابة وضمان تحقيق الهجوم هدفه. وأعلن، الجمعة الماضي، عن مصرع جنديين إسرائيليين وجرح 24 آخرين بهجوم بواسطة طائرة مسيرة قال جيش الاحتلال الإسرائيلي إنها انطلقت من العراق، الأربعاء الماضي، وهو ما تأكد من بيان لـ«المقاومة الإسلامية» في العراق، تبنى الهجوم على موقع لجيش الاحتلال في الجولان السوري المحتل بواسطة طائرتين مسيرتين. وتعهدت «المقاومة الإسلامية» بمواصلة عملياتها حتى انتهاء العدوان الإسرائيلي على لبنان وغزة، وتوعدت في سورية تراجع كثيراً خلال العامين الماضيين، لكن هناك ممثليات ومكاتب المفخخة وصواريخ كروز المطورة التي تطلق عليها اسم «الأرقب»، وهو نوع من الصواريخ الذي يصل إلى مدى يقدر بنحو 700 إلى 800 كيلومتر وبرأس حربي متفجر طوربه مصانع تلك الفصائل خلال السنوات الماضية. ومنذ انطلاق عملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر/ تشرين الأول 2023، لم تبادر الفصائل العراقية إلى إطلاق أي هجمات من مواقع وجودها في سورية، القريبة من الأراضي الفلسطينية المحتلة مقارنة بالعراق، مع احتمالات تحقيق إصابات أكثر ضماناً، في مؤشر إلى احتمال تحفظ النظام السوري على إطلاق الفصائل الهجمات من الداخل السوري. وتواصلت «العربي الجديد» مع أربعة مصادر من ممثلي الفصائل المسلحة في بغداد، رفضوا أشار إلى أن «الوضع السوري لا يتحمل مزيداً من التعقيد، كما أن روسيا لا تريد أن تتحول سورية إلى ساحة قتال جديدة». وأكد المصدر أن «تمثيل الفصائل العراقية في سورية تراجع كثيراً خلال العامين الماضيين، لكن هناك ممثليات ومكاتب وعدداً قليلاً من المقاتلين ما زالوا هناك». وأضاف أن «القرار السوري يمضي باتجاه النأي بالنفس، وتدعم روسيا هذا الخيار»، مؤكداً أن «دور الفصائل المسلحة انتهى فعلياً في سورية في الوقت الحالي، ليس كما كان عليه في السنوات الماضية، فقد تراجع كثيراً، وجزء منه يعود لتطورات الاتفاقات الإيرانية الروسية السورية بخصوص الشأن السوري، وترى روسيا أن ليس من مصلحتها تعميق الخلاف السوري الإسرائيلي». من جهته، أشار عضو البرلمان العراقي، القيادي في منظمة بدر معين الكاظمي، إلى أن «الحرب الوحشية التي يقودها الكيان الإسرائيلي على قطاع غزة منذ عام كامل، والممارسات الوحشية لجيش الاحتلال في مناطق جنوب لبنان، وقصف بنى تحتية ومواقع مهمة في اليمن، والتجاوزات المستمرة على السيادة السورية والعراقية، تجعل المقاومة الإسلامية في العراق تدافع عن كل المناطق التي يتم استهدافها من منطلق عقائدي ووطني وإسلامي، وبالتالي فإن إسرائيل لم تحترم الحدود والسيادة الوطنية لكل هذه الدول، ومن حق كل الدول استخدام حق الدفاع عن النفس وضرب الكيان الصهيوني». وأضاف الكاظمي في حديث لـ«العربي الجديد»، أن «عدم استخدام الأراضي السورية من قبل الفصائل العراقية يعود إلى احترام القرار والسيادة السورية، إلى جانب حسابات أخرى»، لم يكشف عنها. وأوضح أن «الفصائل على الكيان الإسرائيلي، وكانت ضرباتها موجعة». بدوره، رأى أستاذ الدراسات الأمنية في معهد الدوحة للدراسات العليا مهند سلوم أن «جميع الفصائل المسلحة لم تستخدم الأراضي السورية لضرب أهداف في دول أخرى وخصوصاً الكيان الإسرائيلي»، مشيراً في حديث لـ«العربي الجديد»، إلى أن «النظام السوري لا يعتبر نفسه جزءاً من محور المقاومة، وهو يريد أن يبتعد عن المحور للمحافظة على نفسه». والفصائل العراقية التي ما زالت تحافظ على تمثيل لها في سورية، تُوصف عادة بكونها الأكثر قرباً من طهران، أبرزها كتائب حزب الله، بزعامة أبو حسين الحميداوي، وهو القائد الذي خلف أبو مهدي المهندس، كما تمتلك حركة النجباء بزعامة أكرم الكعبي، المدرجة على لائحة الإرهاب الأميركية على غرار كتائب حزب الله، أعداداً من عناصرها في سورية لا تزيد عن خمسة آلاف مقاتل، بحسب مصادر «العربي الجديد»، بالإضافة إلى ممثلية تتبع لحركة عصائب أهل الحق بزعامة قيس الخزعلي. كما تنتشر فيها حركة أنصار الله الأوفياء وفصائل أخرى تمارس نشاطات أمنية وعسكرية محدودة.

مهند سلوم: النظام السوري لا يعتبر نفسه جزءاً من المقاومة

كتائب حزب الله في بغداد، 22 سبتمبر 2024 (مرتضى السوداني/ الأناضول)

شرق غرب

جرحى على جبهة روسيا ـ أوكرانيا

أصيب 16 شخصاً، أمس الأحد، في قصف أوكراني استهدف الانفصاليين في مدينة دونيتسك، شرقي أوكرانيا. وذكر الانفصاليون في بيان أن القصف طاول أيضاً محاور غورلوفكا ودوكوتشيف وديبالتسيفو. من جهتها، أوضحت القوات الجوية الأوكرانية أن روسيا أطلقت 87 طائرة مسيرة هجومية وأربعة صواريخ، ليل السبت ـ الأحد، مشيرة عبر منصة تليغرام، إلى أنه تم تدمير 56 مسيرة وصاروخين، من دون الإدلاء بتفاصيل عن باقي المسيرات والصاروخين.

(قنا، رويترز)

بكين وبيونغ يانغ لتعميق التعاون

أكد الرئيس الصيني شي جين بينغ (الصورة)، أمس الأحد، لنظيره الكوري الشمالي كيم جونغ أون أن بكين تأمل في «تعميق التعاون الودي» مع بيونغ يانغ، وفق ما أوردت وسائل الإعلام الرسمية، بمناسبة الذكرى الـ75 لبدء العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. وقالت وسائل الإعلام الرسمية في كلا البلدين إن شي وكيم تبادلا رسائل التهنئة، الأحد، بهذه المناسبة. من جهته، تعهد كيم في رسالته للرئيس الصيني «بالسعي جاهداً لتعزيز وتطوير العلاقات الودية والتعاونية بين البلدين وفقاً لما يتطلبه العصر الجديد».

(فرانس برس، رويترز)

ترامب يعود إلى موقع محاولة اغتياله

عاد الرئيس الأميركي دونالد ترامب، مساء أول من أمس السبت، إلى مقاطعة بتلر في بنسلفانيا، حيث تعرض لمحاولة اغتيال في 13 يوليو/ تموز الماضي، وشدّد في كلمة أمام أنصاره، خلال تجمع انتخابي، على أنه «قبل 12 أسبوعاً، هنا، حاول قاتل إسكاتي وإسكات حركتنا... لكن يد العناية الإلهية منعته». وأضاف «لن أستسلم أبداً، لن أنكسر أبداً». وشارك الملياردير إيلون ماسك في التجمع، معتبراً أن الانتخابات الأميركية «معركة يجب ألا نخسرها»، خشية من أنه إذا ما تمت خسارتها فستكون «آخر انتخابات، هذا هو توقعي».

(فرانس برس)

صدامات رواندا والكونغو الديمقراطية

كشف وزير الخارجية الرواندي أوليفييه ندوهونغيريهي (الصورة)، مساء أول من أمس السبت، أن نظيرته الكونغولية الديمقراطية تيريز كايكوامبا فاغنر رفضت توقيع اتفاق في 14 سبتمبر/ أيلول الماضي، كان قد تم التوافق عليه للمساعدة في إنهاء حركة 23 مارس، المتمردة في شرق جمهورية الكونغو الديمقراطية. وتتهم الكونغو الديمقراطية والأمم المتحدة ودول أخرى رواندا بدعم الحركة بالأسلحة والقوات، فيما تنفي رواندا ذلك.

(رويترز)

قتلى في اشتباكات بباكستان

قتل ستة جنود من الجيش الباكستاني، بينهم ضابط وثمانية مسلحين، خلال عمليتين أمنيتين منفصلتين في باكستان، مساء أول من أمس السبت. ونقل راديو باكستان عن مصادر في الجيش الباكستاني قولها إن العمليتين حصلتا في مقاطعتي وزيرستان وخيبرپختونخوا.

(قنا)

قضية

بعد عام على عملية طوفان الأقصى التي نفذتها حركة حماس في 7 أكتوبر/ تشرين الأول 2023 وحرب الإبادة التي تشنها إسرائيل على قطاع غزة وسط عجز عن ردعها وإلزامها بوقف إطلاق النار، يمكن التوقف عند عدد من الملاحظات التي أفرزها عام كامل من المجازر والمواقف

عام على 7 أكتوبر

ملاحظات وتساؤلات وتحولات

من تظاهرة في لندن تطالب بوقف العدوان على غزة، 5 أكتوبر (Getty)

لندن ـ العربي الجديد

فاجأت حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، قبل عام، في السابع من أكتوبر/ تشرين الأول المؤسسات الإسرائيلية، بعدما شنّت هجوماً خاطفاً على مواقع لجيش الاحتلال في مناطق غلاف قطاع غزة لتنتج سريعاً في السيطرة على أبرز المواقع العسكرية الموجودة على حدود القطاع، إلى جانب تمكنها من دخول عدة مستوطنات. العملية التي أطلقت عليها الحركة اسم «طوفان الأقصى»، والتي جاءت بعد التغول الإسرائيلي في الاعتداءات والانتهاكات بحق الفلسطينيين في مختلف الأراضي الفلسطينية المحتلة، شكلت نقطة تحول في الصراع مع الاحتلال، ليس فقط لتداعياتها على الداخل الإسرائيلي حيث طغت أسئلة الفشل العسكري الذي «سمح» بتنفيذ حركة حماس للعملية، ودور الانقسامات غير المسبوقة في المجتمع الإسرائيلي التي كانت قد وصلت إلى ذروتها على خلفية الإصلاحات القضائية التي كانت حكومة بنيامين نتنياهو تسعى لتمريرها لإضعاف القضاء، بل لأنها أطلقت يد الاحتلال في حرب وحشية لا تزال مستمرة حتى اليوم لإبادة سكان قطاع غزة. وكان من نتائجها استشهاد نحو 42 ألف فلسطيني وجرح أكثر من 96 ألفاً آخرين فضلاً عن تدمير واسع للقطاع وتهجير سكانه وحصرهم في بقعة ضيقة في إطار استكمال سياسة منهجية قائمة منذ تأسيس دولة إسرائيل. وقد أسست سردية الاحتلال ليوم السابع من أكتوبر وتصريحات المسؤولين الإسرائيليين للإبادة المفتوحة منذ اليوم الأول لما بعد العملية عبر نفي ونزع صفة الأبرياء والمدنيين عن أهالي القطاع والمجاهرة بممارسة العقاب الجماعي للسكان في غزة، والحديث عن نية تهجيرهم، ثم جعل قطاع غزة غير قابل لاحتضان الحياة البشرية، قبل أن يجدوا من يلاقيهم في سرديتاهم في الغرب سواء عبر تصريحات لمسؤولين غربيين أو في الإعلام. وإذا كانت أسئلة من قبيل كيفية تحقيق «حماس» هذا النجاح العسكري للتخطيط للهجوم من دون أن يتمكن الاحتلال، بمؤسساته المختلفة، من رصد أي مؤشرات، قد طغت في الأيام الأولى لـ«طوفان الأقصى» ولا يزال يتردد صداها بين الحين والآخر داخل المجتمع الإسرائيلي وسط قناعة بأن وقت الحساب السياسي سيحين وإن تأخر، فإن توالي التصعيد العسكري الإسرائيلي في حرب الإبادة الجماعية والتواطؤ الرسمي الغربي والمواقف العربية الباهتة تجاه العدوان في ظل انخراط دول عربية في مسار التطبيع وناي أخرى بنفسها عما يجري في القطاع، دفع بتساؤلات وملاحظات وحتى خلاصات أخرى للواجهة. وقد ثبت تباعاً على مدى عام حجم العجز عن إجبار الاحتلال على التجاوب مع محاولات وقف إطلاق النار، في ظل التواطؤ والتلاقي الأميركي معه، وهو ما دفعه ليس فقط للإيغال في عدوانه على القطاع بل لتوسيع حربه على الضفة الغربية التي لم يخفِ نيته تحويلها إلى غزة مصغرة، فضلاً عن شنّه عدواناً آخر على لبنان أخذ في التصاعد يومياً وبسيناريو مماثل للجرائم في غزة.

وبعد عام بات بالإمكان القول إنه تأكد مع كل يوم إضافي يمرّ للعدوان أن للحرب على غزة هدف واحد بالنسبة لإسرائيل وهو القضاء على حركة حماس وحكمها للقطاع وليس إعادة المحتجزين الإسرائيليين والأجانب الذين تم نقلهم إلى قطاع غزة، بعدما أفشل رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو جميع مبادرات إطلاق سراحهم عبر صفقات تبادل. وتفيد التقديرات بأن عدد المحتجزين كان نحو 251، لا يزال 101 منهم محتجزين، بينما يقول جيش الاحتلال إن نحو 33 محتجزاً قتلوا، بينما تم تبادل العدد الباقي أو تمكن جيش الاحتلال من الوصول إليهم وإخراجهم. وإذا كان الأداء العسكري للمقاومة منذ اليوم الأول لبدء الاحتلال عدوانه عقب هجوم السابع من أكتوبر قد ظهر متقدماً وقادراً على توجيه الضربات للجيش الإسرائيلي، ولا يزال مستمراً في إفشال مخططاته العسكرية للقطاع، فإن أوجه القصور تركزت على المستوى السياسي والإعلامي. واستغرقت حركة حماس نحو ثلاثة أشهر لتقدم سرديتها الكاملة للعملية ووضعتها في وثيقتها التي أعلنت عنها في 21 يناير/ كانون الثاني الماضي وحملت عنوان «هذه روايتنا... لماذا طوفان الأقصى»، في سياق «خطوة ضرورية واستجابة طبيعية، لمواجهة ما يحاك من مخططات إسرائيلية تستهدف تصفية القضية الفلسطينية، والسيطرة على الأرض وتهويدها، وحسم السيادة على المسجد الأقصى والمقدسات، وإنهاء الحصار الجائر على قطاع غزة، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس»، مشيرة إلى أن معركة الشعب الفلسطيني مع الاحتلال والاستعمار لم تبدأ في السابع من أكتوبر 2023 وإنما بدأت قبل ذلك منذ 105 أعوام من الاحتلال: 30 عاماً تحت الاستعمار البريطاني و75 عاماً من الاحتلال الصهيوني».

ولا يخفى أن هناك تجاوزات حصلت في عملية السابع من أكتوبر تتعلق بخطف مدنيين وقتلهم، وهو ما لم تغفله الحركة، وإن أشارت في وثيقتها إلى أنه «ربما يكون قد حدث بعض الخلل في أثناء تنفيذ عملية طوفان الأقصى، بسبب انهيار المنظومة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية بشكل كامل وسريع، وحدوث بعض الفوضى نتيجة الاختراقات الواسعة في السياج والمنظومة الفاصلة بين قطاع غزة ومناطق غلاف». وبقيت الحركة عاجزة عن تقديم أجوبة حول أسباب تجاهل حماية المدنيين الفلسطينيين وتأمين احتياجاتهم عند تخطيطها للهجوم. ومن الملاحظات التي يمكن التوقف عندها طويلاً عقب عام من الحرب ما أظهرته من انحياز واسع من وسائل إعلام غربية للرواية الإسرائيلية بكل ما تحمله من أكاذيب وتدليس وتحريف للوقائع فضلاً عن مكارثية جديدة لاحقت المتضامنين مع الفلسطينيين سواء داخل الولايات المتحدة أو في العديد من الدول الغربية، والذين تصاعدت تحركاتهم تباعاً بما يعكس التغييرات في جزء من الرأي العام العالمي تجاه العدوان الإسرائيلي والتعاطي مع القضية الفلسطينية بوصفها قضية جامعة مثل قضية جنوب أفريقيا قبل سنوات، قبل أن تعود هذه التحركات لتفتر ليس فقط بسبب القمع الذي ووجهت به بل أيضاً بسبب طول فترة الحرب. لكن مع ذلك يبقى بالإمكان البناء على هذه التحركات مستقبلاً في ظل مسؤولية يتعين على القيادات الفلسطينية تحملها عبر تطوير خطابها ليكون قابلاً للتفاهم والتوجه إلى هؤلاء الذين أثبتوا وعيهم وعدم انجرارهم وراء سرديات حكوماتهم، خصوصاً في الولايات المتحدة.

ولم تكن لإسرائيل القدرة على التغول في حربها لولا الموقف الأميركي الذي يشترك معها في أهداف الحرب، وخصوصاً لجهة القضاء على حكم حركة حماس وقدراتها. وقد تكرست المواقف الأميركية المتتالية، والتي ظهرت بشكل فج من خلال تكرار استخدام الفيتو في مجلس الأمن لحماية إسرائيل من جميع الجرائم والمجازر المرتكبة وتبني السرديات الإسرائيلية إلى جانب التماهي معها في المواقف السياسية. كما انخرطت دول أوروبية وازنة في حماية الاحتلال، بينما ذهبت دول أخرى نحو الاعتراف بدولة فلسطينية على حدود الرابع من يونيو/ حزيران 1967، بما يشكله هذا الأمر من إنجاز لم يكن ليتحقق لولا صمود الفلسطينيين من دون أن يكون لأي طرف سياسي دور في ذلك، بينما اختارت بلدان أخرى الاعتراف العام وهو أمر لا معنى له.

> أسست سردية الاحتلال ليوم السابع من أكتوبر للإبادة المفتوحة

> لا يُخفى أن هناك تجاوزات حصلت في عملية 7 أكتوبر

«ضربة رهيبة»

قال رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو، أمس الأحد، إن تل أبيب تلقّت «ضربة رهيبة» قبل عام، وذلك في إشارة إلى الهجوم غير المسبوق الذي كانت حركة حماس قد شنّته في السابع من أكتوبر/ تشرين الأول 2023. وأضاف: «عملنا خلال العام الماضي على تغيير الواقع».

ماذا نعرف عن المحتجزين الإسرائيليين في قطاع غزة؟

يوسف أبو وطفة

في السابع من أكتوبر/ تشرين الأول 2023 بات عشرات المحتجزين الإسرائيليين في قبضة حركة حماس، بين مستوطنين وجنود. وتمكنت الحركة من جلبهم إلى قطاع غزة في هجوم «طوفان الأقصى»، الذي نفذته وطوال مختلف مستوطنات غلاف غزة وكيلومترا. وطالبت حركة حماس ومعها عدد من فصائل المقاومة الفلسطينية، على رأسها حركة الجهاد الإسلامي التي احتجزت أعداداً أقل من الإسرائيليين، بإبرام صفقة تبادل مع الاحتلال الإسرائيلي في مقابل الإفراج عن مئات الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، لا سيما أولئك الذين يقضون أحكاماً بالسجن المؤبد (مدى الحياة)، والذين تصفهم إسرائيل بالملطخة أيديهم بالدماء. وفي بداية الحرب على القطاع أعلنت «حماس» و«الجهاد الإسلامي» عن صفقة «الكل مقابل الكل»، إلا أن الاحتلال أطلق حرب الإبادة التي حملت اسم «السيوف الحديدية»، التي شهدت تدمير مساحة واسعة من القطاع وقتل نحو 50 ألف فلسطيني عدا عن إصابة نحو 100 ألف آخرين، فضلاً عن أسر المئات خلال العمليات العسكرية. وبحسب التقديرات التي أطلقتها حركة حماس وفصائل المقاومة الفلسطينية وجيش الاحتلال الإسرائيلي بعد هجوم السابع من أكتوبر 2023، أضحى عشرات المحتجزين الإسرائيليين في الأسر، وتجاوز عددهم 250 أسيراً وأسيرة غالبيتهم من الإسرائيليين، فضلاً عن بعض الأسيوبين، الذين كانوا يعملون في الأراضي المحتلة عام 1948 مثل الفلبينيين وتايلاند وغيرهما من الدول الأسيوية.

في الأيام الأولى للحرب عرض المتحدث العسكري للحركة أبو عبيدة تسليم المحتجزين المدنيين من دون مقابل، في إطار بادرة «حسن نية»، مع إشارة المقاومة إلى أن عدداً من المحتجزين هم بين أشخاص مدنيين، نجحوا في الوصول إلى الأراضي المحتلة بعد هجوم السابع من أكتوبر المباغت، الذي تخلله فيه المقاومة بشل التحصينات الأمنية للاحتلال، غير أن الاحتلال رفض ذلك العرض وشرع في حربه المدمرة. ومع عمل الوسطاء القطريين والمصريين والأميركيين، توصلت المقاومة لإبرام صفقة تبادل تقوم على إطلاق سراح العشرات من المدنيين الإسرائيليين، في مقابل أسرى فلسطينيين من النساء والأطفال يحتجزهم الاحتلال الإسرائيلي منذ فترات وسنوات متباعدة، جميعهم من الضفة الغربية المحتلة والقدس والداخل المحتل.

وفي هذه الصفقة التي تم التوصل إليها في نوفمبر/ تشرين الثاني 2023، أطلق الاحتلال سراح 240 أسيراً فلسطينياً، 107 منهم أطفال، وثلاثة أرباعهم لم تتم إدانتهم بأي تهم، في المقابل، أطلقت حماس سراح 105 مدنيين، من بينهم 81 شخصاً من إسرائيل و23 تايلاندياً وفيليبينياً واحد. وتمّت الصفقة على مدار سبعة أيام، ورفض الاحتلال تمديدها. وظلّ المحتجزون الإسرائيليون أسرى مساعي الاحتلال على مدار فترات الحرب المدمرة التي دخلت عامها الثاني، عبر محاولته استعادة محتجزيه بأدوات عدة، أبرزها الضغط العسكري، في ظل إفشاله كل العروض التي وضعها الوسطاء للوصول إلى اتفاق. في المقابل، أكدت المقاومة على أن الاحتلال لن يستعيد أسراه بالطرق العسكرية أحياء وأنه سيحصل عليهم جثثاً.

ورغم ذلك فقد نجحت محاولتان قام بهما جيش الاحتلال في استعادة ستة محتجزين إسرائيليين، وكانت البداية في 12 فبراير/ شباط الماضي، حين نفذ الاحتلال عملية عسكرية في مخيم الشابورة بمدينة رفح، جنوبي القطاع، استعاد فيها الأسيرين فرناندو سيمون مارمان ولوميس هار. وعاود الاحتلال الإسرائيلي الكرة بعملية عسكرية دامية نفذها بمخيم النصيرات للاجئين الفلسطينيين في الثامن من يونيو/ حزيران 2024، استعاد فيها أربعة محتجزين إسرائيليين، هم نوعا أرغماني وألموغ مئير وأندري كوزلوف وشلومي زيف، فيما استشهد في الهجوم عشرات الفلسطينيين الذين كانوا في مخيم النصيرات يفعل القصف الإسرائيلي. وشكلت الحادثة مدخلاً لإعلان المقاومة و«كتائب القسام» على وجه الخصوص، التي تحتجز العدد الأكبر من المحتجزين الإسرائيليين، فرصة لتغيير التعامل الأمني والميداني في حال وجود أي خطر أو عملية عسكرية تستهدفهم. وقد شهد الشهر الماضي تبادل اتهامات بين جيش الاحتلال وحركة حماس عقب العثور على جثامين ستة محتجزين إسرائيليين في أحد الأنفاق في رفح.

إسرائيليون بتل أبيب يطالبون بإجراء صفقة تبادل، 5 أكتوبر 2024 (إيز كيدار/الأناضول)

وبحسب الإعلانات الإسرائيلية، فإن الاحتلال وصل لأكثر من 40 جثة، تمكن من استعادتها خلال العمليات العسكرية التي طاولت مختلف المناطق والمدن في القطاع، وسط اتهامات مستمرة من المقاومة له بأن الاحتلال أعدم المحتجزين الإسرائيليين عبر القصف الجوي والمدفعي الذي يقوم به منذ بداية الحرب التي اندلعت قبل عام. ووفقاً للأرقام والمعلومات المتداولة، فإن المقاومة الفلسطينية ما زالت تحتجز 101 إسرائيلي، من بينهم أكثر من 50 على قيد الحياة وفقاً لتصريحات حديثة أدلى بها رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، فيما بات المحتجزون الإسرائيليون المتبقون عبارة عن جثث، إما قتلوا خلال الحرب أو نقلوا جثثاً إلى غزة في يوم الهجوم قبل عام. مع ذلك، اعتبرت عائلات المحتجزين الإسرائيليين في قطاع غزة، مساء أول من أمس السبت، أن نتنياهو قرر التخلي عن ذويهم من أجل الحفاظ على منصبه السياسي. وجاءت الانتقادات في مؤتمر صحافي عقدته عائلات المحتجزين أمام مقر وزارة الأمن الإسرائيلية (الكرياه)، في تل أبيب.

تبدلات إسرائيلية خلال عام

«الخطر الوجودي» يُبعد التصدعات الداخلية عن المشهد

تقرير

حيفا ـ اصطانس شحادة

فوجئت إسرائيل في السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023 بتنفيذ حركة حماس خططاً هجومية كانت معروفة للمخابرات العسكرية الإسرائيلية، لكنها لم تصدق أن الحركة يمكن أن تُقدم على تنفيذ هذه الخطط. وباغتتها قدرات «حماس» وضعف الدفاعات العسكرية الإسرائيلية والانهيار السريع لوحداتها على حدود قطاع غزة. في الأيام الأولى لهجوم «حماس» انهارت المعنويات لدى المجتمع الإسرائيلي، وصُنّاع القرار، وسقطت الأفكار المسبقة والأوهام. سقطت المقاربات الأمنية وقدرة الردع، واستراتيجية احتواء «حماس» والفصل بين الضفة الغربية وغزة. وسقطت مقاربات «إدارة الصراع» و«تقليص الصراع» عبر تحسين الحالة الاقتصادية للفلسطينيين تحت حجة جعل الاحتلال بديلاً عن الحقوق القومية الطبيعية، وعن إنهاء الاحتلال وإقامة دولة فلسطينية. بعد هذه المفاجآت بدأت إسرائيل، دولة ومجتمعاً ومراكز أبحاث، تطرح العديد من الأسئلة. وقامت بحملة لترميم حالها، دولة ومجتمعاً، وإعادة بناء قدرة الردع وتغيير الحالة الاستراتيجية، وقررت ألا حدود أو ضوابط في هذا. الأسئلة الأولى وُجّهت إلى المؤسسة العسكرية حول سطحية تعاملها مع التهديدات، والاستهتار بقدرات ونيات «حماس»، وحول قدرات الجيش الحقيقية. كذلك وُجّهت أسئلة صعبة واتهامات تجاه الحكومة وصنّاع القرار السياسي، تحديداً إلى رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو بأن سياسته وتصرفاته منذ تشكيل الحكومة الحالية نهاية العام 2022، خصوصاً الخطة الحكومية لتقييد القضاء، زادت من التصدعات الداخلية وجعلت إسرائيل منقسمة، وأضعفت قدرة الردع الإسرائيلية وشجعت «حماس» على تنفيذ مخطط الهجوم.

كان من المتوقع أن يؤدي هجوم السابع من أكتوبر إلى توسيع التصدعات السياسية والاجتماعية، إلى حد يهدد بتماسك المجتمع وقدرات الردع في إسرائيل. لكن، على الرغم من كل الخلافات لم يحدث ذلك. يمكن تفسير ذلك بأن المجتمع الإسرائيلي بكامل تياراته وانتماءاته السياسية والاجتماعية تعامل مع نتائج هجوم السابع من أكتوبر كونها تهديداً وجودياً يطفو على أي اختلاف داخلي، وأن المشروع الصهيوني تحت تهديد وجودي.

الإخفاق الكبير والغضب على المؤسسة العسكرية والسياسية لم يمنع تجذّر المجتمع الإسرائيلي للمجهود العسكري. نسبة التجنيد في قوات الاحتياط كانت مرتفعة جداً، وقامت مجموعات ومؤسسات عديدة في التجنّد وجمع التبرعات لتوفير ما ينقص من احتياجات لقوات الجيش والاحتياط، من معدات وأغذية وأحياناً المعدات العسكرية.

هجوم السابع من أكتوبر فتت العقيدة الأمنية الإسرائيلية واستراتيجية الردع والحسم السريع، ومحاولة تقليل الخسائر البشرية قدر الإمكان، ومنع ضرر اقتصادي ومدني في الجبهة الداخلية. كل هذا تغيّر بعد السابع من أكتوبر. بات المجتمع والمؤسسة العسكرية أكثر استعداداً لقبول حرب طويلة، فيها أثمان بشرية ومادية كبيرة، وخسائر اقتصادية. وارتكب الجيش الإسرائيلي منذ بداية الحرب جرائم حرب وإبادة، ومستوى القتل والدمار لم يكن له شبيه. الجيش الإسرائيلي أراد الانتقام لإخفاقه، وكان بحاجة إلى ترميم مكانته أولاً وقبل كل شيء أمام المجتمع الإسرائيلي. بذلك ألغى كل الخطوط الحمراء، واعتبر أن كل فلسطيني في غزة كان شريكاً في هجوم السابع من أكتوبر. المجتمع الإسرائيلي لم يعارض أياً من هذه الخطوات، ولم يحتج على ارتكاب المجازر وقتل المدنيين والأطفال والنساء. المجتمع الإسرائيلي وصنّاع القرار كسروا في حرب الإبادة الفكرة القائلة إن إسرائيل لا تترك أسراها ولا تتنازل عنهم. نتنياهو وضع قضية الأسرى والمخطوفين في مكانة ثانوية مقابل تحقيق أهداف الحرب المعلنة. قسم كبير من المجتمع الإسرائيلي قبل هذه المعادلة وفهم أن إعادة الأسرى والمخطوفين مؤجلة لغاية تحقيق بقية أهداف الحرب. قسم آخر من المجتمع ما زال يطالب بوضع قضية تحرير الأسرى والمخطوفين على رأس سلم الأولويات.

> المجتمع الإسرائيلي تعامل مع نتائج 7 أكتوبر كتهديد وجودي

> تراجعت التصدعات والخلافات حول مصير الاحتلال والاستيطان

تظاهرة للحريديم ضد قرار تجنيدهم بالجيش، مايو 2024 (مصطفى الخروف/الأناضول)

تحوّل هذا المحور إلى موضوع خلافي في المجتمع الإسرائيلي، إلا أنه لم يتطور إلى درجة تهديد التماسك الداخلي.

موضوع خلافي آخر برز منذ السابع من أكتوبر، ويشكّل تصدعاً سياسياً جديداً، هو قضية إعفاء طلاب المعاهد الدينية والشباب الحريدي من الخدمة العسكرية. غالبية المجتمع الإسرائيلي تطالب بتحديد أعداد الإعفاءات من الخدمة العسكرية للشباب الحريدي. الأحزاب الدينية المتزمتة-الحريدية ترفض بالمطلق تغيير الوضع القائم وتمنع سنّ قانون يفرض حلاً وسطاً لتجنيد الشباب الحريدي. على الرغم من حدة الخلافات بين الأحزاب السياسية حول هذا الموضوع، إلا أنه لم يؤدِ لغاية الآن إلى تفكك الحكومة ولم يؤدِ إلى أزمة جدية داخل المجتمع الإسرائيلي. نجح نتنياهو في المناورة في هذه القضية، وفي احتواء رفض الأحزاب الحريدية لأي تغيير في الوضع القائم، من جهة، واحتواء المطالب بزيادة أعداد التجنيد للشباب الحريدي داخل حزب الليكود وأحزاب التحالف الحكومي، من جهة أخرى. وبدأت إسرائيل في الأسابيع الأخيرة حرباً واسعة أمام حزب الله، تحوّلها أيضاً إلى حرب وجودية لحزب الله، بعد أن كانت تدعي أنها تخشى احتمال الحرب الواسعة على أكثر من جبهة بالتوازي، ويبدو فعلاً أنه لم يكن باستطاعتها القيام بذلك بدون خسائر باهظة وأثمان كبيرة. لكن إسرائيل عملت على مدار العام على منع توسع الجبهة الشمالية قبل أن تكون مستعدة لذلك، وقبل أن تنجز العمليات العسكرية الواسعة في غزة. بذلك لم تتغير الفرضية بأن إسرائيل لا تفضّل خوض حرب واسعة في عدة جبهات بالتوازي. وما حصل أن إسرائيل قلّصت العمل العسكري في غزة إلى درجة تمكّنها من فتح جبهة لبنان على نحو مفاجئ، وبأسلوب همجي ووحشي يمنع إلحاق أضرار واسعة بالجبهة الداخلية، كما حصل فعلاً لغاية الآن.

في المجمل، لم يؤدِ هجوم السابع من أكتوبر والإخفاق الكبير، والخسائر الإسرائيلية الكبيرة، العسكرية والمدنية، وضرب العقيدة الأمنية وقدرات الردع، إلى توسع التصدع والانقسام الداخلي في إسرائيل، ولم يحصل انهيار في تماسك المجتمع ولا في المؤسسة الأمنية والعسكرية، ولم يتفكك التحالف الحكومي. كما لم تلغ حالة الطوارئ والشعور بالخطر الوجودي الاختلافات السياسية ولا التصدعات داخل المجتمع الإسرائيلي. قسم من التصدعات التقليدية خبا وتراجع، وبرزت مكانه تصدعات جديدة، خصوصاً حول صفقة التبادل وتحرير الأسرى والمخطوفين وحول تجنيد الشباب الحريدي. كما تراجعت التصدعات والخلافات حول مصير الاحتلال والاستيطان، وبات هناك شبه إجماع حول أفول إمكانية حل الدولتين. لا يمنع هذا كله طبعاً توسع التصدعات والاختلافات بعد انتهاء الحرب والخروج من أجواء التهديد الوجودي.

إسرائيل بعد السابع من أكتوبر، كما قبله، تجاهلت الأسئلة السياسية الصعبة. سؤال استمرار احتلال شعب آخر ومنعه من الحرية والاستقلال، والتمسك بالقمع والاستغلال والقتل والاستعمار. وها هي بعد السابع من أكتوبر تتخلى علناً ونهائياً عن الحلول السياسية والسلمية، التي من شأنها أن تغيّر الواقع بشكل حقيقي وجوهري لسكان البلاد كافة. ولم تستنتج أن أي احتلال وقمع للشعوب لا يمكن أن يدوم. بدل ذلك تستمر في اختيار الحلول العسكرية والأمنية، وتهرب إلى الأمام، وها هي تأخذ المنطقة إلى مغامرة عسكرية أخرى لا يستطيع أحد التكهن بنتائجها.

معبر رفح بين الإغلاق والتدمير

القاهرة ـ العربي الجديد

منذ اندلاع الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة في 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023، شهد معبر رفح البري ومحور صلاح الدين، الواقعان على الحدود بين غزة ومصر، تطورات سياسية وأمنية وعسكرية بالغة الأهمية. ويعتبر هذان الموقعان شريانَي حياة رئيسيين لسكان غزة، إذ يتيحان تدفق الإمدادات الإنسانية والمواد الأساسية في ظل الحصار الإسرائيلي المفروض على القطاع منذ سنوات، ويشكّلان منفذاً مهماً لسكان غزة إلى العالم الخارجي. ومنذ بداية الحرب على غزة، كان معبر رفح ومحور صلاح الدين في قلب الأحداث العسكرية والأمنية والسياسية، وعلى الرغم من الجهود الدولية والإقليمية لتخفيف الأزمة الإنسانية، إلا أن التوترات العسكرية والأمنية المستمرة جعلت من الصعب تحقيق تقدم ملموس في هذا الملف.

ومنذ انسحاب الاحتلال من غزة في عام 2005، أصبح معبر رفح البوابة الوحيدة غير الخاضعة للسيطرة الإسرائيلية. ومع ذلك، بقي المعبر تحت رقابة مشددة من الجانبين المصري والإسرائيلي في فترات النزاع، ويخضع لسياسات معقّدة ناتجة عن الأحداث الأمنية والسياسية في المنطقة. في 7 أكتوبر 2023، ومع بدء الحرب بين إسرائيل و«حماس»، ومع تصاعد القتال، أغلقت مصر معبر رفح أمام حركة المسافرين وأبقته مغلقاً حتى يناير/ كانون الثاني 2024، ما أدى إلى تفاقم الأزمة الإنسانية في غزة، وزاد من تعقيد الوضع الإنساني في غزة، حيث يعتمد السكان على هذه الأنفاق أيضاً لتأمين السلع الأساسية. أثّر القصف على المعبر، وتعرّضت مناطق قريبة من معبر رفح للقصف الجوي، وبات من الصعوبة فتح المعبر بشكل آمن ومستمر أمام المساعدات. وفي مايو الماضي، فقَد الغزيون أملهم الأخير، الذي كان معلّقاً على المنفذ البري الوحيد المتوفر، بعد انتشار فيديوهات تصوّر معبر رفح بعد اقتحامه من قوات الاحتلال والسيطرة عليه على مدار حوالي شهر ونصف شهر، وقد دُمّر بالكامل في جهتي الاستقبال والمغادرة.

وتزايدت تدريجياً كشوف المسافرين الفلسطينيين الصادرة عن وزارة الخارجية المصرية، التي كانت مخصّصة أصلاً لسفر المصريين الذين كانوا في قطاع غزة، منذ بدء الحرب الإسرائيلية، وبدأت تضم أسماء عشرات الفلسطينيين بعد دفعهم مبالغ مالية عبر «سماسرة»، ليُجرى تسجيلهم في هذه الكشوف التي يُعلن عنها بشكل يومي عبر وزارة قوات الاحتلال على استهداف الأنفاق الحدودية في محور صلاح الدين، حيث ادعت إسرائيل أن هذه الأنفاق تُستخدم لتهريب الأسلحة من قطاع غزة وإليه. وتعرّضت المنطقة لقصف مكثف خلال الأيام الأولى من الحرب، ما تسبّب في دمار واسع النطاق.

وقامت قوات الاحتلال باستهداف القوات المصرية الموجودة على الجانب الآخر من الحدود. ففي 22 أكتوبر 2023، أعلن الجيش الإسرائيلي أن إحدى دباباته أصابت «عن طريق الخطأ موقعاً مصرياً» بالقرب من الحدود مع غزة. وفي 27 مايو/ أيار 2024، أطلقت القوات الإسرائيلية النار على الجانب المصري من الحدود، ما أدى إلى مقتل جندي مصري واحد على الأقل. ومع تزايد أعداد الضحايا في غزة نتيجة القصف الإسرائيلي العنيف، تكثّفت الضغوط الدولية على مصر لفتح معبر رفح أمام المساعدات الإنسانية والإجلاء. وفتح المعبر بشكل متقطع لتسهيل مرور قوافل المساعدات الإنسانية، ولكن حركة الإمدادات كانت محدودة بسبب الأوضاع الأمنية المتردية والتدمير الذي لحق بالبنية التحتية على الجانب الغربي. محور صلاح الدين كان أحد أبرز الأهداف العسكرية خلال الحرب، إذ كثّفت إسرائيل هجماتها على الأنفاق الحدودية، وادعت أنها تشكّل تهديداً لأمنها من خلال استخدامها لتهريب الأسلحة والمقاتلين. هذا القصف أدى إلى تدمير عدة أنفاق

> تعرّض محيط معبر رفح ومحور صلاح الدين لقصف متكرر

شرق غرب

تظاهرات داعمة لغزة ولبنان

تظاهر عشرات الآلاف الأشخاص في دول عدة، منها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، مساء السبت وأمس الأحد، دعماً لغزة ولبنان، وإحياءً لمرور عام على «طوفان الأقصى»، والعدوان الإسرائيلي على غزة في السابع من أكتوبر/ تشرين الأول 2023. وفي واشنطن، حاول رجل قدّم نفسه على أنه صحافي إحراق نفسه خلال تظاهرة أمام البيت الأبيض شارك فيها أكثر من ألف شخص رافعين الأعلام الفلسطينية واللبنانية، لكنه نجا. كما شارك عشرات الآلاف المتظاهرين في وسط لندن بتظاهرة مندّدة بالعدوان الإسرائيلي على غزة ولبنان. وفي باريس، تجمع المتظاهرون من ساحة الجمهورية حتى ساحة كليشي، بمشاركة حزب فرنسا الأبية.

(العربي الجديد، فرانس برس)

مؤسسات الأسرى الفلسطينية تطالب باعتقال نتنياهو

طالبت مؤسسات الأسرى الفلسطينية، أمس الأحد، المحكمة الجنائية الدولية بالإسراع في إصدار مذكرات اعتقال بحق رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو وضباط جيش الاحتلال، وذلك في مؤتمر صحافي في قاعة بلدية البيرة وسط الضفة الغربية المحتلة، عقدته في ذكرى مرور عام على حرب الإبادة الجماعية الإسرائيلية في قطاع غزة، وشنّ الاحتلال حرباً انتقامية ضد الأسرى في سجونه.

(العربي الجديد)

اعتقال 15 فلسطينيا في الضفة الغربية

أكدت هيئة شؤون الأسرى والمحررين الفلسطينية ونادي الأسير الفلسطيني، أمس الأحد، أن قوات الاحتلال اعتقلت، بين مساء أول من أمس السبت وصباح أمس الأحد، 15 مواطناً على الأقل من الضفة الغربية المحتلة. وأشارت الهيئة والنادي إلى أن قوات الاحتلال اعتقلت أكثر من 11 ألفاً و100 مواطن من الضفة منذ بدء حرب الإبادة المستمرة والعدوان الشامل على أبناء الشعب الفلسطيني في 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023.

(العربي الجديد)

ترحيب مصري بموقف ماكرون من تصدير السلاح إلى إسرائيل

أبدت وزارة الخارجية المصرية

ترحيبها، أمس الأحد، بدعوة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون (الصورة) لوقف تصدير السلاح إلى إسرائيل، معتبرة في بيان أن الدعوة «تتماشى تماماً مع احترام مبادئ وقواعد القانون الدولي الإنساني، وتعكس الاستياء العارم والمتزايد على المستوى الدولي من العدوان الغاشم الإسرائيلي على غزة ولبنان». وطالبت الخارجية المجتمع الدولي بوضع الدعوة محل التنفيذ.

(العربي الجديد)

قراصنة صينيون يخرقون أنظمة أميركية

ذكرت صحيفة وول ستريت جورنال الأميركية، مساء أول من أمس السبت، أن قراصنة إلكترونيين من الصين تمكنوا من الوصول إلى شبكات مقدمي خدمات النطاق العريض في الولايات المتحدة، وحصلوا على معلومات من أنظمة تستخدمها الحكومة الاتحادية في التنصت على المحادثات الهاتفية بعد الحصول على موافقات قضائية.

(رويترز)

خلال عام من الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، افشل رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو كل مقترحات وقف الحرب والتوصل إلى صفقة تبادل الأسرى مع حركة حماس، أكان عبر استخدام تهديدات حلفائه في الحكومة، أم بشروط وضعها هو، وكل ذلك كي لا يوقف هذا العدوان مع رهانه على الضغط العسكري لاستعادة المحتجزين، وهو ما فشل

هكذا راوغ نتنياهو لتحقيق أهدافه

عام من إفشال مقترحات وقف الحرب

- حسابات سياسية ورهان على الضغط العسكري لاستعادة المحتجزين تعطل صفقات عملت عليها الولايات المتحدة وقطر ومصر
- محطات وقرارات تكشف مسار إغراق المفاوضات بالتفاصيل وصولاً إلى إعلان الحرب على لبنان واستبعاد حصول تفاهمات جديدة

حيفا ـ **نايف زيداني**

مرة تلو الأخرى، أحبط رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو على مدار عام كامل من حرب الإبادة على قطاع غزة أي صفقة محتملة لتبادل الأسرى مع حركة حماس، ووقف الحرب واستعادة 251 إسرائيلياً محتجزاً في القطاع منذ عملية «طوفان الأقصى» في السابع من أكتوبر/ تشرين الأول 2023، لا يزال 101 منهم في الأسر، باستثناء الصفقة الوحيدة التي قادها الوسطاء، قطر ومصر والولايات المتحدة، وتخللتها هدنة في نوفمبر/ تشرين الثاني 2023. حينها أطلقت إسرائيل سراح 240 أسيراً فلسطينياً من نساء وأطفال، فيما أطلقت «حماس» سراح 81 إسرائيلياً و25 أجنبياً. تعتقد إسرائيل أن نحو نصف المحتجزين ما زالوا على قيد الحياة، وهي التي سبق أن قتلت العديد منهم في عملياتها العسكرية، وفوّتت أيضاً عدة فرص لاستعادتهم، بسبب حسابات منها سياسية لدى نتنياهو، الذي فضّل مراعاة مواقف ومطالب بعض شركائه في الائتلاف الحكومي الذين رفضوا جميع مقترحات الصفقة. نتنياهو الذي وافق على إطلاق سراح أكثر من ألف أسير فلسطيني مقابل الجندي جلعاد شاليط عام 2011، هو ذاته الذي يردد أن الضغط العسكري هو السبيل لاستعادة المحتجزين، لكن حكومته استعادت جزءاً منهم جثثاً. ولكن كيف أحبط نتنياهو الصفقة مرة تلو الأخرى منذ الصفقة السابقة؟ هذه أبرز المحطات والقرارات وفق ما كشفته الأحداث أو أوردته وسائل إعلام عبرية.

انهيار التفاهمات

في الليلة الواقعة بين 30 نوفمبر/ تشرين الثاني والأول من ديسمبر/ كانون الأول 2023، انهارت التفاهمات بين إسرائيل و«حماس». أطلق سراح 81 إسرائيلياً في صفقة نوفمبر، وهي الوحيدة حتى الآن منذ بداية الحرب، بالإضافة إلى 25 رهينة آخرين من جنسيات أجنبية. وفي النهار التالي، استأنف الاحتلال القتال في قطاع غزة، بحجة رفض «حماس» تسليم قائمة جديدة بأسماء من سيُطلق سراحهم. وفي الوقت الذي واجهت فيه المفاوضات صعوبات، بدأت التهديدات لأول مرة من قبل الوزيرين بتسلئيل سموتريتش وإيتمار بن غفير، أبرز حليفين لنتنياهو في ائتلافه الحاكم، على خلفية تقارير تفيد بأن إسرائيل تدرس على ما يبدو إبرام صفقة شاملة تشمل إنهاء الحرب. تهديدات عادت مراراً وتكراراً، طوال الأشهر الماضية، لكن نتنياهو نفسه أراد أيضاً إطالة أمد الحرب، واستخدم الوزيرين ذريعة أمام الوسطاء، خصوصاً الولايات المتحدة، زاعماً أن حكومته قد تكون في خطر. في 13 ديسمبر رفض نتنياهو عرض رئيس «الموساد» «يفيد بارنيع للسفر إلى قطر في محاولة للتقدّم بصفقة أخرى. وفي الـ21 من الشهر نفسه، أوعز إلى فريق المفاوضات بالاستماع فقط إلى ما يعرضه الوسطاء. وفي 24 ديسمبر، طُرحت مبادرة مصرية لصفقة على ثلاث مراحل لوقف إطلاق النار، يجري في نهايتها إنهاء الحرب، فيما منع نتنياهو في اليوم التالي، وزير الأمن يوآف غالانت من إجراء مناقشة خاصة مع رئيس «الموساد» حول صفقة تعيد المحتجزين الإسرائيليين. بعد أسبوع أعلنت حركة حماس من جهتها تعليق المحادثات مع الوسطاء بعد اغتيال الاحتلال نائب رئيس المكتب السياسي صالح العاروري في بيروت في 2 يناير/ كانون الثاني 2024. وفي الفترة نفسها تبنّى مجلس إدارة الحرب الإسرائيلي (كابينت الحرب) نهج عدم التحدّث مع الوسطاء عن الآلية التي تحدد عدد الأسرى الذين يُطلق سراحهم في الصفقة، إذ افترضت إسرائيل أن التركيز على هذه القضية سيُفشل المفاوضات، وليس بالضرورة من جانب «حماس»، سموتريتش، الذي عمد نتنياهو في أكثر من مناسبة إلى تسريب معلومات له ليكشفها بدوره على الملأ ويفشل الصفقة. وقال سموتريتش: «أعارض صفقة، تكون فيها الألبات أكبر (ألبات إطلاق أسرى فلسطينيين)، والهدنة أطول». ولم تكن التفاصيل التي نُشرت في تقارير إعلامية بشأن موافقة إسرائيل على إطلاق سراح ما بين 18 إلى 33 محتجزاً ضمن الصفقة الإنسانية غريبة عنه على الإطلاق، داخل غرفة «كابينت الحرب»، الذي هو ليس جزءاً منها، كان الحديث يدور عن صفقة من ثلاث مراحل، تشمل كل واحدة منها هدنة لمدة 42 يوماً، يوم واحد لكل محتجز.

واصل نتنياهو التشدد في مواقفه إزاء أي صفقة محتملة، طوال شهر فبراير/ شباط 2024، فيما حاول المستوى المهني الإسرائيلي التوصّل إلى صفقة إنسانية قبل بدء شهر رمضان، تعيد جزءاً من المحتجزين الإسرائيليين، بانياً على حاجة سكان قطاع غزة للمساعدات الإنسانية. وسمح نتنياهو من التوجه لجولة أخرى من المحادثات في القاهرة. في 22 مايو، قررت عائلات المراقبات في الجيش الإسرائيلي من ناحل عوز أسيرات في غزة، نشر مقطع فيديو من اعتقالهن وأقتيادهن للقطاع، ما أعاد الضغط مرة أخرى إلى مناقشات «كابينت الحرب» بشأن الحاجة إلى صفقة، بتأييد جميع الوزراء، فيما بقي نتنياهو وحيداً في هذه القضية. وأدى هذا إلى استئناف الفريق المفاوض اتصالاته، فيما وافق «كابينت الحرب» على ما سيُسمى لاحقاً «مقترح نتنياهو».

عرضت إسرائيل في «مقترح نتنياهو»، بحسب تقارير إسرائيلية وأجنبية، «تهدئة دائمة تؤدي إلى وقف دائم لإطلاق النار، وانسحاب قوات الجيش الإسرائيلي من قطاع غزة بأكمله، وإعادة بناء غزة، وفتح المعابر الحدودية، وتسهيل حركة الأشخاص ومرور البضائع». واقترحت إسرائيل في الوثيقة نفسها، البدء بـ«الانسحاب إلى شارع الرشيد شرق شارع صلاح الدين»، ووافقت أيضاً على «الانسحاب من وسط قطاع غزة، بما في ذلك محور نيتساريم (الذي يقسم القطاع)، من دون أن يمرّ مسلحون للشمال (إلى شمال القطاع)». وفي بند آخر، فإن إسرائيل «توافق على إعلان تهدئة دائمة ووقف جميع الأعمال العسكرية والعدائية بصورة دائمة»، لكن يبدو أن نتنياهو كان يراوغ مجدداً، بحسب ما سيتبيّن لاحقاً.

في 31 مايو 2024، أشار الرئيس الأميركي جو بايدن إلى مقترح نتنياهو، مصرّحاً: «اقترحت إسرائيل اتفاقاً جديداً وشاملاً لوقف إطلاق النار. هذا مقترح لوقف دائم لإطلاق النار وإطلاق سراح جميع المختطفين». وعلى الرغم من أن نتنياهو بنفسه صاغ المقترح الذي عرضه بايدن، إلا أن ديوان نتنياهو تنصّل منه فجأة. وجاء في بيان صادر عنه حينها «شروط إسرائيل لإنهاء الحرب لم تتغير: تدمير قدرات حماس العسكرية وحكمها، وإطلاق سراح جميع الرهائن، والتأكد أن غزة لن تشكل بعد الآن تهديداً لإسرائيل». وبعد يوم واحد من ذلك في 2 يونيو، أعلن بن غفير أنه «إذا استمر رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو في قيادة هذه الصفقة، فسنفكّك الحكومة».

تعطيل جديد

في شهر يوليو/ تموز 2024، كان واضحاً أن حركة حماس تتجه للموافقة على مقترح نتنياهو الذي عرضه بايدن، بعد مؤشرات إيجابية سبقت الموافقة الرسمية، الأمر الذي من شأنه إحراج نتنياهو، وإثارة حفيظة بعض شركائه في الائتلاف. وقال سموتريتش في 2 يوليو: «نرى المزيد والمزيد من مؤشرات الانكسار لدى حماس، والمزيد من قادة حماس يشعرون باقتراب نهايتهم. ولن أفاجأ إذا ردّ السنوار بشكل إيجابي على مقترح الصفقة الذي حصل عليه، بعد أشهر من الرفض، لأنه في حالة ارتباك، ويدرك أننا قريبون جداً من النصر، وعليه برغب في إنقاذ نفسه وسلطة حماس في غزة. وتحديداً من أجل ذلك، ليس هذا هو وقت التوقّف (عن الحرب)».

ومرة أخرى بدا واضحاً أن سموتريتش تلقّى معلومات من مصدر «مجهول»، هو عملياً نتنياهو، بعدما فهم إسرائيلياً في مشاورات مغلقة، أن «حماس» تميل إلى قبول الصفقة وإبداء تنازلات. وعندما وصل جواب «حماس»، اعتبره فريق التفاوض الإسرائيلي، أنه أفضل رد تلقّوه حتى الآن. إلا أن مكتب نتنياهو نشر لاول مرة بياناً باسمه أعلن فيه أن «إسرائيل لن توافق على عودة الآف المسلحين إلى شمال قطاع غزة، ولن تسمح بتهريب الأسلحة إلى حماس من مصر». بهذا وضع نتنياهو محور صلاح الدين (فيلادلفي) الحدودي بين قطاع غزة ومصر شرطاً واضحاً وصريحاً لأول مرة. وقبيل مغادرة نتنياهو واشنطن، في الزيارة التي ألقى خلالها خطاباً في الكونغرس في 24 يوليو، ضغط عليه الأميركيون لإرسال اقتراح مكتوب آخر، الذي سُمي فيما بعد «وثيقة التوضيح». وطلب نتنياهو من هناك ضمان وجود آلية لمنع عودة المسلحين إلى شمال قطاع غزة. وفي الخريطة المرفقة مع الوثيقة المقدّمة لاحقاً، اقترحت إسرائيل أن يقوم جيش الاحتلال فقط بتقليص قواته في محور صلاح الدين مع البقاء في المحور. قبل ذلك، شهدت جلسة «الكابينت» أجواءً صاخبة وصراخاً، حيث قرر نتنياهو أن يتخذ الوزراء قراراً رسمياً بالبقاء في محور صلاح الدين. وحصل ذلك على الرغم من مناشدات كبار المسؤولين الأمنيين بأن وقت المحتجزين الإسرائيليين في غزة ينفد. وعلى مدار شهري أغسطس/ آب وسبتمبر/ أيلول الماضيين، وصولاً إلى اليوم، الذي يتوّج عاماً كاملاً من حرب الإبادة الإسرائيلية على قطاع غزة، لم يحدث أي تقدّم يُذكر بشأن الصفقة، حتى أن الولايات المتحدة وصلت إلى حد الإحباط من سلوكيات نتنياهو، وأعرب مسؤولون أميركيون غير مرة، أنه يصعب إبرام صفقة قبل الانتخابات الأميركية في 5 نوفمبر/ تشرين الثاني المقبل.

تظاهرة في تل ابيب تطالب بصفقة لتبادل الأسرى، سبتمبر الماضي (جاك غويز/فرانس برس)

إخفاق الضغط العسكري

استعاد الاحتلال في يوليو/تموز الماضي جثامين ستة محتجزين إسرائيليين من نفق، فيما قالت المؤسسة الأمنية إنه كان يمكن إنقاذهم من خلال صفقة. هنا، بالإضافة إلى مرات سابقة قتل فيها جيش الاحتلال محتجزين إسرائيليين بقصف أو خلال محاولة تحريرهم، ثبت مرة أخرى فشل النظرية التي حاول بنيامين نتنياهو (الصورة) وعدد من شركائه تسويقها، بأن المزيد من الضغط العسكري يزيد من احتمالات استعادة المحتجزين.

الوقت لتحدير الشارع الإسرائيلي

راهن بنيامين نتنياهو على الوقت في تحدير الشارع الإسرائيلي، وصمد في وجه تظاهرات مطالبة بصفقة، حتى تراجعت، بل أصبح هناك من يلوم أهالي المحتجزين، الذين اتهموا نتنياهو بالتضحية بأبنائهم. وتعزز ذلك لديهم مع إعلان الجبهة الشمالية (مع لبنان) جبهة الحرب الرئيسية. حاول مسؤولون، ومنهم وزير الأمن يوآف غالانت (الصورة)، الترويج بعد نقل الثقل إلى جبهة لبنان، أن أحد أهداف الحرب لا يزال استعادة المحتجزين.

إجهاض قمة باريس الأولى

في 28 يناير/كانون الثاني الماضي، توجّه رئيس «الموساد» ديفيد بارنيع (الصورة) إلى ما سيُعرف بقمة باريس الأولى. وأعلن مكتب بنيامين نتنياهو أن اللقاء، كان بناءً، لكن بعد يومين هدد إيتمار بن غفير بأن إبرام صفقة يعني أنه «لن يكون لهذه الحكومة حق في البقاء». توالت التهديدات من قبل شركاء نتنياهو في الائتلاف، ليكثّف حديثه عن صعوبات تواجه اتصالات الصفقة، ما يعني إفشاله ما وصف باللقاء البنّاء.

اقتصاد

الجزائر تطوي ملف انضمامها لـ«بريكس»

الجزائر ـ **سعيد بشار**

قطع الرئيس الجزائري، عبد المجيد تبون، الشك باليقين في قضية انضمام الجزائر لمجموعة بريكس الاقتصادية، مؤكداً طي هذا الملف نهائياً، وأوضح أنّ هذا الأمر لم يعد يشغل باله شخصياً في الوقت الحالي. وقال تبون، خلال لقائه الدوري مع ممثلي الصحافة الوطنية الذي بُث أمسية السبت الماضي، إنّ رغبة الجزائر في الانضمام إلى «بريكس» دفعتها أسباب معينة، إلا أنّ هذه الأخيرة لم تعد واضحة المعالم حالياً، مشدداً على أن «الجزائر جمهورية ورئيساً معروفان بالنخوة، وبالتالي فهي لن تسعى للانضمام إلى مجموعة لا ترغب فيها، والجزائر ليست بحاجة إلى أي جهة فبناء اقتصاد قوي مرهون بسواعد أبناء الوطن». وأضاف الرئيس الجزائري، في نفس الاتجاه، «أنّ الأطراف الذين رفضوا انضمام الجزائر إلى هذه المجموعة قد يكونون أفادوها بطريقة أو بأخرى والمستقبل كفيل بكشف ذلك»، إلا أنّه استطرد بالقول إن الأولوية هي الانضمام إلى بنك بريكس، من خلال شراء أسهم قدّرها بـ1,5 مليار دولار تسدّد على دفعات. ومع هذا، أكد الخبير لـ«العربي الجديد» أنّ الأولوية في الوقت الراهن هي التركيز على انضمام الجزائر إلى بنك بريكس، إذ يعتبر الجناح المالي للمنظمة. وتبعه في هذه القراءة، الخبير الاقتصادي بوشيخي بوحوص، حيث ذكر أنّ طي هذه الصفحة بعد رفض عضوية الجزائر في اجتماع جنوب أفريقيا، يندرج ضمن البحث عن مقاربة جديدة لرؤيتها الاقتصادية والعلاقات مع الشركاء، كونها دولة محورية كبرى مؤثرة على الصعيد الإقليمي. وتوقع في إفادة لـ«العربي الجديد» ترجمة هذا التوجّه عبر تكوين تكتل جديد قد يضم الجزائر ونيجيريا من أفريقيا، فنزويلا والمكسيك من أميركا الجنوبية والشمالية تواليا، وتركيا وإندونيسيا وماليزيا من آسيا، ويمكن ضم قطر بحكم العلاقة القوية مع الجزائر، وذكر أنّ هذه المجموعة تحتوي على كل المواصفات الاقتصادية لمواجهة التحديات التنموية. وموازاة مع هذا، تتبنى الجزائر أطروحة تنويع العلاقات الاقتصادية، حسب الخبير، ضمن مبدأ تحقيق المصالح المشتركة أو ما يعرف بـ«رابح/رابح»، فهي ترتبط بعلاقات جيدة مع العديد من الدول في القارات الخمس، فضلاً عن الشركاء التاريخيين في القارة الأوروبية، إلى جانب علاقات صداقة مع بلدان القارة السمراء وقارة آسيا التي سرعان ما تحوّلت إلى استثمارات ومشاريع اقتصادية، ما يجعل الجزائر في منأى عن البحث عن الانخراط في تكتلات قد تلزمها بطريقة أو بأخرى.

أما الخبير المالي بوبكر سلامي فيرى أنّ مجموعة بريكس لم تعد بنفس القوة بعد دخول دول أقل قوة وتأثيراً اقتصادياً وسياسياً، فقد أصبحت تعاني مشاكل اقتصادية وسياسية عدة، على عكس ما كان عليه الأمر من قبل، وبالتالي فإنّ خيار الجزائر عدم دخول «بريكس» سيقابله حضور أقوى في بنك المجموعة «وسيكون للجزائر قوة وتأثير أكبر من الناحية المالية والاقتصادية، نظراً لاستقلالية البنك عن المنظمة إلى حد كبير»، حسب الخبير الجزائري.

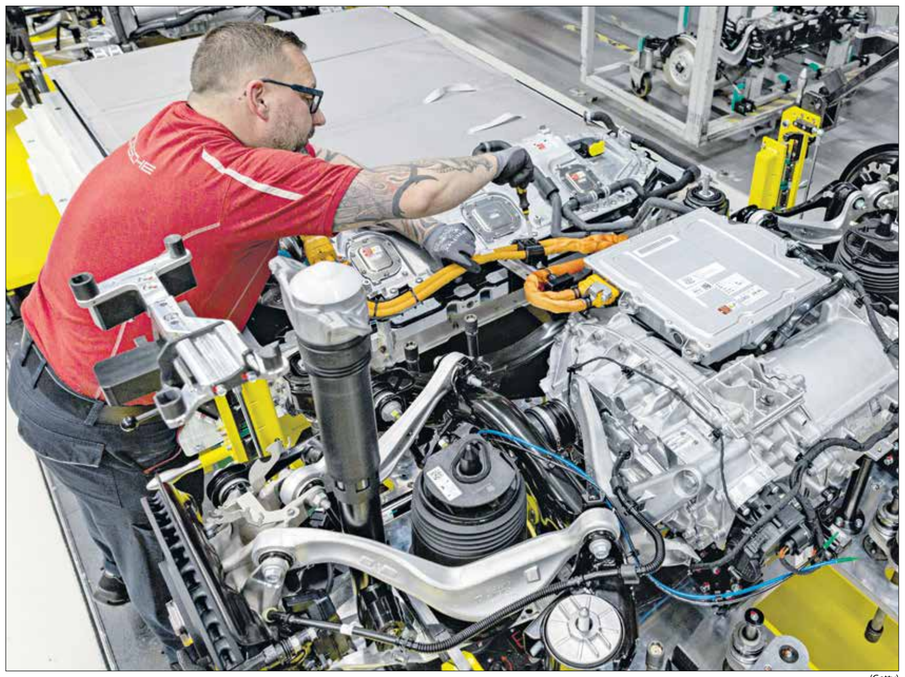

(Getty)

انكماش متوقع للاقتصاد الألماني

ذكرت صحيفة زود دويتشه تسايتونغ، أمس الأحد، أن وزارة الاقتصاد الألمانية تخطط لخفض توقعاتها للنمو الاقتصادي في عام 2024، إذ تتوقع انكماشاً بنسبة 0,2%. وحسب «رويترز»، تأتي توقعات الانكماش المعدل بعد التضخم، والتي من المقرر أن تنشرها الوزارة بعد غد الأربعاء، في أعقاب توقعات حكومية سابقة بنمو 0,3% هذا العام بعد تراجع 0,3% في 2023. وتوقعت معاهد اقتصادية ألمانية، نهاية الشهر الماضي، أن تشهد ألمانيا مجدداً تراجعاً لإجمالي الناتج الداخلي خلال عام 2024، بنسبة 0,1% كونها غير قادرة على الخروج من أزمة نموذجها الصناعي. وقالت غيرالدين داني كندليك، من معهد دي أي دبليو ببرلين، في بيان سابق، إنّه «بالإضافة إلى ضعف دورة الاقتصاد».

لقطات

الصناعة السعودية تنفذ 1033 جولة رقابية

نفذت وزارة الصناعة والثروة المعدنية السعودية 1033 جولة رقابية على عدد من المواقع التعدينية في مختلف مناطق المملكة خلال شهر أغسطس/ آب الماضي، ووجهت 1260 إنذاراً على المواقع التعدينية الماضي. وأظهرت بيانات للمركز الوطني للإحصاء والمعلومات زيادة حجم مبيعات عُمان من وقود الطائرات خلال شهر أغسطس الماضي بنسبة 87,54% على أساس شهري؛ ليصل إلى 692,6 ألف برميل مقابل 369,3 ألف برميل في يوليو الماضي. وتراجع حجم صادرات عُمان من وقود الطائرات خلال شهر أغسطس/ آب الماضي بنسبة 98,01% على أساس شهري؛ إلى 15,9 ألف برميل، مقابل 800,6 ألف برميل في يوليو الماضي.

تراجع إنتاج عُمان من وقود الطائرات

شهدت سلطنة عُمان تراجعاً في حجم إنتاجها من وقود الطائرات خلال شهر أغسطس/ آب الماضي بنسبة 30,95%، إلى 806,9 آلاف برميل، مقارنة بنحو 1,169 مليون برميل في شهر يوليو/ تموز الماضي. وأظهرت بيانات للمركز الوطني للإحصاء والمعلومات زيادة حجم مبيعات عُمان من وقود الطائرات خلال شهر أغسطس الماضي بنسبة 87,54% على أساس شهري؛ ليصل إلى 692,6 ألف برميل مقابل 369,3 ألف برميل في يوليو الماضي. وتراجع حجم صادرات عُمان من وقود الطائرات خلال شهر أغسطس/ آب الماضي بنسبة 98,01% على أساس شهري؛ إلى 15,9 ألف برميل، مقابل 800,6 ألف برميل في يوليو الماضي.

9 ملايين مسافر عبر مطارات الإمارات

ارتفعت أعداد المسافرين عبر مطارات الإمارات خلال الأشهر الثمانية الأولى من العام الجاري بنسبة 12,6% على أساس سنوي. واستقبلت مطارات الإمارات خلال الفترة من يناير/ كانون الثاني وحتى نهاية أغسطس/ آب الماضي أكثر من 97,9 مليون مسافر، مقابل 86,9 مليون مسافر عن الفترة نفسها من العام الماضي. يتصدر قطاع الطيران المدني في الإمارات العديد من مؤشرات التنافسية العالمية. وتمتلك الإمارات ست ناقلات وطنية، حيث بلغ عدد الرحلات التي تسيرها خلال الأشهر الثمانية الأولى من العام الجاري نحو 4807 رحلات أسبوعياً، وإلى مختلف دول العالم، بالإضافة إلى ذلك، تمتلك الإمارات عشرة مطارات، من بينها ثمانية مطارات دولية تصنف ضمن الأكثر ازدحاماً في العالم.

ليبيا... مجلس النواب يخفض الرسوم على بيع النقد الأجنبي

طرابلس ـ **أسامة علي**

قرر مجلس النواب خفض قيمة الرسم المفروض على سعر العملات الأجنبية إلى 20% بعد أن كان 27% في قرار سابق أصدره في إبريل/نيسان الماضي. جاء ذلك في قرار لرئيس مجلس النواب عقيلة صالح، أول من أمس السبت، وأحاله مكتب رئاسة مجلس النواب على بمنظومة الأغراض الشخصية، وتسهيل إجراءات فتح الاعتمادات لكل الأغراض».

وأشار قرار مجلس النواب الصادر في إبريل الماضي برفع الرسم المفروض على بيع النقد الأجنبي إلى 27%، بعد نسبة سابقة فرضها المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الوطني السابقة عام 2018 بنسبة 183%، جدلاً واسعاً في الأوساط الليبية، خاصة من جهة حكومة الوحدة الوطنية التي أبدت رفضها قرار مجلس النواب. وأثر إعلان محافظ المصرف المركزي السابق، الصديق الكبير، في بدء تنفيذ قرار مجلس النواب في إبريل الماضي، أصدرت 11 محكمة ليبية، آخرها محكمة الزاوية الأسبوع قبل الماضي، أحكاماً بنقض قرار مجلس النواب وإبطاله، إلا أن الكبير استمر في تنفيذ القرار من دون الالتفات لأحكام القضاء.

وكانت إدارة المصرف السابقة المكلفة من المجلس الرئاسي أصدرت، بالتزامن مع مصادقة مجلس من الرسم الضريبي في تغطية نفقات المشروعات التنموية إذا دعت الحاجة إلى ذلك أو يُضاف إلى الموارد المخصصة لدى المصرف». من جانبها، عممت إدارة الرقابة على المصارف والنقد بمصرف ليبيا المركزي على الفور قرار مجلس النواب على المصارف وطالبتها بالبدء في تنفيذه، وكذلك «استئناف العمل بمنظومة الأغراض الشخصية، وتسهيل إجراءات فتح الاعتمادات لكل الأغراض».

وفيما أشار قرار عقيلة الجديد إلى إمكانية تخفيض آخر في نسبة الرسم «حسب ظروف إيرادات الدولة الليبية»، وجه المصرف إلى استخدام «الإيراد المتحقق من التوجه لجولة أخرى من المحادثات في القاهرة. في 22 مايو، قررت عائلات المراقبات في الجيش الإسرائيلي من ناحل عوز أسيرات في غزة، نشر مقطع فيديو من اعتقالهن وأقتيادهن للقطاع، ما أعاد الضغط مرة أخرى إلى مناقشات «كابينت الحرب» بشأن الحاجة إلى صفقة، بتأييد جميع الوزراء، فيما بقي نتنياهو وحيداً في هذه القضية. وأدى هذا إلى استئناف الفريق المفاوض اتصالاته، فيما وافق «كابينت الحرب» على ما سيُسمى لاحقاً «مقترح نتنياهو».

عرضت إسرائيل في «مقترح نتنياهو»، بحسب تقارير إسرائيلية وأجنبية، «تهدئة دائمة تؤدي إلى وقف دائم لإطلاق النار، وانسحاب قوات الجيش الإسرائيلي من قطاع غزة بأكمله، وإعادة بناء غزة، وفتح المعابر الحدودية، وتسهيل حركة الأشخاص ومرور البضائع». واقترحت إسرائيل في الوثيقة نفسها، البدء بـ«الانسحاب إلى شارع الرشيد شرق شارع صلاح الدين»، ووافقت أيضاً على «الانسحاب من وسط قطاع غزة، بما في ذلك محور نيتساريم (الذي يقسم القطاع)، من دون أن يمرّ مسلحون للشمال (إلى شمال القطاع)». وفي بند آخر، فإن إسرائيل «توافق على إعلان تهدئة دائمة ووقف جميع الأعمال العسكرية والعدائية بصورة دائمة»، لكن يبدو أن نتنياهو كان يراوغ مجدداً، بحسب ما سيتبيّن لاحقاً.

في 31 مايو 2024، أشار الرئيس الأميركي جو بايدن إلى مقترح نتنياهو، مصرّحاً: «اقترحت إسرائيل اتفاقاً جديداً وشاملاً لوقف إطلاق النار. هذا مقترح لوقف دائم لإطلاق النار وإطلاق سراح جميع المختطفين». وعلى الرغم من أن نتنياهو بنفسه صاغ المقترح الذي عرضه بايدن، إلا أن ديوان نتنياهو تنصّل منه فجأة. وجاء في بيان صادر عنه حينها «شروط إسرائيل لإنهاء الحرب لم تتغير: تدمير قدرات حماس العسكرية وحكمها، وإطلاق سراح جميع الرهائن، والتأكد أن غزة لن تشكل بعد الآن تهديداً لإسرائيل». وبعد يوم واحد من ذلك في 2 يونيو، أعلن بن غفير أنه «إذا استمر رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو في قيادة هذه الصفقة، فسنفكّك الحكومة».

تعطيل جديد

في شهر يوليو/ تموز 2024، كان واضحاً أن حركة حماس تتجه للموافقة على مقترح نتنياهو الذي عرضه بايدن، بعد مؤشرات إيجابية سبقت الموافقة الرسمية، الأمر الذي من شأنه إحراج نتنياهو، وإثارة حفيظة بعض شركائه في الائتلاف. وقال سموتريتش في 2 يوليو: «نرى المزيد والمزيد من مؤشرات الانكسار لدى حماس، والمزيد من قادة حماس يشعرون باقتراب نهايتهم. ولن أفاجأ إذا ردّ السنوار بشكل إيجابي على مقترح الصفقة الذي حصل عليه، بعد أشهر من الرفض، لأنه في حالة ارتباك، ويدرك أننا قريبون جداً من النصر، وعليه برغب في إنقاذ نفسه وسلطة حماس في غزة. وتحديداً من أجل ذلك، ليس هذا هو وقت التوقّف (عن الحرب)».

ومرة أخرى بدا واضحاً أن سموتريتش تلقّى معلومات من مصدر «مجهول»، هو عملياً نتنياهو، بعدما فهم إسرائيلياً في مشاورات مغلقة، أن «حماس» تميل إلى قبول الصفقة وإبداء تنازلات. وعندما وصل جواب «حماس»، اعتبره فريق التفاوض الإسرائيلي، أنه أفضل رد تلقّوه حتى الآن. إلا أن مكتب نتنياهو نشر لأول مرة بياناً باسمه أعلن فيه أن «إسرائيل لن توافق على عودة الآف المسلحين إلى شمال قطاع غزة، ولن تسمح بتهريب الأسلحة إلى حماس من مصر». بهذا وضع نتنياهو محور صلاح الدين (فيلادلفي) الحدودي بين قطاع غزة ومصر شرطاً واضحاً وصريحاً لأول مرة. وقبيل مغادرة نتنياهو واشنطن، في الزيارة التي ألقى خلالها خطاباً في الكونغرس في 24 يوليو، ضغط عليه الأميركيون لإرسال اقتراح مكتوب آخر، الذي سُمي فيما بعد «وثيقة التوضيح». وطلب نتنياهو من هناك ضمان وجود آلية لمنع عودة المسلحين إلى شمال قطاع غزة. وفي الخريطة المرفقة مع الوثيقة المقدّمة لاحقاً، اقترحت إسرائيل أن يقوم جيش الاحتلال فقط بتقليص قواته في محور صلاح الدين مع البقاء في المحور. قبل ذلك، شهدت جلسة «الكابينت» أجواءً صاخبة وصراخاً، حيث قرر نتنياهو أن يتخذ الوزراء قراراً رسمياً بالبقاء في محور صلاح الدين. وحصل ذلك على الرغم من مناشدات كبار المسؤولين الأمنيين بأن وقت المحتجزين الإسرائيليين في غزة ينفد. وعلى مدار شهري أغسطس/ آب وسبتمبر/ أيلول الماضيين، وصولاً إلى اليوم، الذي يتوّج عاماً كاملاً من حرب الإبادة الإسرائيلية على قطاع غزة، لم يحدث أي تقدّم يُذكر بشأن الصفقة، حتى أن الولايات المتحدة وصلت إلى حد الإحباط من سلوكيات نتنياهو، وأعرب مسؤولون أميركيون غير مرة، أنه يصعب إبرام صفقة قبل الانتخابات الأميركية في 5 نوفمبر/ تشرين الثاني المقبل.

نفط إيران في مرمى إسرائيل.. ما التوقعات؟

مصطفى عبد السلام

السؤال لم يعد: ماذا لو استهدفت إسرائيل صناعة النفط الإيرانية من حقول وأنابيب ومصافٍ وموانئ ومنشآت ومحطات تصديرية؟ لكن بات: متى تستهدف تل أبيب تلك الصناعة الحيوية، وتوجه ضربة قوية للاقتصاد الإيراني؟

السؤال يأتي على خلفية زيادة الحديث عن احتمالات توجيه إسرائيل ضربة عسكرية لإيران وشن «هجوم كبير» في إطار الرد على هجوم الثلاثاء، ومن بين المواقع الاستراتيجية التي يجري الحديث بشأن استهدافها حقول ومصافي النفط الإيرانية، إلى جانب استهداف المواقع النووية ومواقع حيوية أخرى مثل منشآت الغاز.

وقد صدرت عدة إشارات من إسرائيل وخارجها بشأن احتمال استهداف قطاع الطاقة الإيراني، حيث نقل موقع أكسيوس الإخباري عن مسؤولين إسرائيليين قولهم إن إسرائيل ستوجه «رداً كبيراً» قد يستهدف منشآت إنتاج النفط داخل إيران. ولأنّ إيران تستشعر الخطر من احتمالية استهداف إسرائيل قطاعها النفطي، المولد الرئيسي للإيرادات النقدية، فقد جاء رد فعلها سريعا حيث لوّح قيادي في الحرس الثوري باستهداف البنية التحتية الإسرائيلية، بما يشمل مصافي النفط إذا شنت تل أبيب هجوماً على إيران.

هجوم إسرائيل الكبير المتوقع على إيران ستكون له تأثيرات كبيرة على أسواق العالم إذا ما صاحبه إغلاق إيران مضيق هرمز، في وجه صادرات النفط الخليجي والعراقي، أو استهداف طهران موانئ ومنشآت نفطية في منطقة الخليج وهو أمر، إن حدث، يمثل خطورة لأسواق الطاقة، إذ إن نحو 40% من إمدادات وتجارة النفط والغاز تأتي من منطقة الخليج وعبر مضيق هرمز، ولذا قد تشهد الأسواق حالة من الهلع بسبب توقف موانئ الشحن والتصدير، ومن هنا جاءت توقعات بحدوث قفزة في أسعار النفط مرة واحدة في حال توجيه إسرائيل ضربة لإيران.

ورغم تلك التوقعات فإن العالم يمكنه على المدى القصير التعايش بدون النفط الإيراني في ظل اعتبارات منها أن السعودية والإمارات يمكن أن تعوضا جزءا كبيرا من صادرات إيران المعطلة، كما أن منظمة أوبك يمكن أن تسد أي نقص متوقع في الأسواق في حال استهداف القطاع الإيراني خاصة وأن الأسواق تشهد بالفعل تراجعا في الطلب على النفط.

ورغم تلك الاعتبارات فإن الضربة الإسرائيلية للنفط الإيراني قد تكون محدودة وغير واسعة النطاق، فالإدارة الأميركية غير راغبة في زيادة سعر النفط في هذا التوقيت، لأنه ليس في صالح المرشحة كامالا هارس، ومن هنا جاءت دعوة بايدن إسرائيل لعدم استهداف المنشآت الإيرانية. لكن هل يستجيب نتنياهو؟

فلسطين

العدوان يكبّد الضفة الغربية خسائر باهظة

رام الله ـ **العربي الجديد**

بعد مرور عام على العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، ردا على عملية طوفان الأقصى التي أطلقتها حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، في 7 أكتوبر/ تشرين الأول 2023، تعرض اقتصاد الضفة الغربية المحتلة لعدة ضربات وصدمات أدت إلى تفاقم معيشة الفلسطينيين. وقال البنك الدولي في تقرير، صدر الشهر الماضي، إنه بعد مرور 11 شهراً على الصراع في الشرق الأوسط، تقترب الأراضي الفلسطينية من السقوط الاقتصادي الحر، وسط أزمة إنسانية تاريخية في قطاع غزة. وتكشف البيانات الرسمية عن تهاوٍ بنسبة 35% في الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي في الربع الأول من عام 2024 لأراضي الفلسطينية عامة، مما يمثل أكبر انكماش اقتصادي لها على الإطلاق، وفق تقرير البنك الدولي المحدّث، بعنوان «انعكاس الصراع في الشرق الأوسط على الاقتصاد الفلسطيني».

وأوضح البنك الدولي أن الصراع دفع اقتصاد غزة إلى حافة الانهيار التام، مع انكماش مذهل بنسبة 86% في الربع الأول من عام 2024. كما ترك التوقف شبه الكامل للنشاط الاقتصادي القطاع في حالة ركود عميق، حيث انخفضت حصته من الاقتصاد الفلسطيني من 17%، في المتوسط في السنوات السابقة، إلى أقل من 5% حالياً. وبالتوازي مع ذلك، انكمش اقتصاد الضفة الغربية بنسبة 25% في الربع الأول من عام 2024، حيث شهدت قطاعات التجارة والخدمات والبناء والتصنيع أكبر انخفاضات. وبحسب بيانات وزارة الاقتصاد الفلسطيني، فإن أكثر من 80 ألف منشأة تجارية تراجع إنتاجها أو توقفت عن العمل بالكامل، من أبرزها قطاع الإنشاءات والعقارات، يليه القطاع الزراعي والخدماتي والصناعي. ويقدّر عدد العاطلين في هذه القطاعات بنحو 651 ألف عامل. ففي الضفة الغربية، أغلقت مصالح اقتصادية، بينما اضطرت أخرى إلى تسريح جزء من الأيدي العاملة في محاولة لضبط النفقات. والتقالم مع تراجع الطلب المحلي على الاستهلاك. ولا يجد أكثر من 300 ألف فلسطيني في سن العمل (15 - 60 عاماً)، أية وظائف في سوق تضيق بمؤسساتها الاقتصادية في مختلف القطاعات الحيوية، بسبب تراجع الاستهلاك المحلي. يأتي ذلك، بينما لزم أكثر من 180 ألف عامل فلسطيني من الضفة الغربية، كانوا يتجهون إلى العمل في إسرائيل، منازلهم في أول سبعة شهور من الحرب الإسرائيلية على غزة، قبل أن يعود جزء منهم، بما لا يزيد عن 33 ألفاً. وبحسب بيانات لسلطة النقد الفلسطينية، كانت هذه العمالة الفلسطينية في إسرائيل، تدر على أسواق الضفة الغربية شهرياً، قرابة 1,5 مليار شيكل (406 ملايين دولار). قبل الحرب الإسرائيلية على غزة، كانت نسبة البطالة في الضفة الغربية 24%، لكنها مع نهاية الربع الأول 2024، سجلت نحو 35% من إجمالي القوى العاملة، فيما لم تصدر بعد بيانات الربعين الثاني والثالث لعام 2024. وتشهد الضفة الغربية تصاعداً في المواجهة مع جيش الاحتلال الإسرائيلي الذي نفذ عمليات واجتياحات لمدن ومخيمات فلسطينية طوال عام من العدوان.

متجر في احد اسواق رام الله، 1 أكتوبر 2024 (زين جعفر/فرانس برس)

الحرب تعصف باقتصاد لبنان

امتدّ العدوان الإسرائيلي إلى لبنان الذي يشهد هجمات تدميرية عنيفة للمباني والبنية التحتية

روما ـ **إبراهيم عثمان**

في ظل الأزمات المتلاحقة التي عصفت بلبنان خلال السنوات الأخيرة، من انهيار اقتصادي غير مسبوق إلى أزمات سياسية وصحية، تأتي الحرب في جنوب لبنان لتضيف مزيداً من التعقيدات إلى اقتصاد متهالك بالأساس. لا يشكل النزاع المسلح في هذه المنطقة الاستراتيجية تهديداً أمنياً فقط، بل له تداعيات واسعة النطاق على قطاعات الاقتصاد اللبناني، بما في ذلك السياحة والتجارة والاستثمار. ومع تفاقم الأوضاع الأمنية، تواجه البلاد تحديات جديدة تزيد من الضغط على بنيتها التحتية الهشّة، ما يعمّق الأزمة الاقتصادية ويعوق جهود التعافي المالي والإصلاح الاقتصادي التي طال انتظارها.

ويعاني اللبنانيون اليوم في أغلب الأوقات من نقص في التيار الكهربائي، الذي لا يمكن ضمانه إلا لبضع ساعات من اليوم. أما بالنسبة إلى بقية الوقت، فلا يمكن استخدامه إلا لأولئك الذين يملكون مولدات خاصة، وحتى سكان العاصمة بيروت غالبًا ما يمارسون حياتهم تحت ستار الظلام.

وبسبب التضخم، بات العديد من الضروريات الأساسية، مثل الأدوية، باهظ الثمن، أو يصعب العثور عليه. ومن ناحية أخرى، ثمة الملايين المحرومون من النفاذ إلى المياه الصالحة للشرب، فيما تسبب النقص المزمن في الوقود في طوابير طويلة عند محطات البنزين.

من جهته، رأى المحلل الجيوسياسي في مركز «ميد-أور» للأبحاث التابع لمجموعة ليوناردو الإيطالية لصناعات الدفاع وموقع «ديكود-39»، إيمانويلي روسّي، أن «الحرب بين حزب الله وإسرائيل في جنوب لبنان إلى التصريحات الصادرة عن رئيس الوزراء نجيب ميقاتي في إبريل/ نيسان الماضي بخصوص تعرّض 1976 فداناً من الأراضي الزراعية للدمار، والتخلص من 34 ألف رأس من الماشية، ما أدى إلى فقد حوالي 75% من المزارعين المحليين سبل عيشهم، ومن ثم إلى كارثة زراعية في جنوب لبنان».

بدوره، أوضح رئيس ديسك الشرق الأوسط في مركز الدراسات الدولية CESI بروما، جوزيبي دينتيتشه، أن «لبنان يرزح، منذ عام 2019، تحت أزمات عدة متزامنة أدت إلى ركود أفاق نموّه في السنوات الأخيرة. وواقع الأمر أن الأزمة المصرفية، التي تسببت في مذبحة اقتصادية واجتماعية، قد أضيفت إليها أزمة سياسية ومؤسسية، غابت فيها عن البلاد المناصب الانتخابية والحكومية الرئيسية». وتابع دينتيتشه، في حديث لـ«العربي الجديد»، أن «هذا السيناريو أضيف إليه ما يقرب من 12 شهراً من القتال بين إسرائيل وحزب الله، ما من شأنه تحويل الوضع الحرج الحالي إلى ركود اقتصادي «مهم» اعتباراً من بداية عام 2025».

> أضرار جسيمة لحقت ببنى تحتية حيوية مثل الطرق والكهرباء

تفاقم أوضاع الاقتصاد اللبناني الهش أصلاً. والحقيقة أن هذه الحرب قد ألقت بظلالها على قطاعات اقتصادية رئيسية مثل السياحة التي أصبحت الآن ميتة إكلينيكياً، بعد أن سجلت انخفاضاً يصل إلى 70% في نشاطها».

واستدرك روسّي، في تصريحات لـ«العربي الجديد»، بقوله إنه «على الرغم من ذلك، ما زال من الصعوبة بمكان تقدير حجم الأضرار التي لحقت ببنى تحتية حيوية مثل الطرق والكهرباء والاتصالات. أما الزراعة، فقد تضررت بشكل ملحوظ، مع الدمار الذي لحق بأراض زراعية، ونفوق الآلاف من الماشية».

وأضاف أنه «تجدر الإشارة في هذا المقام، إلى أن أضرار جسيمة لحقت ببنى تحتية حيوية مثل الطرق والكهرباء، وأن الأضرار التي لحقت بالمنازل والمباني السكنية تقدر بمئات الملايين من الدولارات».

مال وناس

تعمد الاحتلال الإسرائيلي منذ السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023، إبادة كل مظاهر الحياة في قطاع غزة، واستهدفت نيرانه مختلف القطاعات الاقتصادية والمعيشية، ما كبّد القطاع خسائر باهظة فاقت 35 مليار دولار. وتركزت الخسائر في مختلف المجالات الصناعية والتجارية والزراعية والترفيهية، كما طاولت البنية التحتية من اتصالات وكهرباء ومياه وغيرها. ولم يكتف الاحتلال بالتخريب عبر القصف، بل شدّد حصاره على السكان، عبر إغلاق المعابر، ومنع دخول المواد الأساسية والوقود

عام الإبادة الاقتصادية في غزة

انقاض مبنى تعرّض للقصف خلال غارة إسرائيلية على حي الزيتون، 5 اكتوبر 2024 (عمر القطاع/فرانس برس)

غزة ـ **علاء الحلو**

أحدثت حرب الإبادة الجماعية على قطاع غزة، التي انطلقت شرارتها في السابع من أكتوبر/ تشرين الأول العام الماضي، أضراراً هائلة وغير مسبوقة في 15 قطاعاً حيوياً، وقد بلغت التكلفة الإجمالية للخسائر الأولية المباشرة قرابة 35 مليار دولار. تركزت الخسائر في مختلف القطاعات الاقتصادية بأذرعها الصناعية والتجارية والزراعية والترفيهية والفندقية، فيما طاولت قطاعات الاتصالات والإنترنت والنقل والمواصلات والكهرباء، وقطاعات الخدمات والبلديات، علاوة على القطاعات الصحية والتعليمية والإسكانية والدينية والحكومية والإعلامية.

وتداعت عوامل عدة منذ بدء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة لإبادة الاقتصاد الفلسطيني على مدار عام متواصل، بداية بالإغلاق التام للمعابر، ومنع دخول مختلف البضائع والمتطلبات الأساسية كالماء، والوقود اللازم لتشغيل الكهرباء ومختلف المرافق والمصالح التجارية، مروراً بالقصف المكثف وغير المنقطع على البنايات السكنية والأبراج والمنشآت، التي تضم مقار مختلف الشركات والمحال التجارية والمخازن والمصانع، فضلاً عن التهجير القسري للتجار وأصحاب رؤوس الأموال خارج القطاع، قبل إغلاق معبر رفح بشكل كامل، إثر اجتياح مدينة رفح مطلع شهر مايو/ أيار الماضي، أو استشهاد بعضهم، أو نزوحهم إلى المحافظات الوسطى والجنوبية، وسط أوضاع اقتصادية ومعيشية صعبة.

تحديات مزدوجة

لقد التحديات المزدوجة التي واجهت الاقتصاد الفلسطيني بظلالها القاسية على الأسواق والمحال التجارية والبسطات الشعبية التي بدت خاوية من البضائع بفعل المنع الإسرائيلي، ما أدى إلى ارتفاع جنوني في الأسعار التي زادت في العديد من السلع الأساسية عن ثلاثين ضعفاً، خاصة في ظل الشلل الذي أصاب القطاع الصناعي، بفعل تدمير المصانع التي ترفد الأسواق بالعديد من السلع الأساسية، يتزامن الشح وغلاء الأسعار مع ضعف القدرة الشرائية لما يزيد عن مليوني فلسطيني، فقدوا بيوتهم ومصادر دخلهم، جراء تدمير ما يزيد عن 70% من المباني المدنية والمنشآت، كذلك بفعل حالة النزوح القسري وعدم انتظام دفع الرواتب، إلى جانب إغلاق البنوك، وعدم القدرة على الوصول إلى الأرصدة والحسابات المصرفية، الأمر الذي دفعهم مكرهين إلى سحب السيولة من مكاتب الصرافة مقابل نسب تفوق 20% من المبالغ المراد صرفها.

يقول مدير عام المكتب الإعلامي الحكومي، إسماعيل الثوابتة، إن الأضرار الناجمة عن العدوان طاولت مختلف القطاعات الاقتصادية والخدماتية والمعيشية جراء القصف المتواصل، المتزامن مع الإغلاق التام للمعابر في وجه دخول البضائع والمتطلبات الأساسية. ويبيّن الثوابتة لـ«العربي الجديد» أن المصانع بمختلف أنواعها في قطاع غزة توقفت تماماً عن العمل، بعد توقف تشغيل الآلات والمعدات اللازمة لعملية الإنتاج في المصانع والمعامل وورش العمل، ما تسبب بخلق أزمة صناعية، ونقص حاد في السوق المحلي ومستلزمات المواطنين، فيما تقدر الخسائر الأولية لهذا القطاع بنحو 1,125 مليار دولار. ويلفت إلى أن القطاع التجاري الذي يشمل الأسواق والمحلات التجارية والمطاعم والفنادق والمخازن التجارية، وغيرها من المنشآت التجارية التي تعمل على استقرار الواقع في قطاع غزة، توقف كذلك عن العمل، وقد بلغت نسبة خسائره الأولية بعد عام من الحرب قرابة 1,625 مليار دولار، بينما وصلت خسائر القطاع الزراعي الذي يعتمد عليه الفلسطينيون بشكل رئيسي في توفير الغذاء لأكثر من 2,4 مليون إنسان يعيشون في جميع المحافظات إلى ما يقارب 1,050 مليار دولار، ويؤثر تعطل هذا القطاع بشكل سلبي بالحركة الاقتصادية من بيع وشراء وتربية، في القطاع الحيواني والاستزراع السمكي.

عزل غزة عن العالم

بلفت مدير عام المكتب الإعلامي الحكومي إلى أن القطاع الترفيهي والفندقي، الذي يضم المتنزهات والفنادق والمدن الترفيهية والملاهي والألعاب الإلكترونية وأجهزة التلفاز وكل ما يتعلق بالعاب الأطفال، تعرض لخسائر فادحة جراء العدوان وصلت إلى زهاء مليار دولار. كما واجه قطاع الاتصالات والإنترنت خسائر أولية تقدر بنحو 1,5 مليار دولار، وقد أدت الأضرار التي لحقت بهذا القطاع إلى عزل غزة عن العالم الخارجي بشكل نهائي، وفقدان العديد من الفلسطينيين العاملين في الأعمال الحرة والمهن الإلكترونية مصادر دخلهم.

أما قطاع النقل والمواصلات الذي يضم السيارات والمركبات المختلفة والشاحنات وأسواق ومعارض السيارات والسفن، وفق حديث الثوابتة لـ«العربي الجديد»، فإنه تعرض لأضرار بالغة بفعل العدوان جراء تخريب الطرق والشوارع والمفترقات، وتعطل الحركة بشكل عام، الأمر الذي تسبب بخسائر مادية مدببة، وصلت إلى قرابة 1,2 مليار دولار، إضافة إلى توقف حركة النقل والمواصلات بشكل عام، وتوقف البيع والشراء والحركة الاقتصادية في هذا القطاع. ويلفت المسؤول الحكومي إلى أنّ قطاع الكهرباء، ويشمل شبكات الكهرباء المختلفة والأسلاك والأعمدة الحديدية والخشبية والأدوات ومقدرات شركة توليد الطاقة وشركة توزيع الكهرباء وغيرها من المتعلقات في قطاع الكهرباء، تعرض لخسائر تقدر بحوالي 300 مليون دولار. كما تقدر خسائر القطاع الخدماتي والبلديات بنحو 3,147 مليارات دولار، إثر تدمير مقرات البلديات التي تقدم الخدمات المحلية للمواطنين، وقصف وتدمير وتخريب شبكات الصرف الصحي، وشبكات المياه، وتدمير آبار المياه.

ويوضح الثوابتة أن القطاع الصحي بأقسامه، التي تضم عمل المستشفيات والمراكز الصحية، ومراكز الأشعة والأدوية والصيدليات، وإجراء العمليات الجراحية في القطاع الخاص والعام وغيرها، تعرض لخسائر أولية تقدر بقرابة 575 مليون دولار. كما تعرض القطاع التعليمي، الذي يضم الجامعات والكليات والمدارس والمعدات والمختبرات والأجهزة التعليمية لكليات الطب والهندسة وقاعات التدريس والمختبرات والمرافق الرياضية، بخسائر تقدر بنحو 1,850 مليار دولار.

أما القطاع الإعلامي، ويضم مقرات المؤسسات الإعلامية المختلفة من فضائيات وإذاعات ووكالات إخبارية ومراكز إعلامية تدريبية، بما فيها من أجهزة لازمة لتشغيل محطات التلفزيون والإذاعة ووسائل الإعلام المختلفة، فقد تعرض لخسائر تقدر بما يقارب 400 مليون دولار. كما تسبب العدوان بخسائر في القطاع الديني تصل إلى 350 مليون دولار، بفعل تدمير 611 مسجداً تدميراً كلياً، و214 مسجداً تدميراً جزئياً تحتاج إلى ترميم، إلى جانب تدمير ثلاث كنائس. وشملت الخسائر القطاع الحكومي، توقف عمل جميع الوزارات والمؤسسات والقطاعات المختلفة، ما أثر تأثيراً سلبياً وبدرجة كبيرة غير مسبوقة على الأداء، الأمر الذي انعكس على إتمام مصالح المواطنين والعوائد الاقتصادية من وعلى المواطن والتجار من جهة، والحكومة من جهة أخرى، وبالتالي توقف العملية المالية التبادلية التي تعمل على تحريك السوق المحلي بشكل عام، وبلغت خسائره قرابة 825 مليون دولار، وفق حديث الثوابتة الذي شدد على أنّ الأرقام السابقة ناتجة عن تقديرات أولية، ولا تشمل الخسائر غير المباشرة، فيما لم تتنه الفرق الميدانية من عمليات الإحصاء والحصر.

> تقدّر خسائر القطاع الخدماتي والبلديات بنحو 3,147 مليارات دولار

خسائر فادحة

في السياق، يقول الخبير الاقتصادي، أحمد أبو قمر، إن الخسائر التقديرية المباشرة للاقتصاد الفلسطيني تجاوزت 35 مليار دولار، جراء توقف عجلات الإنتاج وتدمير المنازل والبنية التحتية والمرافق الخدماتية وغيرها، إلى جانب مليارات الدولارات الأخرى وهي خسائر غير مباشرة، جراء فقدان الوظائف، وتوقف عجلة التصدير، والعجز في الميدان الإداري.

ويلفت أبو قمر لـ«العربي الجديد» إلى أن الاقتصاد الفلسطيني مر بصدمة غير مسبوقة خلال العام الماضي، ألقت بظلالها الصعبة على مختلف المرافق الاقتصادية، مبيناً أن خسائر جولات التصعيد التي عصفت بقطاع غزة منذ عام 2008 مجتمعةً لا تساوي العدوان المتواصل الذي يعتبر الأسوأ، إذ طرأ انخفاض ملموس في الناتج المحلي الإجمالي خلال الربع الأخير من عام 2023 الماضي بنسبة 81% في بداية الحرب، فيما واصل الناتج المحلي الانكماش مع حلول النصف الثاني من عام 2024 الحالي، ليصل العجز فيه إلى السدس، مقارنة بالمستويات التي سجلها في عام 2022.

يشير كذلك إلى أن القطاع الزراعي بشقيه النباتي أو الحيواني فقد خلال العدوان أكثر من 90% من إنتاجيته، بسبب تدمير وتجريف المحاصيل الزراعية، وتوقف الإنتاج، وإفشال المواسم الزراعية، أو بفعل عدم قدرة المزارعين على مواكبة الزراعة، بسبب الخطر المحدق بأراضيهم الملاصقة للشريط الحدودي، مبيناً أن المبادرات الخاصة بزراعة محاصيل جديدة تقابل بتجريف إسرائيلي، كما حصل مؤخراً في بلدة بيت لاهيا شمالي القطاع.

يشير كذلك إلى أن القطاع الخدماتي، الذي يعتبر القطاع الأكبر لاقتصاد، بحكم بيئة الحصار الإسرائيلي، ومنع دخول المواد الخام، تعرّض لخسائر تقدر بنحو 85% من إنتاجيته، وتتوزع النسبة الباقية على بعض الخدمات التي تقدم للفلسطينيين بطرق بدائية تتماشى مع ظروف الحرب.

من جانبه، يوضح الخبير الاقتصادي، محمد صافي، أن القطاع الصناعي، الذي يعتبر الأكثر أهمية، تعرّض لمحاربة إسرائيلية قبل بدء العدوان، من خلال الحصار المستمر منذ 19 عاماً، موضحاً أن 84% من الشركات التي تمكّنت من التغلب على صعوبات الحصار وتكوين نفسها، انهارت خلال العدوان الحالي، وخرجت عن الخدمة، فيما تواجه مشاكل متعلقة بإعادة ترميمها، وعودتها للعمل خلال الفترة المقبلة. ويبين صافي لـ«العربي الجديد» أن القطاعات الاقتصادية بحاجة إلى خطة عمل وسياسات اقتصادية شاملة لضرورة النهوض فيها، مفسراً أهمية دمجها في مختلف الخطط الخاصة بإعادة إعمار القطاع دون أي تأخير، ويقول: «في حال عاد الاحتلال الإسرائيلي لسياسة التلكؤ في الإعمار، فلن تحدث أية عملية تنمية اقتصادية أو تعويض لأصحاب المصانع والتجار ورجال الأعمال».

بلفت صافي كذلك إلى تغير مهام العديد من الأصول التجارية والسياحية والزراعية، حيث باتت تضم الأراضي المخصصة للزراعة مخيمات النزوح التي تضم مئات الآلاف من النازحين، فيما تعرضت نسبة كبيرة من المنشآت السياحية والتجارية للقصف والتجريف والتدمير، أو تحول بعضها لإيواء الأسر النازحة، الأمر الذي ألحق بها خسائر إضافية بفعل توقفها عن العمل.

الفلسطينيون يعانون شح السلع وغلاء الأسعار بسبب الحصار (حسن جمدي/الأناضول)

70 سنة للتعافي

حسب تقديرات سابقة للأمم المتحدة والبنك الدولي، أعادت الحرب اقتصاد غزة سنوات إلى الوراء، وهو أمر يتطلب سبعة عقود من النمو لاستعادة أوضاعه السابقة. وقال الخبير الاقتصادي رامي الحرة، في مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (أونكتاد)، إن الخطوات اللازمة لإنهاء دائرة التدمير الاقتصادي في غزة تستوجب دعماً سياسياً غير مسبوق من المجتمع الدولي، وأكد أنه مع استمرار العملية العسكرية في القطاع، فإن الخسارة التي يواجهها الاقتصاد، والوقت اللازم للتعافي من آثار هذه الحرب العسكرية، سيكونان أكبر وأطول. وأوضح الحرة أن التقرير حذر من أنصاف الحلول «حيث إن الشعب الفلسطيني في قطاع غزة يعاني وسوف يظل يعاني إلى عقود لاحقة».

مؤشرات الأسواق

فلسطين

يظهر مسح للأناضول، نُشر أمس، استناداً إلى بيانات بورصة فلسطين، أن مؤشر القدس تراجع بنسبة 25,6% إلى 484 نقطة، بنهاية جلسة 30 سبتمبر/ أيلول الماضي، مقارنة مع جلسة عشية 7 أكتوبر/ تشرين الأول 2023 البالغة 654,3 نقطة. وقراءة المؤشر المسجلة في نهاية جلسة 30 سبتمبر الماضي، تعتبر عند أدنى مستوياتها منذ مايو/أيار 2021، باستثناء شهور الحرب الإسرائيلية على غزة. في المقابل، تراجعت القيمة السوقية للشركات المدرجة بنسبة 20% منذ آخر جلسة قبل 7 أكتوبر الماضي، لتستقر عند 3,9 مليارات دولار، نزولاً من 5,02 مليارات دولار عشية الحرب على غزة. وانعكست التطورات التي تشهدها الضفة الغربية، على معنويات السوق والمستثمرين في بورصة فلسطين. ليتراجع مؤشر القدس بنسبة 5,8% منذ مطلع يوليو/ تموز الماضي حتى نهاية جلسات سبتمبر.

الكويت

أغلقت بورصة الكويت تعاملات، أمس الأحد، باللون الأحمر؛ بضغط التوترات الجيوسياسية، مع تصدر سهم بنك بوبيان نشاط التداول على مختلف مستوياته، تراجع مؤشر السوق الأول 1,08%، ونزل «العام» 1%، كما انخفض المؤشران الرئيسي 50 والرئيسي بنحو 0,63% و0,12% على التوالي، عن مستوى الخميس الماضي. تأثرت بورصة الكويت بعدة عوامل دفعتها للهبوط، بينها مخاوف توسع الحرب القائمة على قطاع غزة ولبنان من قبل جيش الاحتلال الإسرائيلي إلى حرب إقليمية؛ وذلك بإعلان قادة أمس تجهيز جيش الاحتلال، رداً على هجوم إيران الذي جرى الأسبوع الماضي. يأتي ذلك إلى جانب ترقب المساهمين بيع 211,26 مليون سهم في بنك بوبيان؛ لصالح إدارة التنفيذ بوزارة العدل، علماً بأن بنكي بوبيان والخليج أعلنا، الخميس الماضي، حصولهما على موافقة بنك الكويت المركزي لتعيين جهات استشارية للقيام بمهمة دراسة جدوى عملية الاندماج وأعمال الفحص النافية للجهالة.

قطر

تراجعت بورصة قطر في ختام تعاملات، أمس الأحد، بضغط هبوط جماعي للقطاعات، بفعل تصاعد التوترات الجيوسياسية في المنطقة. وانخفض المؤشر العام بنسبة 0,51% متدنياً إلى النقطة 10412,01، ليخسر 53,24 نقطة عن مستوى الخميس الماضي. ضغط على البورصة مخاوف توسع الحرب القائمة على قطاع غزة ولبنان من قبل جيش الاحتلال الإسرائيلي إلى حرب إقليمية. وتراجعت التداولات، أمس، إذ سجلت البورصة سيولة بقيمة 402,91 مليون ريال بدلاً من 485,43 مليون ريال يوم الخميس الماضي. وبلغت أحجام التداول 169,65 مليون سهم، مقارنة بـ196,63 مليون سهم في الجلسة السابق، كما بلغ عدد الصفقات 14,20 ألف صفقة، بدلاً من 17,80 ألف صفقة الخميس. وأثر في الجلسة تراجع جماعي لقطاعات البورصة السبع، في مقدمتها العقارات بنحو 2,26%، بينما تذيل القائمة قطاع النقل بنحو 0,19%. وشهدت الجلسة انخفاضاً بسعر 46 سهماً، على رأسها «كيو إل إم» بـ5,82%

مال وسياسة

بدت الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة التي تدخل، اليوم الاثنين، عامها الثاني، حرب استنزاف طويلة للاقتصاد الإسرائيلي الذي تظهر المؤشرات أنه دفع ثمناً باهظاً خلال العام الأول للصراع وسيدفع المزيد لأمد بعيد، حتى لو توقف القتال

فاتورة الحرب

تكاليف باهظة في عام «الطوفان»... واستنزاف الإسرائيليين سيدوم طويلاً

جندي إسرائيلي يحمل زميله المصاب، قرب الحدود مع لبنان، 8 نوفمبر 2023 (فرانس برس)

القدس المحتلة ـ **العربي الجديد**

لم يتوقع غالبية الإسرائيليين أن الحرب على قطاع غزة ستطول كثيراً، وأنهم سيعودون إلى أعمالهم ووظائفهم وتدور عجلة الاقتصاد إلى ما كانت عليه قبل اندلاع القتال، لكن الحرب طالت ولا يلوح في الأفق نهاية لها لتدخل، اليوم الاثنين، عامها الثاني وتتسع الجبهات لتشمل حرباً واسعة ضد حزب الله اللبناني ونذر حرب مباشرة مع إيران وحلفائها من الجماعات المسلحة في المنطقة، ما يجر الاقتصاد الإسرائيلي إلى استنزاف طويل الأمد قد يمتد لسنوات طويلة، حتى لو توقف القتال قريباً. وتظهر علامات الضعف على جسد الاقتصاد الإسرائيلي، إذ يتعمق عجز الموازنة وسط عجز حكومي عن السيطرة عليه في ظل اتساع فاتورة الإنفاق على الحرب، ويتبدل النمو إلى انكماش، وتغلق عشرات آلاف الشركات أبوابها وتنهار السياحة، ويصل الاستنزاف إلى جيوب المواطنين ومدخراتهم في ظل ارتفاع أعباء المعيشة وتوجه السلطات نحو فرض المزيد من الضرائب لتعويض جزء من الإنفاق على جبهات القتال وتقليص العجز، فمن المتوقع أن تكون الأرقام أعلى. ووفق الائتماني العالمية «موديز» و«ستاندرد آند بورز» و«فيتش» إلى خفض تصنيف إسرائيل، واستمرت الحرب لفترة أطول كثيراً مما توقعه أي شخص تقريباً. ففي الأسابيع الأولى بعد وقوع عملية «طوفان الأقصى» التي شنتها المقاومة الفلسطينية على مستوطنات ومواقع عسكرية إسرائيلية متاخمة لقطاع غزة في السابع من أكتوبر/ تشرين الأول 2023 وشن جيش الاحتلال عدواناً مدمراً على القطاع، قال ثلاثة أرباع الإسرائيليين في استطلاع للرأي إن الحرب لن تستغرق أكثر من ثلاثة أشهر. ولم يعتقد سوى 1,6% أنها ستستمر لأكثر من عام، وفق تقرير لمجلة ذا إيكونوميست البريطانية.

عجز مالي متفاقم وانكماش اقتصادي

وتظهر البيانات الرسمية أن الاقتصاد الإسرائيلي تلقى ضربة واضحة، إذ تباطأ النمو الاقتصادي إلى 0,7% سنوياً في الربع الثاني من العام الجاري، ووفقاً لمعهد أهارون للسياسة الاقتصادية في جامعة رايخمان في هرتسيليا، فإن الحرب الشاملة مع حزب الله من شأنها أن تؤدي إلى انكماش اقتصادي بنسبة 3,1% هذا العام وعجز في الموازنة بنسبة 9,2% من الناتج المحلي. لكنّ تقريراً لشبكة «سي أن أن» الأميركية يرى أن من الممكن أن يسبّب القتال مع حزب الله ارتفاع عجز الموازنة الإسرائيلية إلى 15% وانكماش الناتج المحلي الإجمالي بنسبة تصل إلى 10% هذا العام. ويواصل عجز الموازنة الصعود منذ إبريل/نيسان الماضي، عندما بدأ يرتفع إلى 7% من الناتج المحلي الإجمالي على أساس سنوي، ليزيد إلى 7,6% في يونيو/حزيران، و8,1% في يوليو/تموز، ثم إلى 8,3% في أغسطس/آب، وفقاً لأحدث البيانات الصادرة عن وزارة المالية، وذلك مقارنة بهدف يبلغ 6,6% لعام 2024 بأكمله. وفي أغسطس وحده بلغت قيمة العجز 12,1 مليار شيكل (3,24 مليارات دولار). وتبدو حكومة الاحتلال عاجزة عن تقدير نفقات الحرب. وقبل ثلاثة أشهر، قدّر الجيش الإسرائيلي تكلفة الحرب بـ 129 مليار شيكل (حوالي 35 مليار دولار)، لكن جرى تحديث هذه التكلفة في الأيام الأخيرة. والآن تقديرات الجيش تصل إلى ما بين 140 و150 مليار شيكل (37,9 و40,6 مليار دولار)، علماً أنها لا تشمل شنّ الحرب على لبنان، أو مواجهة مباشرة مع إيران، وفق صحيفة «كالكاليست» الإسرائيلية التي أشارت في تقرير لها، قبل أيام، إلى أن هذه التقديرات جرى تقديمها قبل يوم واحد فقط من اغتيال الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله (27 سبتمبر/أيلول الماضي)، لذلك في حالة حدوث المزيد من التدهور الأمني، فمن المتوقع أن تكون الأرقام أعلى. ووفق تقرير لبنك إسرائيل المركزي) في مايو/ أيار، سترتفع تكاليف الحرب إلى حوالي 250 مليار شيكل (66 مليار دولار) بحلول نهاية عام 2025. وهذا يعادل حوالي 12% من الناتج المحلي الإجمالي لإسرائيل. ومن المتوقع أن تؤثّر الفجوة المتزايدة بين التقديرات والواقع الفعلي بشكل مباشر في ميزانية إسرائيل لعام 2025، وتلقي بظلال من الشك على قدرة وزير المالية بتسلئيل سموتريتش على الحفاظ على عجز مستهدف بنسبة 4% لعام المقبل. وفي السياق، ذكرت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية، أمس، أنه بات في حكم المؤكد أن إسرائيل ستضطر إلى تجاوز إطار الميزانية العامة للمرة الثالثة خلال العام الجاري، بسبب ارتفاع نفقات الحرب مع حزب الله وفي ظل نذر التصعيد مع إيران. وأشارت الصحيفة إلى أن التقديرات السائدة في وزارة المالية الإسرائيلية ترجح أن تبلغ الكلفة الإضافية للحرب ضد حزب الله وإيران ما بين 10 و20 مليار شيكل حتى نهاية العام الجاري، وأضافت أن هذه التقديرات لا تأخذ بعين الاعتبار التراجع المتوقع لعوائد الدولة من الضرائب بسبب الشلل الذي سيصيب الكثير من المرافق الاقتصادية والإنتاجية، فضلاً عن الغموض الذي يكتنف موعد حصول إسرائيل على 5 مليارات دولار وعدت الولايات المتحدة بتقديمها مساعدةً حتى نهاية العام ولم تفعل حتى الآن. ولفتت إلى أنه في حال عدم تلقي دولة الاحتلال المساعدات المالية الأميركية الموعودة حتى نهاية العام الجاري فإن كلفة الحرب الإضافية قد تقفز لتراوح بين 30 و40 مليار شيكل (بين 8,7 و11,6 مليار دولار)، مما يعني أن العجز في الموازنة قد يصل حتى نهاية العام إلى حوالي 9,4% من إجمال الناتج المحلي الإجمالي.

> 46 ألف شركة أغلقت منذ بداية الحرب حتى يوليو/تموز الماضي

غياب اليقين بشأن انتهاء الحرب

ونقلت الصحيفة عن مسؤول كبير في وزارة المالية قوله، إن ما يفاقم الأمور تعقيداً حقيقة «أن أحداً ليس بوسعه معرفة مدى استمرار الحرب». وأشارت «هآرتس» إلى أنّ حكومة بنيامين نتنياهو صممت مشروع الميزانية الحالي من دون أن تأخذ بعين الاعتبار إمكانية اندلاع حرب شاملة مع حزب الله وانضمام إيران إليها. وقالت الصحيفة إن تعاظم حجم النفقات على منظومات الدفاع الجوي في أعقاب تكثيف حزب الله من إطلاق الصواريخ على العمق الإسرائيلي والهجوم الصاروخي الإيراني الأخير (الثلاثاء الماضي)، سيفاقم من أعباء الحرب الاقتصادية، مشيرة إلى أن تكثيف سلاح الجو في دولة الاحتلال لعملياته سيزيد أيضاً من حجم النفقات المالية. ولفتت إلى أن الحكومة ستزيد نفقاتها بسبب اضطرارها إلى استدعاء جنود وضباط الاحتياط على نطاق واسع، مع كل ما يتطلبه الأمر من تقديم تعويضات مالية لهم ولعوائلهم. ووفق بيانات وزارة المالية، منحت مؤسسة التأمين الوطني ضباط الاحتلال وجنوده حوالي 20 مليار شيكل (5,8 مليارات دولار) منذ بداية اندلاع الحرب، في حين بلغت كلفة استيعاب قوات الاحتلال في العملية البرية ضد حزب الله من مليار إلى مليارَي شيكل (290 إلى 580 مليون دولار). ونظراً إلى أن جنود الاحتياط يمثلون في الأوضاع الطبيعية عصب المرافق الاقتصادية، يعني اتساع الحرب تعطيل هذه المرافق مع كل التداعيات السلبية التي يمكن أن تنجم عن ذلك. ووفق «هآرتس» يعدّ تجاوز حكومة نتنياهو إطار الميزانية، أحد الأسباب الذي دفع وكالة «ستاندرد آند بورز» إلى تخفيض التصنيف الائتماني لإسرائيل الأسبوع الماضي. وللمرة الثانية هذه السنة، خفضت الوكالة تصنيفها الائتماني لإسرائيل إلى «A» من «A+»، وأبقت على نظرتها المستقبلية السلبية، بفعل الزيادة الكبيرة في المخاطر الجيوسياسية والأمنية. وتأتي هذه الخطوة بعدما قامت وكالة «موديز» بخفض تصنيف إسرائيل إلى «Baa1» من «A2»، والإبقاء على نظرتها السلبية حيال التصنيف. وتوقعت الوكالة عدم تحقيق الناتج المحلي لإسرائيل هذا العام أي نمو. وبينما تقلق حكومة الاحتلال كثيراً من تداعيات انفلات عجز الموازنة، فإن أكبر المخاوف التي تواجه الإسرائيليين تتمثل في تراجع قيمة الشيكل أمام الدولار، وارتفاع أسعار الفائدة، وهو ما يعني أن الحكومة ستضطر إلى تجاوز إطار الميزانية العامة للمرة الثالثة خلال العام الجاري، بسبب ارتفاع نفقات الحرب مع حزب الله وفي ظل نذر التصعيد مع إيران. وأشارت الصحيفة إلى أن التقديرات السائدة في وزارة المالية الإسرائيلية ترجح أن تبلغ الكلفة الإضافية للحرب ضد حزب الله وإيران ما بين 10 و20 مليار شيكل حتى نهاية العام الجاري، وأضافت أن هذه التقديرات لا تأخذ بعين الاعتبار التراجع المتوقع لعوائد الدولة من الضرائب بسبب الشلل الذي سيصيب الكثير من المرافق الاقتصادية والإنتاجية، فضلاً عن الغموض الذي يكتنف موعد حصول إسرائيل على 5 مليارات دولار وعدت الولايات المتحدة بتقديمها مساعدةً حتى نهاية العام ولم تفعل حتى الآن. ولفتت إلى أنه في حال عدم تلقي دولة الاحتلال المساعدات المالية الأميركية الموعودة حتى نهاية العام الجاري فإن كلفة الحرب الإضافية قد تقفز لتراوح بين 30 و40 مليار شيكل (بين 8,7 و11,6 مليار دولار)، مما يعني أن العجز في الموازنة قد يصل حتى نهاية العام إلى حوالي 9,4% من إجمال الناتج المحلي الإجمالي.

مخاوف من «الرحيل الصامت»

تتزايد المخاوف في إسرائيل من هجرة الادمغة، وفق تقرير لصحيفة ذا غارديان البريطانية، مشيرة إلى أن هناك قلقاً متزايداً مما يعرف بـ«الرحيل الصامت». ولفت التقرير إلى أنّ من الصعب تقييم حجم المغادرين حتى الآن، لكن في عام 2023، خلال الاضطرابات الداخلية قبل الحرب بشأن ما يعرف بإصلاحات بنيامين نتنياهو القضائية، كان هناك رحيل صاف من إسرائيل يراوح بين 30 ألفا و40 ألف شخص، حسبما نقلت «ذا غارديان» عن صحيفة هآرتس الإسرائيلية.

باكستان نحو رفع الحظر عن تصدير الأغنام

إسلام آباد ـ **العربي الجديد**

ذكرت صحيفة داون الباكستانية، أمس الأحد، أن من المرجح أن ترفع باكستان الحظر المفروض على تصدير الأغنام والماعز منذ أكثر من عقد من الزمان، وذلك استجابة للطلب من دول الخليج العربي. وأشارت الصحيفة إلى أن وزارة الأمن الغذائي الوطني والبحث العلمي طلبت من مجلس الوزراء الاتحادي السماح باستئناف التصدير والتراجع عن قرار الحظر الذي اتخذه في عام 2009 لتوفير اللحوم للسوق المحلية. ولفتت إلى أن اللجنة التنفيذية لمجلس تيسير الاستثمار الخاص أيدت الأمر، لا سيما أن العديد من المستثمرين المحليين ينشطون بالفعل في إنشاء مزارع تسمين صغيرة ومتوسطة الحجم، ومن المتوقع أن تخلق فائضاً من الماعز والأغنام في السنوات القادمة. ويمثل قطاع الثروة الحيوانية نحو 60,8% من القيمة المضافة للقطاع الزراعي، و14,5% من الناتج المحلي الإجمالي خلال العام المالي 2023-2024 المنقضي. بنهاية يونيو/ حزيران الماضي، وتربية الماشية نشاط اقتصادي مهم لسكان الريف، حيث تعمل أكثر من ثمانية ملايين أسرة في إنتاج الثروة الحيوانية وتحصل على حوالي 35% و40% من دخلها من هذا القطاع. وفي العام المالي الماضي، بلغ مخزون باكستان المتنوع من الحيوانات المنتجة للغذاء 224,7 مليون رأس، بما في ذلك 57,5 مليون رأس من الماشية، و46,3 مليون رأس من الجاموس، و32,7 مليون رأس من الأغنام، و87 مليون رأس من الماعز، و1,2 مليون رأس من الإبل.

سوق للماشية في كراتشي، 14 يونيو 2024 (فرانس برس)

61,4% من السيارات الكورية تذهب إلى أميركا الشمالية

سيئول ـ **العربي الجديد**

أظهرت بيانات صناعية شحنَ أكثر من 60% من صادرات كوريا الجنوبية من السيارات في الفترة من يناير/ كانون الثاني إلى أغسطس/ آب 2024 إلى أميركا الشمالية، ما أثار دعوات للشركات إلى النظر في استراتيجيات تصدير عالمية أكثر توازناً. ووفقاً لبيانات الصناعة، التي أوردتها وكالة يونهاب الكورية، أمس الأحد، بلغ إجمالي صادرات شركات السيارات الخمس الكورية، وهي هيونداي موتور، وكيا، وجنرال موتورز كوريا، وكيه جي موبيليتي، ورينو كوريا موتورز، نحو 1,857 مليون وحدة خلال الأشهر الثمانية الأولى من العام الجاري. ومن بين هذه السيارات، شُحن 61,4% أو نحو 1,140 مليون وحدة إلى أميركا الشمالية. وزادت الصادرات إلى المنطقة بنسبة 15,9% مقارنة بـ 983,321 وحدة خلال الفترة نفسها من العام الماضي. وعلى وجه الخصوص، بلغ إجمالي الصادرات إلى الولايات المتحدة أكثر من 970 ألف سيارة، وهو ما يمثل ما يقرب من نصف إجمالي صادرات السيارات الكورية الجنوبية خلال الفترة المذكورة. وسجلت الصادرات إلى الولايات المتحدة ارتفاعاً بنسبة 18,7% على أساس سنوي خلال الفترة. وفي الوقت نفسه، سجلت الصادرات إلى مناطق أخرى انخفاضات كبيرة مقارنة بالعام الماضي، إذ انخفضت الصادرات إلى أفريقيا بنسبة 44,7%. كذلك انخفضت الصادرات إلى آسيا والاتحاد الأوروبي وأميركا اللاتينية والشرق الأوسط بنسب 23,5% و1,26% و11,6% و9,2% على التوالي.

الولايات المتحدة تستحوذ وحدها على نصف صادرات السيارات الكورية (Getty)

التعامل باليوان الصيني يقفز عالمياً 21,1%

بكين ـ **العربي الجديد**

أظهر تقرير صادر عن بنك الشعب الصيني (المركزي) نمو استخدم العملة الصينية بشكل كبير في التجارة عبر الحدود، خلال الأشهر الثمانية الأولى من هذا العام، وسط وجود أوسع لها في السوق العالمية. وأفاد التقرير الذي أوردته وكالة شينخوا الصينية، أمس الأحد، أن حجم المدفوعات والمتحصلات باليوان قفز بنسبة 21,1% على أساس سنوي إلى 41,6 تريليون يوان (5,94 تريليونات دولار) خلال الفترة المذكورة. وذكر التقرير أنه خلال الفترة المذكورة، احتل حجم المدفوعات والمتحصلات بالعملة الصينية عبر الحدود في تجارة السلع بشكل كبير 26,5% من إجمالي التسويات بالعملات المحلية والأجنبية خلال الفترة ذاتها، مقابل زيادة بلغت نسبتها 24,8% المسجلة في عام 2023. وفي مجال تجارة الخدمات، ازداد حجم استخدام اليوان بنسبة 22,3% على أساس سنوي، ليصل إلى 1,2 تريليون يوان، بما يشكل 31,8% من إجمالي التعاملات. وأشار التقرير أيضاً إلى تحسّن عمليات الاستثمار والتمويل التي جرت بالعملة الصينية. وحتى نهاية أغسطس/ آب الماضي، احتفظ المستثمرون الأجانب بحوالي 4,6 تريليونات يوان من السندات الصينية، بما مثّل 2,7% من إجمالي السندات المحلية المتحجزة.

في الأثناء، قال مكتب الإعلام التابع لمجلس الدولة بالصين، في بيان، أمس، إن مسؤولين كباراً في التخطيط الاقتصادي سيطلعون الصحافيين، غداً الثلاثاء، على الخطوات اللازمة لتنفيذ سياسات تعزيز النمو الاقتصادي. وقال البيان إنّ خمسة مسؤولين، من بينهم رئيس اللجنة الوطنية للتنمية والإصلاح، تشنغ شانغبي، سيحضرون المؤتمر الصحافي، وسيكون موضوع المؤتمر هو «تنفيذ حزمة من السياسات لتعزيز النمو التدريجي للاقتصاد بشكل منهجي، والتحسين الهيكلي ودفع جهود التنمية المستدامة»، ولم يذكر البيان مزيداً من التفاصيل. والثلاثاء هو أول يوم عمل في الصين بعد سلسلة من العطلات على مدى الأسبوع الماضي بما في ذلك اليوم الوطني. قبل العطلة خفّض البنك المركزي الصيني أسعار الفائدة وضخ السيولة في النظام المصرفي، بينما خفّفت الهيئات التنظيمية بعض القيود على العقارات في حزمة من تدابير التحفيز التي دفعت أسهم الشركات الصينية إلى الارتفاع.

وحقّق مؤشر «سي إس آي 300» الصيني للأسهم القيادية قفزة قياسية بنسبة 25% على مدى خمسة أيام الأسبوع الماضي، ما دفع صناديق التحوط الأسيوية إلى أعلى أداء عالمياً لهذا العام حتى الآن.

بنك الشعب الصيني في العاصمة بكين (Getty)

رؤية

الهجرة العكسية تهدد مستقبل إسرائيل

عبد التواب بركات

ضرب طوفان الأقصى استقرار المجتمع الإسرائيلي في جذوره، ودفع مئات الآلاف من الإسرائيليين إلى الهجرة إلى خارج إسرائيل. حيث كشف موقع تايمز أوف إسرائيل، نقلا عن مسؤول حكومي إسرائيلي، عن هجرة أكثر من 230 ألف إسرائيلي البلاد في الفترة ما بين بداية الحرب في السابع من شهر أكتوبر/تشرين الأول ونهايته فقط، ونحو 140 ألفاً آخرين غادروا في شهر نوفمبر/تشرين الثاني. وتضاف هذه الأعداد إلى نحو 800 ألف من المسافرين الذين غادروا إسرائيل لقضاء العطلات ولم يعودوا بسبب الحرب وأصبحوا في عداد المهاجرين. وفق موقع ذا ماركر الإسرائيلي. ولا تشمل هذه الأعداد عشرات آلاف العمال الأجانب الذين غادروا البلاد بسبب الحرب. كما وصلت أعداد الرحلات المغادرة من مطار بن غوريون إلى 120 رحلة يوميا، تحمل 24 ألف مسافر. وجاء في القناة 12 الإسرائيلية أن آلاف الإسرائيليين تقدموا بطلبات للحصول على اللجوء في البرتغال بعد أن أعلنت الأخيرة أن اليهود الذين يحملون جوازات سفر إسرائيلية يمكنهم الحصول على تأشيرات لجوء. وكشف موقع أخبار تأشيرة شنغن الأوروبية عن زيادة في طلبات الحصول على الجنسية من الإسرائيليين، مع زيادة طلبات الجنسية البرتغالية بنسبة 68%، والفرنسية بنسبة 13%، والألمانية بنسبة 10%، والبولندية بنسبة 10%. وكشفت دراسة صادرة عن مركز بيغن للتراث أن 59% من اليهود في إسرائيل ذهبوا بالفعل أو يفكرون في الذهاب إلى السفارات الأجنبية للاستعلام وتقديم طلبات الحصول على الجنسية الأجنبية، وأعرب 78% من العائلات اليهودية عن دعمها لسفر أبنائها الصغار إلى الخارج. وفي استطلاع رأي، قال 40% من الإسرائيليين إنهم يفكرون في مغادرة إسرائيل، وطرحوا العديد من التفسيرات لذلك، مثل التدهور الحاصل في إسرائيل لأسباب أمنية واقتصاديه وعدم المساواة وخيبة الأمل بسبب فشل التسوية السلمية مع الفلسطينيين.

الأمن والاقتصاد

بذلت الحكومات الإسرائيلية منذ قيام الكيان في سنة 1948 جهودا جبارة لجذب اليهود من شتى بقاع الأرض للعيش في إسرائيل، ولخص الزعيم الصهيوني ديفيد بن غوريون الأهمية الإستراتيجية لهجرة اليهود إلى الكيان بقوله، إن الهجرة إلى فلسطين هي التي تضمن بقاء أمن إسرائيل. فزورت تلك الحكومات التاريخ وغيرت الجغرافيا وأغرت اليهود بالهجرة إلى إسرائيل باعتبارها أرض الحليب والعسل والأمن والأمان، وقدمت السكن مجانا والوظائف والمساعدات المالية بلا حدود. ولكن معدل الهجرة لإسرائيل ظل مرتبطا بالأمن والرخاء الاقتصادي. فمنذ وجود البريطانيين في فلسطين عام 1917 وحتى 1975، بلغ عدد المهاجرين اليهود 1,5 مليون فقط. وفي عشر سنوات، في الفترة من 1975 إلى 1985، وعندما طرحت قضية السلام بين العرب والكيان الصهيوني، هاجر 1,5 مليون شخص إلى فلسطين، ما يعادل عدد المهاجرين في ستة عقود تقريبا بسبب الأمن. ولكن بعد انتفاضة عام 1987، انخفض مستوى معدلات الهجرة في السنوات العشر التالية إلى نصف العدد في العقد السابق، بسبب غياب الأمن. وفي دراسة أعدتها ونشرتها وزارة الاستيعاب الإسرائيلية بعد معركة سيف القدس في مايو/أيار 2021، كشفت أن ثلث اليهود في إسرائيل يؤيدون فكرة الهجرة، بسبب الحرب وانعدام الأمن. في تلك السنة غادر إسرائيل 720 ألف مستوطن يهودي دون عودة، بحسب أرقام الوزارة نفسها. في عام 2022 ارتفع عدد المهاجرين إلى إسرائيل إلى 75 ألفا، وكان ذلك مرتبطاً إلى حد كبير بالحرب المستمرة بين روسيا وأوكرانيا وغياب الأمن هناك، في مقابل 25 ألف مهاجر إلى إسرائيل في عام 2021. وقبل السابع من أكتوبر 2023، هاجر 45 ألف شخص من روسيا وأوكرانيا إلى إسرائيل، ثم توقفت الهجرة إلى إسرائيل تقريبا بعدها بسبب الحرب وغياب الأمن داخل دولة الاحتلال. أدى قصف حزب الله شمال فلسطين المحتلة بالصواريخ، دعما للمقاومة في قطاع غزة، إلى تهجير نحو مائة ألف إسرائيلي من المستوطنات في الشمال المحتل، وتوقفت الحياة بها تماما، الزراعة والصناعة والسياحة والتجارة. وبعد اغتيال أمين عام الحزب، حسن نصر الله، استهدف الحزب بالصواريخ التقليدية والباليستية والمسيرات المدن والمستوطنات في الجليل والجولان السوري وحيفا، حتى وصلت إلى مدينة تل أبيب على بعد 110 كيلومترات من حدود لبنان، وأصابت مستوطنين وبيوتا ومباني عامة، وتسببت في نشوب حرائق أتت على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية والغابات. وأجبرت نحو 3 ملايين إسرائيلي في هذه المناطق على النزوح أو الهروب إلى الملاجئ. وفي الأول من أكتوبر الحالي، استهدفت جماعة أنصار الله الحوثي في اليمن بصاروخ فرط صوتي منطقة غوش دان في ضواحي تل أبيب، ما أجبر 1,5 مليون مستوطن على الهروب إلى الملاجئ. وغوش دان هي المركز المالي والتجاري وعصب الاقتصاد في إسرائيل، وبها مقر البورصة ومطار بن غوريون وأكبر شركات التكنولوجيا الفائقة. ويقطنها 42% من سكان إسرائيل الأثرياء، وأصحاب الأعمال. وسيكون لقصف هذه المدينة دور كبير في زيادة عدد المهاجرين إلى خارج إسرائيل في المستقبل القريب.

محاولات يائسة

تحولت فكرة الهجرة إلى خارج إسرائيل إلى شعور عام داخل كل إسرائيلي، دعا رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق، نفتالي بينيت، المستوطنين إلى عدم مغادرة دولة الاحتلال، وخوفهم من عواقب هجرة الكيان، رغم معارضته سياسة نتنياهو. وفي محاولة ليت الأمل وإثنائهم عن فكرة الهجرة، كشف بعفوية عن أزمة الإسرائيلي العميقة، والتي تحاول حكومة نتنياهو إخفاءها طوال الوقت بقوله، إن إسرائيل تمر بأصعب فترة منذ إنشائها، مع ارتباك الحرب والمقاطعة الدولية وتضرر الردع وبقاء 120 إسرائيلياً في الأسر وآلاف العائلات الثكلى وآلاف النازحين وفقدان السيطرة على الاقتصاد وإلاعاقة. كل هذا صحيح تماماً، لكن هناك أمر واحد يقلقني، وهو الحديث عن مغادرة البلاد! ونظرا الخطورة الهجرة العكسية على الأمن القومي وفي محاولة لإيقافها، أعلن وزير الهجرة والاندماج الإسرائيلي أوفير صوفر ووزير المالية بتسلئيل سموتريتش عن خطة في 14 فبراير/شباط 2024، لتقديم حوافز مالية وتخفيض للضرائب لتشجيع اليهود في الخارج للهجرة إلى إسرائيل، ولإغراء الإسرائيليين للبقاء، في إسرائيل وعدم الإقدام على الهجرة. وفي المقابل، دشنت مواقع إعلامية يهودية حملات تخوف وتبغض الإسرائيليين في العيش خارج إسرائيل، وتحضهم على العودة لإسرائيل، وتظهر تعرض الإسرائيليين لمضايقات ومعاداة للسامية على مواقع التواصل الاجتماعي وفي الشوارع والأماكن العامة وفي مقرات العمل بسبب عمليات الجيش في قطاع غزة. وتزعم هذه المواقع قصصا مشابهة لأكاديميين وأطباء، ومهندسين إسرائيليين يقيمون في الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وفرنسا وقد تعرضوا للتنمر في أماكن عملهم وفي محال إقامتهم بسبب أنهم إسرائيليون. وتؤكد هذه القصص أن أصحابها قرروا العودة لوطنهم والعيش في إسرائيل باعتباره الخيار الأفضل لهم ولأولادهم. ومن القصص الطريفة، ما رواه موقع غليوز إسرائيل عن بروفيسور إسرائيلي كان يعمل في جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة ويدير شركة تكنولوجية يدعى يانيف إرليخ كتب تغريدة على موقع إكس يقول فيها أنه «بعد عامين من المرح في لندن، قرر زوجته العودة إلى القدس». وفي غضون ساعات قليلة، حصل على 2000 إعجاب ومئات التعليقات المؤيدة من الإسرائيليين، حتى أن خمسة منهم، وهم أكاديميون ومتخصصون في مجال التكنولوجيا الفائقة والطب، كتبوا «أنا أيضًا». يقول إرليخ إن أستاذه السابق دعاه للعمل في مصنعه المتخصص في التكنولوجيا الحيوية في إنكلترا. وإنه قضى وزوجته عامين ممتعين في لندن، ثم جاء يوم 7 أكتوبر. يقول: «في ذلك اليوم، حتى قبل رد الفعل الإسرائيلي، رأينا مظاهرات مؤيدة للفلسطينيين وأشخاصًا سعداء، يطلقون أبواق سياراتهم. نحن نعيش في شمال لندن، في حي جميع من فيه إسرائيليون تمامًا. قبل الحرب، كان بإمكانك دائمًا سماع اللغة العبرية هناك، وفجأة أصبح الشارع هادئا. وفي نهاية شهر أكتوبر التقيت بصديق في الشارع، ولاحظت أننا نتحدث همسًا». يقول إرليخ إنه قرر الانتقال مرة أخرى للعيش مع أسرته في إسرائيل لأن نظام الرعاية الصحية الإسرائيلي أفضل من النظامين البريطاني والأميركي، وأن متوسط العمر المتوقع في إسرائيل أكبر مما هو عليه في إنكلترا، وأكبر بكثير مما هو عليه في الولايات المتحدة. ويروي الموقع عن الدكتور نير كوهين، وهو محاضر كبير ورئيس قسم البيئة والتخطيط والاستدامة في جامعة بار إيلان وخبير في دراسات الهجرة أنه «صحيح أن إسرائيل أكثر خطورة، ولكن في النهاية هذا هو الوطن، وبالنسبة لبعض الإسرائيليين، أصبح انعدام الأمن في الخارج أكثر أهمية من انعدام الأمن في إسرائيل، لأنه هنا على الأقل هناك شعور بالعمل الجماعي». ويروي كوهين عن أكاديمي إسرائيلي آخر يقوم بتحضير رسالة الدكتوراه في الكيمياء، في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا قرر أن يعود بعد السابع من أكتوبر للعيش في إسرائيل بعدما رأى كراهية الطلاب للإسرائيليين وتعاطفهم مع الفلسطينيين يقول: «ما يقلقني هو المستقبل، في غضون 20 عامًا، هؤلاء الطلاب هم الذين سيتخذون القرارات في الجامعة، نحن نخرج منها لأن بقلع أسناننا وعيوننا، لكنني لا أريد أن ينتهي بي الأمر في وضع أكون فيه مصابًا بالجذام لأنني إسرائيلي».

حين يقول الحبّ كلمته

بسمة النسور

تتعرّض النساء في مجتمعاتنا التقليدية النمطية المُتخلّفة للنقد الشديد، وللسخرية والاستهزاء، إذا ما قرّرن الاقتران برجال يصغرونهن سنّاً. ويُنظر بعين العطف والشفقة للرجل المخدوع المُضلَّل، الذي تورَّط في صفقة خاسرة كهذه، وتكون دوافعه بالنسبة للمجموع مثار شكّ وريبة، فلا يستبعدون فكرة الطمع بثروة المرأة إذا كانت ميسورة الحال، أو ذات موقع اجتماعي رفيع، أو صاحبة شهرة في مجالها.

وقد حدث أنْ تعرّضت المُخرجة السورية رشا شربتجي (47 عاماً) لعاصفة من النقد والتجريح بسبب زواجها من ممثّل يصغرها بعشرين عاماً، وعلّق كثيرون بأنّ الشابّ الوسيم طامعٌ في نفوذها مُخرجةً قادرةً على تحقيق نجوميته بزمن قياسي. كذلك. تكرّر الأمر مع الممثّلة الأربعينية نادين تحسين بيك، حين تزوّجت هي الأخرى ممثّلاً تكبره بعشرين عاماً، فلم تسلم من السخرية والتعليقات المسيئة والانتقادات اللاذعة، إذ وضع أصحاب التعليقات العبقرية احتمالية الطمع في الثراء والشهرة، واستبعدوا تماماً احتمالية أكثر بساطةً مثل الوقوع في الحُبّ، الذي يُلغي الفوارق، ويُقرّب الأرواح، ويلوّن الحياة، ويُضفي عليها الألق والتجدّد والحيوية، ويجعل المستحيل ممكناً، المغارفة أنّنا لو عكسنا الأمر واقترن رجلٌ خمسينيٌّ مثلاً بعشرينية، فإنّ الجميع سوف يغبطه، ويعتبره رجلاً حكيماً انطلاقاً من المثل الشعبي الذكوري «يا ماخذ الزغار يا غالب التجّار»، وبديهيٌّ أنّ هذا المثل ينطبق على معشر الرجال حصراً، ولا يحقّ للنساء، بالمنطق الذكوري البائس أن يغلن أحداً، بل عليهن أن يبقين مغلوبات مصادرات الإرادة مُقيّدات القرار، وإذا حصل وأغرم إحداهن برجل يصغرها سنّاً، فعليها أن تكبت مشاعرها وتدوسها بالجزمة اذصنياعاً لجملةٍ تقاليدَ بائسةٍ تستكثر عليها الفرح.

لا أظنّ أنّ الأمر يختلف كثيراً في الثقافة الغربية رغم مظاهر التقدّم والحضارة وهم المساواة بين الجنسَين، غير أنّ الرجل يظلّ مهيمناً مُدلَّلاً، مغفوراً خطاياه مباركة قراراته. ظهر ذلك في مهرجان فينيسيا السينمائي، حين ظهر الممثّل الستيني براد بيت، بما تبقّى من بهائه، برفقة حبيبته الثلاثينيّة، فخوراً بجمالها وشبابها، تطاردهما عدسات الكاميرات، ويهتف لهما المعجبون والمعجبات، ولم يتعرّض بيت لأيّ انتقاد أو سخرية، لأنّه يُحبّ فتاة بعمر أبنائه، غير أنّ التعاطي مع مثل هذه الحالة في حدود منطقتنا يظلّ أكثر تطرّفاً وحدّةً وجوراً بحقّ المرأة التي سوّلت لها نفسها الوقوع في حُبّ من يصغرها سنّاً، وانحيازاً وتواطؤاً مع الرجل السعيد بزوجته الشابّة التي في عمر بناته.

من حيث المبدأ، يظلّ التكافؤ بين الأزواج، من جهة العمر والحالة الاجتماعية والمستوى الثقافي، الصيغة الفضلى والأضمن لاستمرار العلاقة الزوجية، وتحقيق الانسجام بين الزوجين إذ تجمعهما مشتركات عديدة. لكنّ هذا المبدأ ليس قانوناً أو شريعةً سماوية يترتب من مخالفتها من المرأة سوء العقاب، لأنّها في نهاية الأمر كائن من لحم ودم ومشاعر ورغبات، لها الحقّ، حتّى في التهوّر وارتكاب الحماقات، وهل هناك حماقة أجمل وأكبر من الحُبّ حين يهبمن ويفرض شروطه ويصدر أوامره؟!

في الواقع، التصرّف الأكثر حماقةً تجاهل نداء القلب والرضوخ لتوقّعات المجموع المُتطفّل صاحب الأحكام المسبقة والمطلقة على هبة سماوية تبثّ الحياة في الروح المُتعبة، وتبعث الأمل في النفس التي اعتراها اليباس. على النساء، والحال هذه، التمرّد على قوانين وتقاليد مزدوجة مُجحفة تحكمهن في مراحل حيواتهن كافّة، فتحرمهن متعة خوض التجربة، ففرضت عليهن نمطاً مُحدّداً كفيلاً بإلغاء إنسانيتهن ومصادرة حقّهن في اتخاذ القرار الذي يخصّهن وحدهن بالنتيجة.

الانتخابات التونسية... المقاطعة والمشاركة

العهدي مبروك

كانت الانتخابات في تونس في عشرية الانتقال الديمقراطي تُغذّي حالات الاستقطاب، بواجه دوماً مُخيّمان بعضهما بعضاً، ويضطر الناس للانضمام طوعاً أو كرهاً الى أحدهما. لا يمكن إنكار أنّ حالة الاستقطاب هذه محمودةٌ من حيث المبدأ الى آخر، فهي تُحفّز الناس وتنشّ رهاناتٍ حادّة، حتّى لو كانت متوهّمة. يعتقد الناس أنّ مصيرهم ومصير البلاد عامّةً مرتهنان لانتصار أو لخسارة مُخيّمهم. لحالات الاستقطاب هذه محمودةٌ من حيث المبدأ، فهي تُحفّز الناس وتنشّ رهاناتٍ حادّة، حتّى لو كانت متوهّمة. يعتقد الناس أنّ مصيرهم ومصير البلاد عامّةً مرتهنان لانتصار أو لخسارة مُخيّمهم. لحالات الاستقطاب الحادّ، أو ذات موقع اجتماعي رفيع، أو صاحبة شهرة في مجالها.

وقد حدث أنْ تعرّضت المُخرجة السورية رشا شربتجي (47 عاماً) لعاصفة من النقد والتجريح بسبب زواجها من ممثّل يصغرها بعشرين عاماً، وعلّق كثيرون بأنّ الشابّ الوسيم طامعٌ في نفوذها مُخرجةً قادرةً على تحقيق نجوميته بزمن قياسي. كذلك. تكرّر الأمر مع الممثّلة الأربعينية نادين تحسين بيك، حين تزوّجت هي الأخرى ممثّلاً تكبره بعشرين عاماً، فلم تسلم من السخرية والتعليقات المسيئة والانتقادات اللاذعة، إذ وضع أصحاب التعليقات العبقرية احتمالية الطمع في الثراء والشهرة، واستبعدوا تماماً احتمالية أكثر بساطةً مثل الوقوع في الحُبّ، الذي يُلغي الفوارق، ويُقرّب الأرواح، ويلوّن الحياة، ويُضفي عليها الألق والتجدّد والحيوية، ويجعل المستحيل ممكناً، المغارفة أنّنا لو عكسنا الأمر واقترن رجلٌ خمسينيٌّ مثلاً بعشرينية، فإنّ الجميع سوف يغبطه، ويعتبره رجلاً حكيماً انطلاقاً من المثل الشعبي الذكوري «يا ماخذ الزغار يا غالب التجّار»، وبديهيٌّ أنّ هذا المثل ينطبق على معشر الرجال حصراً، ولا يحقّ للنساء، بالمنطق الذكوري البائس أن يغلن أحداً، بل عليهن أن يبقين مغلوبات مصادرات الإرادة مُقيّدات القرار، وإذا حصل وأغرم إحداهن برجل يصغرها سنّاً، فعليها أن تكبت مشاعرها وتدوسها بالجزمة اذصنياعاً لجملةٍ تقاليدَ بائسةٍ تستكثر عليها الفرح.

لا أظنّ أنّ الأمر يختلف كثيراً في الثقافة الغربية رغم مظاهر التقدّم والحضارة وهم المساواة بين الجنسَين، غير أنّ الرجل يظلّ مهيمناً مُدلَّلاً، مغفوراً خطاياه مباركة قراراته. ظهر ذلك في مهرجان فينيسيا السينمائي، حين ظهر الممثّل الستيني براد بيت، بما تبقّى من بهائه، برفقة حبيبته الثلاثينيّة، فخوراً بجمالها وشبابها، تطاردهما عدسات الكاميرات، ويهتف لهما المعجبون والمعجبات، ولم يتعرّض بيت لأيّ انتقاد أو سخرية، لأنّه يُحبّ فتاة بعمر أبنائه، غير أنّ التعاطي مع مثل هذه الحالة في حدود منطقتنا يظلّ أكثر تطرّفاً وحدّةً وجوراً بحقّ المرأة التي سوّلت لها نفسها الوقوع في حُبّ من يصغرها سنّاً، وانحيازاً وتواطؤاً مع الرجل السعيد بزوجته الشابّة التي في عمر بناته.

من حيث المبدأ، يظلّ التكافؤ بين الأزواج، من جهة العمر والحالة الاجتماعية والمستوى الثقافي، الصيغة الفضلى والأضمن لاستمرار العلاقة الزوجية، وتحقيق الانسجام بين الزوجين إذ تجمعهما مشتركات عديدة. لكنّ هذا المبدأ ليس قانوناً أو شريعةً سماوية يترتب من مخالفتها من المرأة سوء العقاب، لأنّها في نهاية الأمر كائن من لحم ودم ومشاعر ورغبات، لها الحقّ، حتّى في التهوّر وارتكاب الحماقات، وهل هناك حماقة أجمل وأكبر من الحُبّ حين يهبمن ويفرض شروطه ويصدر أوامره؟!

في الواقع، التصرّف الأكثر حماقةً تجاهل نداء القلب والرضوخ لتوقّعات المجموع المُتطفّل صاحب الأحكام المسبقة والمطلقة على هبة سماوية تبثّ الحياة في الروح المُتعبة، وتبعث الأمل في النفس التي اعتراها اليباس. على النساء، والحال هذه، التمرّد على قوانين وتقاليد مزدوجة مُجحِفة تحكمهن في مراحل حيواتهن كافّة، فتحرمهن متعة خوض التجربة، ففرضت عليهن نمطاً مُحدّداً كفيلاً بإلغاء إنسانيتهن ومصادرة حقّهن في اتخاذ القرار الذي يخصّهن وحدهن بالنتيجة.

عام على 7 أكتوبر: هذه التأمّلات

ساري حنفي

سوسيولوجيًا، الهجوم الفلسطيني في 7 أكتوبر (2023) فعل مقاومة «طبيعي» لعملية استعمارية ممتدّة، خصوصاً منذ عام 2000، عندما قرّرت إسرائيل، سواء الحكومة أو الرأي العام، عدم تنفيذ عملية أوسلو للسلام، والانخراط في سحق الانتفاضة الثانية بعنف، فتحول احتلال الضفة الغربية وحصار غيتو غزّة إلى شيء قبيح للغاية (وفقاً لإحصاءات الأمم المتحدة)، عدد القتلى الفلسطينيين الذين قتلوا على يد الجيش الإسرائيلي والمستوطنين أعلى بمقدار 21 مرّة من عدد القتلى الإسرائيليين، والذي يجب أن يضاف إليه نزع ملكية الأراضي، وتوسيع المستوطنات غير القانونية وانتشارها ... إلخ). على ضوء ذلك، لماذا نتوقّع أن يكون فعل المقاومة الفلسطينية جميلاً؟! هذا تفكير متفائل، فالتاريخ والسوسيولوجيا حافلان بقصص العنف والعنف المضاد. أعترف بأن العام الذي يكتمل اليوم الأكثر صعوبة في حياتي حيث كنت أشاهد يومياً فظاعة الإبادة الجماعية الإسرائيلية المصورة على شاشة التلفزيون، حتى لو أن ذلك رافقه شعور بالكراهة بفعل المقاومة الفلسطينية البطولية. كانت التكلفة مؤلمة حيث جرى تدمير غزّة (مباني ومدارس وجامعات وبنية تحتية) وقُتل حوالي 42 ألف شخص، وأصيب أكثر من مائة ألف (تضاعف مجلة الصحة العامة الدولية الشهيرة لانسيت Lancet هذه الأرقام ثلاث مرات)، معظمهم من المدنيين من غزّة بالإضافة إلى 600 في الضفة الغربية.

فقد الناس والطلاب من حولي في هذا العام الثقة في دول غربية عديدة، الولايات المتحدة وكندا والمملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا، التي تستخدم جميعها معاداة السامية سلاحاً. يتظاهرون بأن محاسبة إسرائيل وفقاً للقوانين الإنسانية الدولية بعد معاداة للسامية. في الولايات المتحدة، اتخذت الحكومة عدة خطوات لإسكات الخطاب المؤيد للفلسطينيين والمنتقد لإسرائيل. يسعى مشروع قانون الأمريكي (HR 6090) إلى إسكات المعارضة في الحرم الجامعي، وهناك التهديدات بفرض عقوبات على المحكمة الجنائية الدولية وأفراد عائلات موظفيها، ومحاولة حظر «تك توك»، وانتهاك قانون ليهي (Leahy Law)، وقمعه مزيدٌ من أمثلة على الإجراءات المتخذة لإسكات حرية التعبير وإنهاء الحرية الأكاديمية في الولايات المتحدة. في الوقت نفسه، يمنح هذا التضامن المذهل بين السكان في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك الحركات الطلابية، بعض الأمل في المستقبل. مع ذلك، أخشى الموقف «الشعبوي» الذي يريد التخلص من الحداثة وعالمية حقوق الإنسان باسم هذا التناقض من الغرب. أيّ باحث غربي يأتي لمناصرة العنف المنزلي ضد المرأة في الشرق الأوسط كان ينبغي له أن يدافع عن القتل الجماعي الإسرائيلي للنساء المدنيات في غزّة (في حال لم يفعل ذلك بعد). وعلى المنوال نفسه، بما أن السياسة الأوروبية ومثقفيها العضويين (أفكر خاصة في السياسات الألمانية/البريطانية/الفرنسية التي غالباً ما ساهمت في تمويل منظمات حقوق الإنسان في الجنوب العالمي) قد فقدوا سلطتهم المعرفية أو مرجعيتهم وحتى صدقيّتهم، فإنني سأتعامل اليوم أكثر مع الباحثين والناشطين في مجال حقوق الإنسان من أفريقيا واللاتينيين الذين يتعاملون مع المعاناة الإنسانية على نحو أفضل من نظرائهم الأوروبيين. وهكذا، بظل موضوع العنف المنزلي مهمّاً، بقدر ما يُنظر إليه على أنه بارز في أجندة حقوق الإنسان في أفريقيا أو أميركا اللاتينية أو المحلية. ولن نتمكن من إنقاذ العالمية (Leahy Law)، وقمعه مزيدٌ من أمثلة على الإجراءات المتخذة لإسكات حرية التعبير وإنهاء الحرية الأكاديمية في الولايات المتحدة. في الوقت نفسه، يمنح هذا التضامن المذهل بين السكان في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك الحركات الطلابية، بعض الأمل في المستقبل. مع ذلك، أخشى الموقف «الشعبوي» الذي يريد التخلص من الحداثة وعالمية حقوق الإنسان باسم هذا التناقض من الغرب. أيّ باحث غربي يأتي لمناصرة العنف المنزلي ضد المرأة في الشرق الأوسط كان ينبغي له أن يدافع عن القتل الجماعي الإسرائيلي للنساء المدنيات في غزّة (في حال لم يفعل ذلك بعد). وعلى المنوال نفسه، بما أن السياسة الأوروبية ومثقفيها العضويين (أفكر خاصة في السياسات الألمانية/البريطانية/الفرنسية التي غالباً ما ساهمت في تمويل منظمات حقوق الإنسان في الجنوب العالمي) قد فقدوا سلطتهم المعرفية أو مرجعيتهم وحتى صدقيّتهم، فإنني سأتعامل اليوم أكثر مع الباحثين والناشطين في مجال حقوق الإنسان من أفريقيا واللاتينيين الذين يتعاملون مع المعاناة الإنسانية على نحو أفضل من نظرائهم الأوروبيين. وهكذا، بظل موضوع العنف المنزلي مهمّاً، بقدر ما يُنظر إليه على أنه بارز في أجندة حقوق الإنسان في أفريقيا أو أميركا اللاتينية أو المحلية. ولن نتمكن من إنقاذ العالمية، إلا من خلال فصل عالمية حقوق الإنسان (المجسّدة على سبيل المثال في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) عن التيار الرئيس للسياسة الأوروبية - الأميركية.

تريد الدولة المارقة، إسرائيل، جرّ لبنان وإيران إلى حرب وارتكاب إبادات على نطاق واسع. في الوقت نفسه، يبدو أن إيران أوجدت طريقاً مسدوداً لنفسها وحلفائها؛ إذ قرّرت الرد على هجمات إسرائيل واستفزازاتها، فسوف تنجر إلى حرب مباشرة مع إسرائيل/ الولايات المتحدة؛ وإذا لم تفعل، فستواصل إسرائيل استنزافهم وتصعيد الأزمة، مع الإفلات من العقاب. وهذا يعني أن إيران ستخسر في كل الأحوال؛ ومن ثم، سيخسر لبنان في كل الأحوال. وأتفق مع خالد الحروب، في مقالته في «العربي الجديد» (2024/9/27)، في أن إسرائيل استخدمت عملية السلام عملية بلا سلام (تهدئة الفلسطينيين مع تسريع الاستيطان)، بينما استخدمت إيران عملية الحرب: وهي عملية بلا حرب حقيقية وذلك من خلال نقلها إلى وكلائها، خاصة في لبنان واليمن والعراق، لتنفيذ بعض العمليات العسكرية. حتى الضربتان الهامتان الإيرانيتان لإسرائيل في إبريل/ نيسان والأول من أكتوبر/ نيسان الجاري، كان أثرهما على إسرائيل نفسياً أكثر منه تدميراً مادياً. ولكن الحرب الحقيقية كانت ضد الربيع العربي (بالطبع ليس إيران فقط، بل دول عربية وغربية أخرى). وتلقّى حزب الله ضربة قوية فيما يتصل بنظام اتصالاته (البيجر، توكي ويكي)، واغتيالات جماعية لقياداته، بما في ذلك حسن نصر الله رحمه الله. وبينما بعدّ دعم حزب الله المقاومة الفلسطينية في غزّة أمراً أخلاقياً وصادقاً، حان الوقت لمثل هذه الحركة الأيديولوجية لقراءة الواقع بعناية من أجل التخطيط لاستراتيجيتها بشكل أفضل. وقراءة الواقع تعني المزيد من القدرات العسكرية، وفهماً أفضل لأكثر شفافية (بدون دعم للفاسدين)، وخطابات أقل غطرسة، أي عدم رفع توقّعات المؤيدين رفعاً غير واقعي. على سبيل المثال، بينما بذل حزب الله جهداً كثيراً للتدخل في سورية لقمع الشعب السوري، ركّزت إسرائيل على جمع بيانات الذكاء الاصطناعي عن مقاتليه (أرقامهم وبصماتهم الصوتية ونظام الاتصال الداخلي لهم) وتطوير الطائرات بدون طيار. كان للتفوق الإسرائيلي في هاتين الأداتين تأثيرات هائلة في غزّة ولبنان، ولكن أقل بكثير في ما يخص الأولى، حيث احتفظ قادة حركة حماس بوسائل اتصال أكثر تقليدية. وعلى الرغم من كل هذه النكسات، أمل أن يفاجئنا حزب الله بقدرته هذه الأيام على تقويض الإبادة الجماعية الإسرائيلية في غزّة ولبنان.

> كان الفلسطينيون قبل 7 أكتوبر خاسرين بلا أي منظور سوى الخضوع للممارسات الاستعمارية الإسرائيلية

ومع ذلك، الفائز المحتمل الوحيد هو فلسطين. كان الفلسطينيون قبل 7 أكتوبر خاسرين بلا أي منظور سوى الخضوع للممارسات الاستعمارية الإسرائيلية. وحالياً هناك أمل في أن تكون قضيتهم على الطاولة الدولية. قد يتحمّل كل من الأشخاص الأحرار الذين يؤمنون بالإنسانية ومعظم الحكومات في العالم مسؤولية إنهاء هذا الفصل العنصري والعنف الاستعماري الإسرائيلي المطول (صوّتت 124 دولة لصالح قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر/ أيلول الماضي الذي حدّد موعداً نهائياً لإسرائيل لإنهاء احتلالها غير القانوني للأراضي الفلسطينية و14 ضده). بينما أحاول انتشال الأمل من تحت الأنقاض، فهذا في المدى المتوسط. في الأمد القريب، أصبحت جد متشائم؛ الأمر الوحيد الذي ما زلت أستطيع أن أصدّقه هو مجرّد مفاجأة عرضية، فواحدة من كل مائة مفاجأة قد تكون جيدة، أليس كذلك؟

(أستاذ علم الاجتماع في الجامعة الأميركية في بيروت)

عن التصعيد الإسرائيلي الإيراني

احمد حطه

تزايدت في الأسبوعين الماضيين وتيرةُ التصعيد الإسرائيلي في مواجهة إيران، وأصبحت المواجهة بين إسرائيل وإيران مواجهة مباشرة سافرة في العلن، بعدما ظلّت نحو عقدين مواجهةً مستترة في الظلّ خلف الستار. المتغيّر الأساس الذي طرأ في الأيام الماضية يتمثّل في تغيّر قواعد الاشتباك بين الطرفين، وهو مُتغيّر استراتيجي بالغ الأهمّيّة ستكون له تداعيات كبيرة على وجه المنطقة بأكملها، بعدما تمكّنت إسرائيل من تصفية الصفّ الأوّل والثاني من القيادات السياسية والعسكرية لحزب الله، في مقدّمتهم الأمين العام للحزب حسن نصر الله، الذي قضى في غارة إسرائيليّة بقنابل خارقة للحصون، استهدفت المقرّ المركزي لقيادة حزب الله بالضاحية الجنوبية ببيروت قبل الشروع في عملية عدوانية إسرائيلية داخل الأراضي اللبنانية، في حين ردّت إيران بقصف صاروخي لأهداف في العمق الإسرائيلي.

بدايةً، تتعيّن الإشارة إلى أنّ بيئة الشرق الأوسط تتّسم منذ أمدٍ بعيدٍ بأنّها صراعية، تبرز بين أو وآخر عدّة قوى إقليمية تتصارع فيما بينها على الهيمنة على المنطقة، وعلى محاولة السيطرة على مقدّراتها، وتقديم نفسها للقوى الدولية اللاعبَ الإقليمي الأقوى والأقدر على التحكّم في إيقاع التفاعلات الإقليميّة، والتأثير في مساراتها. أمّا في العقود الماضية فقد عرفت المنطقة ظاهرة «الحِقَب» المنفردة المتعاقبة، وفقاً للاعب الإقليمي الأبرز على المسرح الذي يقوم بدور محوري بين أطراف الإقليم، ففي نهاية الخمسينيّات كانت الحقبة الناصريّة، نظراً للدور الكبير الذي لعبه نظام جمال عبد الناصر في صياغة التفاعلات الإقليميّة في العالم العربي والقارّة الأفريقية، بتقديم نفسه لمحيطه الإقليمي قائداً لعملية التحرّر الوطني في مواجهة قوى الاستعمار، حتّى جاءت كارثة 5 يونيو/ حزيران 1967، التي مثّلت نقطة النهاية للحقبة الناصريّة، ونقطة البداية لانكماش الدور المصري، وصولاً إلى «كامب ديفيد» التي كانت بمثابة نقطة أفول الدور المصري في المنطقة، وورثت تركته عدّة أطراف: السعودية وإيران وتركيا وإسرائيل.

في السعينيّات والثمانينيّات جاءت الحقبة السعوديّة، بعد الارتفاع الكبير لأسعار النفط، والطفرة الاقتصادية الكبيرة في المملكة، والدور السياسي الكبير للسعودية، خاصّة في عهد الملك فيصل، وكادت المنطقة أن تدخل الحقبة العراقية في منتصف الثمانينيّات لولا الغزو العراقي للكويت في أغسطس/ آب 1990، والإجهاز على العراق قوّة إقليميّة بعد «عاصفة الصحراء» 1991، وقرار مجلس الأمن 687، الذي حمل أسوأ نظام للعقوبات في تاريخ العلاقات الدوليّة ضدّ العراق. ثمّ جاء الغزو الأميركي للعراق في مارس/ آذار 2003، حاملاً تحوّلاً استراتيجيّاً خطيرة في المنطقة، أهمّها انتقال أهداف السياسة الأميركيّة من حماية أمن إسرائيل دوراً وضمان تفوّقها، إلى لعب إسرائيل دوراً مباشراً في سياسات المنطقة، آنا الأسوا فهو الإخلال بالتوازن الاستراتيجي في الخليج لصالح إيران بـ«إهداء» العراق لها، ليصير ساحة مفتوحة أمام إيران كي تسرح وتمرح فيها، عبر أذرعها السياسيّة والعسكريّة، فقد تعاونت إيران مع الاحتلال الأميركي بصورة غير مباشرة، عبر حلفائها من الكُتل الشيعيّة، فأيّدت مشاركتهم في مجلس الحُكم الانتقالي، كما أيّدت دستور الحاكم المدني الأميركي للعراق، بول بريمر، الذي انتهك عروبة العراق، وأسّس للمحاصصة الطائفية، وشكّل تهديداً لوحدة العراق بالدعوة إلى الفيدراليّة.

وفي يناير/ كانون الثاني 2004، وقف محمد علي أبطحي (نائب الرئيس الإيراني الأسبق محمد خاتمي) في مؤتمر الخليج وتحدّيات المستقبل بأبوظبي ليقول بصورة علنيّة صريحة: «لولا التعاون الإيراني لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة»، مؤكّداً أنّ بلاده قدّمت كثيراً من العون للأميركان في حربهم ضدّ أفغانستان والعراق. كان ذلك التصريح اللافت تقريراً لأمر واقع، فقد خلّص الغزو الأميركي، لأفغانستان ثمّ العراق، إيران من خصمين لدودين مجاورَين لها، الأوّل طالبان، والثاني نظام صدّام حسين، وجاء تصريح أبطحي الذي أطلقه من محفل رسمي في دولة عربيّة بمثابة إعلان دخول المنطقة الحقبة الإيرانيّة، لا سيّما بعد حرب يوليو/ تمّوز في عام 2006 بين إسرائيل وحزب الله، وصعود نجم أمينه العام حسن نصر الله في الفضاء الإعلامي العربي، بوصفه رمزاً للمقاومة، والدعم الكبير لحركة حماس في غزّة، وتدشين محور «الممانعة» تحت قيادة إيران، بالتزامن مع تصاعد الأزمة السياسيّة الداخليّة في لبنان، وصولاً إلى أحداث 7 مايو/ أيار 2008، وسقوط العراق في براثن الفصائل الشيعيّة المدعومة إيرانيّاً، والدلالات الطائفيّة الفجّة في مشهد إعدام الرئيس العراقي الراحل صدّام حسين، بما يعني أنّ إيران أضحت صاحبة الكلمة العليا في دولتَين عربيتَين، هما العراق ولبنان، إلى جانب حليفتها سورية.

في ذلك الحين، بدا واضحاً أنّ صراع النفوذ الإقليمي ينحصر في إسرائيل في مواجهة إيران، خاصّة مع تصدّر أحمدي نجاد بخطابه الأيديولوجي المتطرّف المشهد السياسي الإيراني، ليكون المعادل الموضوعي لخطاب المحافظين الجُدد

استعراض عسكري في الذكرى السنوية لحرب الخليج، طهران، 21 سبتمبر 2024 (عزت فضيل ليكوبزاك/Getty)

في أميركا، واستمرّت معطيات المشهد حتّى جاء الموقف التركي في الحرب الإسرائيليّة على قطاع غزّة في يناير 2009، وصولاً إلى المواجهة الشهيرة التي جرت بين رجب طيب أردوغان وشيمون بيريز في مؤتمر دافوس، ليضع حدّاً للهيمنة الإيرانية المنفردة، مؤسّساً معادلة استراتيجية إقليمية جديدة، فصارت إسرائيل على الطرف المُهيمن، وإيران هي الطرف المُناوئ لها، في حين جاءت تركيا في موقع الطرف الموازن بينهما، مع غياب عربي كامل.

لكنّ ما جرى في المنطقة، خلال الأيّام الماضية، وضع حدّاً للمعادلة الاستراتيجيّة القديمة، وأعاد صياغتها بصورة كاملة، بعد أكثر من عقدَين من الصراع المُتباعد بالوكالة بين إسرائيل وإيران على مقعد القيادة بالمنطقة، كان العامل الكابح لجماح إسرائيل فيها هو الأذرع الإيرانية المحيطة بها، وخشيتها من أن ينهمر عليها وابل نيراني كثيف يُحيل حياة مواطنيها إلى جحيم. بيْد أنّه في الأيّام الماضية، تمكّنت إسرائيل من توجيه ضربة بالغة القوّة لإيران، عبر تحطيم قدرات الذراع الإيرانية الكبرى، المتمثّلة في حزب الله، الرابض على حدودها الشماليّة، فصارت إسرائيل تقف وجهاً لوجه مع إيران، من دون كابح أو مانع أو فاصل، في حين صارت الثانية تقف وظهرها مُلتصقٌ بالحائط، مع حضور خطاب إسرائيلي مُفعَم بالزهوّ والاستعلاء والغطرسة، يتحدّث بصورة صريحة عن إعادة تشكيل المنطقة، يستبطن حالة من عدم التصديق لسنوح هذه الفرصة التاريخيّة التي قلّما تتكرّر أمام إسرائيل، للانقضاض على خصم إقليمي عنيد، بنازعها الهيمنة على مقدّرات الإقليم، من أجل تحطيم قدراته أو قوّته الرادعة المحتملة، التي يعمل عليها منذ عقود، بتوجيه ضربة قاصمة لبرنامجه النووي، وهو أمر لو حدث فسيعني (بكلّ أسى وأسف) أنّ إسرائيل أمست سيّدة المنطقة من دون منازع، وأنّ الإقليم دخل المحقبة الإسرائيليّة. هذا كلّه مع غياب كامل للعرب أصحاب المنطقة الأصليّين، الذين اكتفوا طوال العقود الثلاثة الماضية بالمشاهدة الصامتة، مكتفين بالدوران في فلك السياسات الإمبريكيّة، وبالجلوس على مقاعد المُتفرّجين.

إن تمكّنت إسرائيل من توجيه ضربة قاصمة لبرنامج إيران النووي ستصبح إسرائيل سيّدةَ المنطقة من دون منازعٍ

(كاتب مصري)

أين ذهب «الرفاق» في الأردن؟

عطاف الروضان

تناوبت وتيرتا الغضب والتحوّف على حديث مشاركين ومشاركات في جلسة ضمّت تيارات حزبية مختلفة، أكثرها من التي أنشست (أو صمّمت إن شئت) حديثاً في الأردن، تعليقاً على نتائج الانتخابات النيابية أخيراً، التي جرت ضمن أجواء اتفق الجميع على نزاهتها، حتّى أنّ بعضهم وصف هذا بـ«المفاجأة»، مقارنة بفوز حزب جبهة العمل الإسلامي (الإخوان المسلمين)، الذي كان بالنسبة لمراقبين عديدين متوقّعاً، بل ضرورياً للمشهد السياسي الأردني، الذي صُمّم ليكون اليوم مختلفاً بمخرجات إصلاحية توافقية جدّية وجديدة. لا أعرف مدى مصداقية أو أحقّية المدنية « أو من تيّارات «الموالاة»، كما يحب بعضهم تسمية بعض الأحزاب الوليدة في الأردن، متحزّبين كانوا أم من الأغلبية الصامتة في التيّارات المقابلة للتيّارات المحافظة أو/ و «الإخوان» إنْ صح الفصل بينهما، وبدأوْن بمناقشة نتائج الانتخابات، لا وفقاً لمبدأ هدمنة التنافس المذهل بين السكان في نهجه الفعلي، ليس في هذه الانتخابات، وإنّما لحقبة تعود حتى إلى ما قبل «الربيع العربي» وتحوّلاته المجتمعية والسياسية، بل إلى القرن الماضي، وبدء أفول مبادئ القومية والشيوعية والماركسية في المنطقة والعالم. ويُطرح سؤال بلا وجل، وبكل صراحة: لماذا لم تستطع تلك التيّارات المناوئة أو المعارضة للفكر الديني المحافظ في الأردن تخطي حتّى العتبة الانتخابية؟ لماذا لم تحقّق أحزاب يسارية مثلاً أرقاماً لافتةً في هذه الانتخابات؟ ماذا فقدت تلك التيارات وكسبه «الإخوان»؟ ألم يستغل الطرفان ما يحدث في غزّة في خطاباتهم الجماهيرية على سبيل المثال؟ ألم يلتق الطرفان مع مختلف مكوّنات المجتمع؟ هو متوقّع. وهذه النتيجة بالضرورة (إن عكست نصراً لحزب الجبهة) لا تشكّل أغلبيةً ولا اكتساحاً حقيقياً على أرض الواقع، وحدثت لما لهذا التيّار من خبرة سابقة وممارسة سياسية اجتماعية متكئة على الدين عقوداً، لن يستطيع أيّ تيار التفوق عليه، أقله في العقد المقبل في الأردن، فما استُنبتت من أحزاب وتيّارات تحتاج سنواتٍ حتى يقوى عودها ويشتدّ ساقها وتنمو فروعها وأوراقها لتطرح ثمارها، ولن يستطيع أحد المراهنة حتّى إن كان هذا الثمر عجراً أو بجراً، إذاً، فليسعد الغير بالنتائج بصمت، أو من هم من «الرفاق» أو من دعاة «الدولة المدنية « أو من تيّارات «الموالاة»، كما يحب بعضهم تسمية بعض الأحزاب الوليدة في الأردن، متحزّبين كانوا أم من الأغلبية الصامتة في التيّارات المقابلة للتيّارات المحافظة أو/ و «الإخوان» إنْ صح الفصل بينهما، وبدأوْن بمناقشة نتائج الانتخابات، لا وفقاً لمبدأ هدمنة التنافس المذهل بين السكان في نهجه الفعلي، ليس في هذه الانتخابات، وإنّما لحقبة تعود حتى إلى ما قبل «الربيع العربي» وتحوّلاته المجتمعية والسياسية، بل إلى القرن الماضي، وبدء أفول مبادئ القومية والشيوعية والماركسية في المنطقة والعالم. ويُطرح سؤال بلا وجل، وبكل صراحة: لماذا لم تستطع تلك التيّارات المناوئة أو المعارضة للفكر الديني المحافظ في الأردن تخطي حتّى العتبة الانتخابية؟ لماذا لم تحقّق أحزاب يسارية مثلاً أرقاماً لافتةً في هذه الانتخابات؟ ماذا فقدت تلك التيارات وكسبه «الإخوان»؟ ألم يستغل الطرفان ما يحدث في غزّة في خطاباتهم الجماهيرية على سبيل المثال؟ ألم يلتق الطرفان مع مختلف مكوّنات المجتمع؟

> لن يستطيع أيّ تيار التفوق على الإخوان المسلمين على الأقلّ في العقد المقبل في الأردن

... صحيح أنّ هذه التيّارات كسرت تابوها، وكسب الحزب الشيوعي على سبيل المثال أصواتاً متقدّمة في دائرة بدو الوسط، وهذا استثناء، والتصويت كما هو واضح جاء لأسباب عشائرية، بسبب انتماء أمينه العام (اتهمه بعض رفاقه بأنه سوّق نفسه ولم يسوق الحزب)، أو سياسية بسبب عدم رغبة لون عشائري واسع بالتصويت لجبهة العمل الإسلامي، لكنّ «الإخوان» هم أيضا مارسوا مرونةً عالية، وكسروا نمطاً واكتسحوا معاقل عشائرية، فقد كسبوا مقعداً للكوتا المسيحية في عمّان، وكسبوا أصواتاً من قوميين ويساريين عريقين في الأردن. الا يُستدلّ من ذلك أنّ من يفهم الشارع بشكل حقيقي هو من يحصد أصواتاً في الصناديق؟ ألم يحقّق «الإخوان» في الأردن تخطي العتبة الانتخابية؟ لماذا لم تحقّق أحزاب يسارية مثلاً أرقاماً لافتةً في هذه الانتخابات؟ ماذا فقدت تلك التيارات وكسبه «الإخوان»؟ ألم يستغل الطرفان ما يحدث في غزّة في خطاباتهم الجماهيرية على سبيل المثال؟ ألم يلتق الطرفان مع مختلف مكوّنات المجتمع؟

(إعلامية أردنية)

كاريكاتير

عماد حجاج

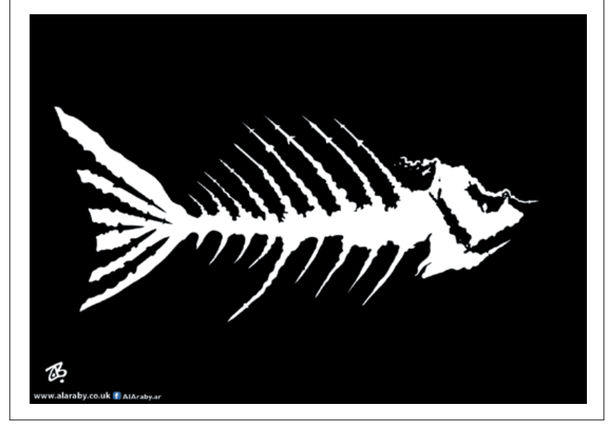

في استعادة 7 أكتوبر

معن البياري

الحمّا، في مطالعات وفيرة، على أن العملية الفلسطينية العسكرية، الفريدة، فجر 7 أكتوبر (2023)، من نواتج العسف الغليظ الذي يرتكبه المحتل الإسرائيلي، ضد الشعب الفلسطيني في غزّة والقدس وغيرهما. قياساً، هل لنا أن نقول إن حرب الإبادة، المدفوعة بنزوع ثأري غرائزي، وتواصلها إسرائي

رهانات المستقبل بعد عام على وعود «طوفان الأقصى»

يهي الدين حسن

تكتد الشعب الفلسطيني خلال الاثني عشر شهراً الماضية خسائرَ بشريةً وإنسانيةً وسياسيةً فادحةً، هي الأكثر قسوة منذ هزيمة حزيران 1967، التي أدت حينذاك إلى احتلال إسرائيل الضفةَ الغربية وقطاع غزّة، فقد تجاوز عدد الشهداء 40 ألفاً، بينهم أكبر عدد لوفيات النساء والأطفال في صراع مسلّح في عام في العالم خلال العقدين الماضيَين، وفقاً لأحدث تقرير من منظمة أوكسفام. بينما يرصد تقرير للأمم المتّحدة في شهر سبتمبر/ أيلول الماضي تدمير 60% من المباني في قطاع غزّة، بينها نحو ربع مليون منزل، فضلاً عن تدمير 68% من الطرق في القطاع ونصف عدد المستشفيات، بينما يعمل النصف الباقي بشكل جزئي. تفيد التقديرات بأنّ قطاع غزّة يحتاج إلى نحو 15 عاماً لإعادة تعميره، وهذه عملية تحتاج إلى بلايين الدولارات. من المحتمل أنّ إعلان حركة حماس أخيراً عودتها إلى لهجمات الانتحارية البائسة مُؤشر على تسليمها بعدم إمكانية استعادة قدراتها العسكرية في المدى المنظور. لقد صار مستقبل حكم غزّة مفتوحاً أمام احتمالات قاسية، بينها العودة إلى حكم الاحتلال الإسرائيلي بشكل صريح أو مموّه. المؤكّد في هذه الاحتمالات أنّ «حماس» لن تعود إلى حكم غزّة، على الأقل في المدى المنظور. هذا موضع توافق دولي عربي فلسطيني إسرائيلي. فضلاً عن أن رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، يحيى السنوار، صار مطلوباً لمحكمة الجنايات الدولية بتهمة ارتكاب جرائم حرب، وجرائم ضدّ الإنسانية خلال «الطوفان»، جنباً إلى جنب مع رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو الذي أدار حرب الإبادة في غزّة. تعزّزت خلال العام الذي انقضى، شعبية اليمين المُتطرّف في إسرائيل بمعدّلات متسارعة، وتلقّت حملات الاستيطان الاستعماري في الضفّة الغربية دعماً سياسياً وميدانياً غير مسبوق منذ سنوات، وتعالت النداءات بحملة تهجير بالقوّة وترحيل الفلسطينيين إلى الأردن. بالطبع؛ المقاومة المسلّحة للاحتلال حقّ مشروع وفقاً للقانون الدولي، يحتاج استخدامه في توقيت مُحدّد إلى تبرير منطقي، ليس للحقّ بذاته، بل لعملية عسكرية ما أو معركة بعينها، فالحرب امتداد للسياسة بوسائل أخرى، وحركة حماس مدينة للشعب الفلسطيني بتوضيح ماذا كانت الأهداف السياسية التي كانت تتوخّاها من عملية طوفان الأقصى، بصرف النظر عن جرائم بَنَسب إليها ارتكابها في سياق هذه العملية ضدّ المدنيين الإسرائيليين. ماذا كانت الحسابات السياسية لحركة حماس لردّ فعل إسرائيل والعالم العربي والمجتمع الدولي؟

كشفت مأساة غزّة مدى اتساع التعاطف الإنساني العالمي مع ماسي الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، خاصّة في مجتمعات دول الغرب التي ساندت بعض حكوماتها بدرجات متفاوتة حرب الإبادة الإسرائيلية. اتّخذت عدّة دول من أفريقيا وأميركا اللاتينية وأوروبا الغربية مواقف تضامنية صلبة، انعكست في قرارات للأمم المتّحدة ومجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية. لكن، ردّات فعل الشعوب العربية والحكومات الإسلامية والعربية، بمن في ذلك السلطة الوطنية الفلسطينية، كانت دون أدنى التوقّعات. كانت مواقف الصين وروسيا ذات مغزًى رمزي، مجرّد تسجيل مواقف/ نقاط، لكنّها لم تسعَ في أيّ لحظة بشكل جادّ إلى لعب دور قيادي مؤثّر في هذه المسألة في الساحة الدولية. تكفي مقارنة سلوك هاتَين الدولتَين العظميَين بسلوك دولة نامية مثل جنوب أفريقيا، لا تتمتّع بحقّ النقض (فيتو) أو حتّى بمقعد في مجلس الأمن، بينما لعبت الإدارة الأميركية دور الظهير العسكري ميدانياً لحرب الإبادة الجارية في غزّة والدرع السياسي لها في المحافل الدولية. وواصلت الدور الإجرامي نفسه في مسرحية المفاوضات الفاشلة للتوصّل إلى وقف إطلاق النار في غزّة، بالتوازي مع جهود إسرائيل للإجهاز النهائي على حركة حماس. مع ذلك؛ لم يكن الانحياز الصارخ للإدارة الأميركية الحالية إلى العدوانية الإسرائيلية مفاجئاً لأيّ طرف متابع، فالرئيس الأميركي جو بايدن لم يُخفِ في مناسبات عدّة منذ عقود افتخاره بأنّه صهيوني.

لا يشكّل عجز المجتمع الدولي عن فرض وقف حرب الإبادة مفاجأة كاملة. لقد جرت حرب إبادة في سورية منذ نحو عشر سنوات فشل المجتمع الدولي في وقفها، رغم أنّ إسرائيل لم تكن طرفاً فيها. كانت حرب الإبادة وما زالت مدعومة من روسيا وإيران وحزب الله. والأخيران، إلى جانب نظام بشّار الأسد، أهم رؤوس محور الممانعة ضدّ إسرائيل. منذ نحو عشر سنوات ضمّت روسيا ذات صباح إقليماً كاملاً من أوكرانيا وسط إدانات لفظية، واستسلام المجتمع الدولي لابتزازها المسلّح. الأمر الذي شجّع على الهلع شهيتها التوسعية الإمبراطورية لالتهام ما بقي من أوكرانيا بعد ثماني سنوات، من دون أن يستطيع مجلس الأمن المشلول بالفيتو الروسي أن يوقفها. منذ 18 عاماً أصدر مجلس الأمن القرار 1701 (تتضمّن بنوداً بهدف حفظ الأمن والسلام وإيقاف إطلاق النار، بعد 34 يوماً من الحرب بين إسرائيل وحزب الله)، ما حال دون تنفيذه ليس إسرائيل أو أميركا أو حتّى الحكومة اللبنانية الشرعية، بل طرف غير دولتي ومصنّف منظمة إرهابية اسمه حزب الله.

لا تشكّل ردّة الفعل الدولي المتهافت على الحرب الأهلية الجارية في السودان أو حرب الإبادة في غزّة مفاجأة كاملة، فالأمم المتّحدة تترنّح منذ نحو عقدين تحت لطمات متتالية وسط صراع ضار، تتوهّم الملائكة التي تراقبه أنّه يستهدف تحويلها مؤسسة جديرة باسمها، بينما يتأمّل الواقعون في عالمنا الا تلحق الأمم المتّحدة بعصبة الأمم التي كان انهيارها التدريجي مدخلاً إلى الحرب العالمية الثانية، خاصّة أنّ الأجواء السياسية والأيديولوجية التي أطلقت أبواق هذه الحرب في أوروبا تلوح في الأفق من جديد، وتكسب أرضاً سياسية مع الرأي العام مع كلّ صباح جديد، وتُشكّل حكومات وتحتلّ مقاعد في البرلمانات من أقصى شرق أوروبا، مروراً بأهم دول الاتحاد الأوروبي: ألمانيا والنمسا وإيطاليا وفرنسا، وصولاً إلى الولايات المتّحدة. في اليوم التالي لـ«طوفان الأقصى»؛ أعلن حزب الله أنّه سيجسّد تضامنه مع غزّة بقصف مستوطنات شمال إسرائيل من أجل الضغط عليها لوقف حرب الإبادة. لم تنجح «مشاغلة» حزب الله لإسرائيل في وقف حرب الإبادة. ولكن بعد أن أوشكت على إنهاء مهمّتها في تقويض قدرات حماس، استدرت إسرائيل بعد 11 شهراً إلى حزب الله، فضربت خلال عشرة أيام شبكة اتصالاته، وقتلت كلّ رؤوس أركان قيادته، بمن في ذلك زعيمه التاريخي حسن نصر الله، وربّما خليفته أيضاً. جدير بالذكر أنّ نصر الله كان قد زفّ لأنصاره، في خطابه التبريري في 3 نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي لإطلاق حرب المشاغلة، أنّ إسرائيل صارت أوهن من «بيت العنكبوت». لكن انتقام «العنكبوت» المسعور لم ينحصر بمقاتلي الحزب وطاقمه القيادي، فتجنب الإضرار بالمدنيين ليس اعتباراً تولية إسرائيل أيّ قدر من الاهتمام، وكذلك حزب الله الذي ينشئ مقارّ أجهزته العسكرية والمخابراتية في قلب مناطق سكنية، والذي يعقد اجتماعات قيادته العسكرية في زمن الصحة، بل في قلب العاصمة بيروت، بل بمشاركة قادة عسكريين أجانب: إيرانيين. الحصاد المرير حتى وقت كتابة هذا المقال نحو مليون لبناني نازح (10% من تعداد لبنان) وآلاف الجرحى الذين لا يجدون مستشفيات كافية لاستقبالهم، ودولة مكاملها مهدّدة بأن تصير غزّة أخرى، وفقاً لتصريح وزير لبناني. وبينما أعلن رئيس الوزراء اللبناني، نجيب ميقاتي، ورئيس البرلمان نبيه برّي، قبولهما المبادرة الدولية بوقف إطلاق النار مع إسرائيل، التي أكّد برّي أنّ حليفه نصر الله أبلغه موافقته عليها قبل مقتله، فإنّ وزير خارجية إيران، عباس عراقجي، تبلّغ به بمنطق الاستعلاء الاستعماري مزدرياً من بيروت أعلى السلطات في لبنان. فوقف إطلاق النار وفقاً لقناعات حكومته مستحيل قبل وقفه في غزّة، أي إنّ القرار في هذا الأمر السيادي ليس بيد اللبنانيين وحكومتهم وبرلمانهم وجيشهم، بل بيد إيران (!)

كان نصر الله قناة تمرير التوجيهات الإيرانية من دون حاجة إلى إعلانها من طهران، ووضعها موضع التنفيذ رغم أنف أغلبية الشعب اللبناني وحكومته وبرلمانه وجيشه، نظراً إلى القدرات التسليحية الهائلة التي زوّدته بها إيران، وجعلت منه أقوى منظّمة عسكرية غير دولتية في العالم. لكن إيران لم تسمح للحزب باستخدام الصواريخ دقيقة التصويب التي زوّدته بها، حتّى بعد قطع رؤوس طاقم قيادة الحزب، وتحدّي إسرائيل السافر له ولإيران بأن ينتقلا من المشاغلة إلى مواجهة كاملة، فالحسابات الدقيقة الخاصة بالمصالح الإيرانية هي الفيصل، وليس مصالح الشعب اللبناني أو حتّى متطلّبات وقف إبادة الفلسطينيين في غزّة. من المفارقات اللافتة أنّ تمدّد حزب الله خارج لبنان هو ما أدّى (وفقاً لصحيفة الفايننشال تايمز) إلى تحوّله كتاباً مفتوحاً أمام المخابرات الإسرائيلية، وذلك خلال مشاركته في حرب الإبادة ضدّ الشعب السوري، إلى جانب الحرس الثوري الإيراني وفرق مرتزقة من أفغانستان وباكستان والعراق. لم تعد مليشيات الحزب كلّها بعد إلى لبنان رغم انطلاق حرب المشاغلة مع إسرائيل منذ نحو عام، ولكن أبرز قياداته كانت قد عادت بعد أن تأكّدت من إنقاذ حكم بشّار الأسد، لتتلقفها إسرائيل في التوقيت المناسب لأهدافها. خلال ذلك كانت مليشيا حزب الله قد لعبت دوراً تاريخياً آخر في تحويل ملايين السوريين إلى لاجئين مثل الفلسطينيين في شتّى الدول.

إلى ذلك، عانى كفاح الشعب الفلسطيني على مدار مسيرته من أجل التحرير تحدّيات جسيمة دفع خلالها ثمناً باهظاً. قسط غير يسير من الثمن الباهظ لم يكن حتمياً، فقد جرى دفعه في صراع ضارٍ مع أنظمة عربية تنافست في الهيمنة على القرار الوطني الفلسطيني من أجل توظيفه في مساوماتها مع إسرائيل وحلفائها، أو من أجل تبييض صفحاتها الدامية السوداء مع شعوبها. لم تكن هذه الصراعات سياسية وإعلامية فحسب، بل اشتملت على مواجهات مسلّحة دامية مع منظّمة التحرير الفلسطينية، واتّخذت أحياناً مخيمات اللاجئين ميداناً لتصفيات دموية، توسّعت في بعض المناسبات إلى مذابح مخيمات واسعة النطاق. كما اشتملت هذه المواجهات العربية الفلسطينية عمليات اغتيال اتّخذت من بعض العواصم الأوروبية ميداناً لها. كانت أنظمة صدّام حسين في العراق وحافظ الأسد في سورية ومعمّر القذّافي في ليبيا أبرز المُحرّكين لهذا الفصل الدامي من المسألة الفلسطينية، لكن هذه السياسات لم تنحصر فيهم. ليس من المصادفة أنّ نُخَباً سياسية ومثقّفة في العالم العربي كانت تعتبر هؤلاء «الزعماء» وأمثالهم رموزاً لـ«التحرّر الوطني» و«مواجهة الإمبريالية» و«الصمود والتصدّي» لإسرائيل، برغم أنّ التحليل الملموس يقود إلى استنتاجات معاكسة، خاصّة إذا اشتمل على دراسة كيف أهدرت النظم السياسية التي صعدت الحكم بعد انسحاب قوات الاحتلال الاستعماري من دول المنطقة مكاسب الاستقلال كلّها، ووظّفت موارد البلاد في خطط ومشاريع اقتصادية غير مدروسة، وفي تأمين حكمها التسلّطي، بل شنّت بعض هذه النظم حروب إبادة على أقلّيات وأغلبيات عرقية وطائفية. في القرن الحادي والعشرين، بدأ يتضح للشعوب العربية الحصاد المرّ الذي خلفته نظم الحكم التي تعفّنت بعد الاستقلال الوطني. وكان الربيع العربي بموجتيه في أعوام 2011 و2018 أول محاولة لتصحيح انحراف بدأ منذ أكثر من نصف قرن. من المفارقات التي سيقف أمامها التاريخ مذهولاً أنّ من يرث التسلّط خلف راية تحرير فلسطين في السنوات الماضية محور بضعْ قامعي «الربيع العربي» في سورية ولبنان والعراق واليمن، بقيادة إيران التي تحتل جزراً عربية في الخليج العربي، ولها مطامع إمبراطورية تنافسية مع إسرائيل في العالم العربي. جدير بالذكر أنّ إيران، بلسان مرشدها الأعلى، حرصت أخيراً على التأكيد أنّ الصراع الجاري في المنطقة ما هو إلا امتداد للصراع الشيعي السني الذي انطلق بين الخليفة الأموي يزيد بن معاوية والحسين بن علي بن أبي طالب. سبق أن أكّد هذا المعنى حسن نصر الله في مناسبات مختلفة. تحت هذه الراية الطائفية أعلن القطب اليمني في محور الممانعة، أي جماعة الحوثيين المسيطرة بالقوة على العاصمة صنعاء ومدن أخرى، خطّة «التغيير الجذري»، التي تستهدف العودة باليمن إلى تقاليد (ونظام) القرون الوسطى الإمامي، الذي حكم اليمن قبل ثورة تحرّرها الوطني في ستينيّات القرن الماضي. في الوقت ذاته الذي يقود فيه القطب العراقي في المحور، أي التحالف الشيعي في العراق، معركة فقهية وتشريعية في البرلمان من أجل تقنين زواج الأطفال. الأكثر إثارة للدهشة أنّ بعقد بعض رموز «الربيع العربي» والتحرّر الفلسطيني، من سياسيين ومثقّفين وأكاديميين، آمالاً عريضة على أطراف ذلك المحور، الذين لهم أدوار موثّقة في اغتيال أقرانهم وسجنهم ونفيهم، في لبنان والعراق واليمن وسورية وإيران. هذه أزمة لا تتعلّق بأشخاص لهم دوافعهم في تبنّي المواقف والانحيازات، التي قد يرونها لسبب ما مناسبة، لكنّها وثيقة الصلة بأزمة انسداد عميقة وشاملة في العالم العربي. أزمة بدأت مع فقدان البوصلة والطريق منذ السنوات الأولى للتحرّر من الاحتلال الأجنبي، فقدان الطريق إلى فلسطين هو أحد أعراضها وليس هو جوهر الأزمة. أمل أن تبادر إحدى المؤسّسات العربية التي تتسم بالرصانة والعمق والقبول بتبني إجراء حوار معمّق بين الفعاليات الفكرية والسياسية والثقافية في العالم العربي حول هذه القضايا.

(حقوقي مصري)

> بحسب الفايننشال تايمز، تمدّد حزب الله خارج لبنان ما أدّى إلى تحوّله كتاباً مفتوحاً أمام المخابرات الإسرائيلية

> دفع الشعب الفلسطيني على مدار مسيرته من أجل التحرير ثمناً باهظاً في صراع مع أنظمة عربية تنافست في الهيمنة على القرار الوطني الفلسطيني

في تعقيدات الموقف الإيراني من الحليف السوري

سميرة المسالمة

تفرض الحرب منطقها على المحيطين بها، سواء انخرطوا فيها أطرافاً متصارعة، أو ضحايا، أو اختاروا الحياد بشكليه الإيجابي أو السلبي، أي الدعم المعنوي الذي لا يثمر شيئاً، أو تجاهلاً صامتاً، وكأنهم يعيشون في كوكب آخر. لكن في المحصّلة من لا تطاوله شظايا الحرب تدركه منعكساتها الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية، ما يعني أن الحرب الدائرة في غزّة ولبنان لن تقتصر آثارها داخل حدود البلدَين، أو على الشعبَين الفلسطيني واللبناني فحسب، فالمنطقة برمتها آيلة للسقوط تحت وقع الضربات الإسرائيلية المتلاحقة، وهي ضربات تستند إلى تعريف موسّع لأمنها القومي، الذي لم يعرف حدوده، ومقياس حساسيته من سياسات أيّ دولة لا تدين لها بالولاء الصاخب، ما يُبدّد مبدأ التفرّقة السياسية، الذي مارسته الأنظمة والدول والأحزاب على مدار زمن الصراع العربي الإسرائيلي، وصولاً إلى ادّعاءات الاصطفاف خلف محور المقاومة أو مجابهته.

وسورية ليست استثناء من هذا المحيط المضطرب، أو مستثناة من تداعيات هذه الحرب، سواء أعلنت مشاركتها الفعلية بها، أو قرّرت الصمت العسكري والسياسي والدبلوماسي والإعلامي حيالها، فهي في الأحوال كلّها منخرطة فيها، بغضّ النظر عن ترجمة ذلك تحرّكاً عسكرياً ملموساً على أرض الواقع، أو بقيت مجرّد مسرح عمليات لتبادل الرسائل النارية بين أطراف الحرب الرئيسيين من إيران إلى التنظيمات والمليشيات المحسوبة عليها. وتحديد إسرائيل لسورية في إعلان حربها الحالية على حزب الله، وعلى مواقع عسكرية إيرانية داخل الأراضي السورية، لا يعني أنّها تملك ضمانةً دائمةً لبقائها خارج الاستهداف المباشر، في ظلّ احتفاظ إيران بمواقعها ومواقعها السيادي داخل مؤسّسات النظام السوري العسكرية والاقتصادية والثقافية، ما يعني أنّ تحييدها حتّى الآن، بالقدر الذي هو قرار إسرائيلي، هو قرار إيراني أيضاً، وهو مرهون بما تحمله الأيام المقبلة من تطوّرات باتجاه التصعيد المباشر، أو التسوية الرابحة.

وإذا كانت تصريحات الرئيس السوري بشار الأسد، خلال استقباله وزير خارجية إيران عبّاس عراقجي، السبت الماضي، لا تحمل جديداً في موقفه الشكلي من مساندة حركات المقاومة ضدّ إسرائيل، فإنّه في الوقت نفسه لم يبدِ أيّ استعداد لانتهاك اتفاقية فكّ الاشتباك الموقّعة بين إسرائيل عام 1974، التي جُدّدت عام 2018 برعاية روسية أميركية في الأردن، على خلفية مساعي روسيا لاستعادة الأراضي الخارجة عن سيطرة النظام في أعقاب الثورة السورية، التي بدأت من درعا عام 2011، ما سمح له باستعادة محافظة درعا من سلطة الفصائل المسلّحة، ما يعني أنّ المساندة لن تخرج عن سياسة الحياد السلبي الحالي تجاه ما يحدث، فهو معني بحماية حدود إسرائيل من أيّ اعتداء بطوالها من الجبهات السورية، ما يتطلّب استمرار تفهّم إيران لهذه المهمة، التي لم يصر إلى نقدها خلال الوجود الإيراني الطويل في سورية. ولعلّ ذلك يُفسّر عدم فتح إيران معركة مباشرة مع إسرائيل عبر الجبهة السورية، والردّ الإيراني على إسرائيل في مطلع شهر أكتوبر/ تشرين الأول الجاري الذي انطلق من أراضيها، يُفسّر مدى حرص إيران على إبقاء النظام السوري خارج المواجهة المباشرة مع إسرائيل، حفاظاً على مصالحها وموقعها المتقدّم في المنطقة من جهة، وحفاظاً على النظام الذي يوفّر لها ولأذرعها الغطاء الجغرافي الممتدّ بين العراق ولبنان، ولهذا استقرار النظام السوري مصلحة عليا لإيران، بذلت من أجل ذلك جهوداً كبيرةً لن تفرّط فيها، وتزجّه في معركة تعرف أنّ عيشه غير جاهز لخوضها، بعدما أنهكته الحرب التي خاضها ضدّ المعارضين السوريين والفصائل المسلّحة الممولة من جهات عديدة دولية وإقليمية.

وكانت إيران في السنوات السابقة كلّها أبقت على «شعرة معاوية» في صراعها مع العدو الصهيوني، فهي تعمل على إدارة الصراع بما لا يُؤدّي إلى مواجهة مباشرة، وفي الوقت ذاته لا يزرع عنها صفة العداء لها، ولهذا قسّمت أدوار حلفائها بين مواجهين مباشرين، وهم ممّن لا يتمتّعون بصفة دولتية، كحال حركة حماس في غزّة، وحزب الله في لبنان، في حين تركت رئيس النظام السوري، وهو يمثّل «الدولة» في المنضة الخلفية لممارسة دور تكتيكي واستراتيجي لدعم التنظيمات الحليفة لها، ما يجعلها حريصة في هذه المواجهات على الإبقاء على دوره المساند لها من دون دفعه إلى مغامرة محسومة النتائج سلفاً. والرغبة الإيرانية هي للمصادفة تصبّ في مصلحة إبقاء الشعب السوري خارج أهداف الضربات الإسرائيلية التدميرية، على الرغم من أنّها لا تنطلق من هذه الرغبة، وهي تتوافق أيضاً مع الرغبة في عدم توسيع دائرة التصعيد الدولي، الذي يصبّ في ميزان قوّة إسرائيل ضدّها، فأيّ دخول لحرب دولية بين سورية وإسرائيل سيفضي إلى تدخّل أطراف عديدة مثل الولايات المتّحدة وروسيا ودول أوروبية، ما قد يفرض حينها على إيران التدخّل المباشر، وما يُهدّد بقاء النظام الإيراني، أو يجعله بين نار الحرب الخارجية ضدّه والتمرّد الداخلي عليه.

> لا تريد إيران مواجهة مباشرة بين النظام السوري وإسرائيل، حفاظاً على غطاء جغرافي لأذرعها يوفّره لها النظام

إلى ذلك، يمكن النظر إلى سعي إيران إلى وقف إطلاق النار في لبنان أنّه جدّي، وهو يحمي جبهتها الخلفية (حزب الله) من الانهيار التام الذي قد يخلّ بموقعها السياسي قوةً إقليميةً بحسب حسابها في المنطقة، وكذلك قد يزيد إضعاف موقفها التفاوضي في أيّ من ملفّاتها، سواء النووية أو الاقتصادية أو السياسية، ما يفرض عليها اتباع سياسة السير على حبل مشدود يهيّج مخاوف الأطراف المساندة لها والمعادية لها في آن معاً، ولكنّها تُؤدّي وصلتها كما اعتادت عليها منذ إعلان قيام محورها المقاوم لإسرائيل من دون أن تدخل أيّ معركة جادّة ومباشرة معه.

(كاتبة سورية)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير معن البياري ◻ مدير التحرير ارنست خوري ◻ المدير الفني إميل منعم ◻ السياسة جمانة فرحات ◻ الاقتصاد مصطفى عبد السلام ◻ الثقافة نجوان درويش ◻ منوعات ليال حداد ◻ المجتمع يوسف حاج علي ◻ الرياضة نبيل الليلي ◻ تحقيقات محمد عزام ◻ مراسلون نزار قنديل

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، لندن
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب الدوحة
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600
■ مكتب بيروت
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الالكتروني: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: +97440190635 جوال: +97450059977
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads

مستشفيات لبنان دخلت «في دائرة الخطر»

وسط تصاعد العدوان الإسرائيلي على لبنان وخروج مستشفيات عدّة عن الخدمة، سواء في مناطق الجنوب أو في ضاحية بيروت الجنوبية، أفاد نقيب أصحاب المستشفيات الخاصة في لبنان سليمان هارون بأنّ القطاع الاستشفائي دخل «في دائرة الخطر». وأوضح في حديث تلفزيوني، أمس الأحد، أنّ القصف الإسرائيلي بطاول محيط المستشفيات، الأمر الذي يؤدّي إلى إخراجها عن الخدمة، وأشار إلى صعوبة تُسجَّل في مجال استيعاب المرضى الذين يحتاجون إلى أجهزة تتنفّس صناعي في أقسام العناية الفائقة وغسل الكلى.

(العربي الجديد)

يونيسف: 1,4 مليون جرعة ضدّ الكوليرا إلى السودان

أفادت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف)، بأنّها زوّدت السودان بـ1,4 مليون جرعة من اللقاح المضاد لمرض الكوليرا، من أجل حماية الأطفال وسط الحرب المتواصلة منذ نحو 18 شهراً، وأوضحت أنّ هذه الشحنة، التي وصلت إلى ميناء بورتسودان (شرق)، هي الثانية بعد 404 آلاف جرعة أُرسلت في شحنة سابقة في سبتمبر/ أيلول الماضي. وكانت 18 ألف إصابة بالكوليرا قد سُجّلت في السودان منذ يوليو/ تموز 2024، فيما بلغ عدد الوفيات ذات الصلة 550 وفاة، علماً أنّ السلطات أعلنت تحوّل الكوليرا إلى وباء في البلاد في 12 أغسطس/ آب الماضي.

(الأناضول)

في مستشفى شهداء الأقصى بمدينة دير البلح، وسط قطاع غزة (فرانس برس)

الاحتلال يدمر مستشفيات غزة

تصادف اليوم ذكرى مرور عام على بدء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة. عام لم يتردد الاحتلال خلاله في ضرب كل مقومات الحياة وكل القطاعات الحيوية، من بينها القطاع الصحي ومستشفياته

غزة ـ **يحيى اليعقوبي**

كانت المنظومة الصحية هدفاً أساسياً لآلة الحرب الإسرائيلية خلال العدوان على قطاع غزة، الذي يصادف اليوم مرور عام على اندلاعه. خلال هذا العام، سعى الاحتلال إلى إسقاط المنظومة الصحية من خلال إحراق وتدمير معظم المستشفيات وإخراجها عن الخدمة وقتل واعتقال كوادر طبية ومرضى وجرحى دفنوا في مقابر جماعية داخل المستشفيات، خصوصاً مستشفى كمال عدوان شمالي القطاع، ومجمع الشفاء الطبي في مدينة غزة ومجمع ناصر الطبي في خانيونس. وجريمة تدمير وإحراق مجمع الشفاء الطبي إحدى أبشع المجازر التي طاولت المنظومة الصحية، بعد اجتياحه الثاني في 18 مارس/آذار 2024، حيث ارتكب الجيش الإسرائيلي على مدار أسبوعين جرائم إعدام وقتل طاولت نحو 400 فلسطيني، لتنتهي قصة أحد أكبر المجمعات الطبية الذي تأسس في أربعينيات القرن الماضي، ولا تقل جريمة استهداف المستشفى المعمداني في 17 أكتوبر/تشرين الأول 2023، بشاعة، حيث استشهد نحو 500 شخص معظمهم من الأطفال والنساء.

وفي الحصيلة الإجمالية، دمر الاحتلال 34 مستشفى وأخرجها عن الخدمة، واستهدف 162 مؤسسة صحية، وأخرج 80 مركزاً صحياً عن الخدمة، و131 سيارة إسعاف، فيما استشهد 986 من الطواقم الطبية فضلاً عن اعتقال 310 من العاملين في القطاع الصحي، وفق إحصائية صادرة عن المكتب الإعلامي الحكومي في غزة. من جهة أخرى، تعيش المستشفيات السبعة المتبقية وضعاً كارثياً، مع مرور ستة أشهر على إغلاق معبر رفح، وعدم إدخال الأدوية والمستلزمات والمعونات الطبية، الأمر الذي يعيق عمل الطواقم الطبية. في هذا الإطار، أرجأت العمليات المؤجلة سابقاً بسبب عدم وجود شاش وفوط معقّمة للبطن، وعدم وجود ملابس معقمة للأطباء والممرضين، ونقص شديد في الأدوية ومنها أدوية التخدير، وهي من الأساسيات التي يجب أن تتوفر بكثرة في أي مستشفى ونقطة طبية، إلا أنها لم تعد متوفرة، الأمر الذي يشير إلى حجم ما يعانيه القطاع الصحي. هذا الواقع يضع المنظومة الصحية العاجزة عن تقديم الخدمة أمام تحديات كبيرة. وفق إحصائيات رسمية حول التداعيات الكارثية لإسقاط المنظومة الصحية، فهناك مليون و737 مصاباً بأمراض معدية، و71 ألف حالة إصابة بالكبد الوبائي، فضلاً عن انعدام الرعاية لنحو 60 ألف حامل، و350 ألف مريض مزمن يعيشون في خطر بسبب منع إدخال الأدوية، و3500 طفل معرضون للموت بسبب سوء التغذية، و12 ألف جريح بحاجة للسفر للعلاج. واقع أنهك الطواقم الطبية وأشغل غرف العمليات في المستشفيات، عدا عن عشرة آلاف مريض سرطان يواجهون خطر الموت بعد سيطرة الاحتلال على مستشفى الصداقة التركي في ديسمبر/كانون الأول 2023. وبحتاج 96 ألف مصاب وجريح إلى 500 ألف عملية جراحية مختلفة، لكن أرجأت نسبة كبيرة منها. ويظهر الواقع الكارثي زيادة نسبة الوفيات الطبيعية خلال الحرب بنحو 6,5 أضعاف بالمقارنة مع عدد الوفيات قبل الحرب.

ويعد مستشفى شهداء الأقصى الوحيد الذي لم يجتحه جيش الاحتلال من أصل 35 مستشفى حكومياً، أحد الأمثلة على واقع كارثي يعيشه القطاع الصحي في غزة، هو الذي يضمّ 188 سريراً طبياً ويخدم مليون نازح في محافظة الوسطى حالياً، وفي الوقت الحالي، يهتم بـ600 جريح ومريض أي أكثر من طاقته الاستيعابية بثلاث مرات. وكان مجمع الشفاء الطبي يضم 750 سريراً و25 غرفة عمليات و30 غرفة للعناية المركزة. وادى إحراقه من قبل جيش الاحتلال إلى زيادة العجز لدى المنظومة الصحية. ووفقاً للمؤشرات الصحية ما تبقى من القطاع الصحي يخدم في الحد الأقصى ما لا يزيد على 15% فقط من الإصابة والمصابين في العدوان، وهو غير قادر على خدمة أمراض مزمنة، ذلك مع استثناء الأمراض الوبائية التي سببها الاكتظاظ في مراكز الإيواء، ونظام الصرف الصحي. وقبل الحرب، كان يستفيد سكان محافظات القطاع من الخدمات الصحية في 35 مستشفى، بمعدل 1,59 مستشفى لكل 100 ألف نسمة، و13 مستشفى منها حكومي، و17 مستشفى غير حكومي، ومستشفيان يتبعان لوزارة الداخلية والأمن الوطني، وثلاثة مستشفيات خاصة.

يقول مدير المستشفيات الميدانية في وزارة الصحة مروان الهمص، إنّ «الاحتلال تعمد تدمير المنظومة الصحية من خلال تدمير غالبية المستشفيات في قطاع غزة، وكان عددها نحو 35 مستشفى. ولم يتبقَ منها إلا سبعة مستشفيات بالكاد تعمل، منها المستشفى الأهلي المعمداني بمدينة غزة ومستشفى أصدقاء المريض وكمال عدوان والمستشفى الإندونيسي في شمال القطاع، والذي اقتحمه جيش الاحتلال مرتين. يضيف الهمص لـ«العربي الجديد»: «في جنوب القطاع المكتظ بالنازحين، تعمل أربعة مستشفيات هي المستشفى الأوروبي ومستشفى ناصر الطبي ومستشفى الأمل بمحافظة خانيونس، ومستشفى شهداء الأقصى في محافظة الوسطى (خرج عن الخدمة بسبب زيادة عدد المرضى)، عاد المستشفى الأوروبي الذي كان قد أخلي، إلى العمل مؤخراً، في وقت يعمل فيه مجمع ناصر الطبي بكل طاقته، ويعاني نقصاً في المستلزمات والأدوية ولا يكفي لسد حاجة المحافظة مع مستشفى الأمل.

ورغم انتشار مستشفيات ميدانية ونقاط طبية عدة في المحافظة، بعضها تابع لمنظمة أطباء بلا حدود ووكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «أونروا» وغيرها، يؤكد الهمص أن تلك العيادات مجتمعة لا تقوم مقام مستشفى حكومي واحد، مبيناً أن المستشفى يكون متكاملاً بوجود أقسام طوارئ ومبيت وعناية مركزة ومختبر وأقسام أشعة وكل ما يحتاجه. أما المستشفيات الميدانية، فإنها تفتقر لبعض تلك الخدمات. وأدى هذا التدمير المنهج، بحسب الهمص، إلى انتشار الأوبئة مع عدم استطاعة الطواقم الطبية التعامل معها أو حصرها، كانتشار مرض الكبد الوبائي وتفشي الإسهال الجدلية بين الأطفال، وانتشار مرض شلل الأطفال بعد تدمير البنية التحتية وشبكة المياه والصرف الصحي، قبل إطلاق حملة تطعيم واسعة. وتعليقاً على تدمير مجمع الشفاء ومجزرة المعمداني، يقول: «نشهد مجازر يومية ونتعامل مع إصابات جماعية، لكن بعدد أقل مما شهده مجمع الشفاء والمعمداني»، واصفاً الخدمة التي تقدمها المستشفيات بأنها «عرجاء» بسبب نقص المستلزمات بأكثر من 85%، ونفاد مخزون الأدوية بأكثر من 65%. بالإضافة إلى النقص في المستلزمات، تعاني المستشفيات، بحسب الهمص، إرهاباً متواصلاً من جيش الاحتلال، إذ يقصف محيطها لإخافة العاملين والمرضى وتكرار أوامر الإخلاء، كما حدث مع المستشفى الأوروبي الذي أخلي، ما أعاق تقديم الخدمة. ويؤكد أن نقص المستلزمات والأدوية مضاعلة منذ بداية الحرب، وقد أعاق الاحتلال إدخالها أيضاً قبل ست سنوات. ويقدر أن ما يصل الوزارة حالياً من مستلزمات وأدوية لا يكفي 3% مما يحتاجه القطاع الصحي.

ويقول مدير المكتب الإعلامي الحكومي إسماعيل الثوابتة، إنّ استهداف القطاع الصحي جزء من تدمير 15 قطاعاً حيوياً، وبلغت حصيلة خسائرها المباشرة 35 مليار دولار (كان نصيب القطاع الصحي 575 مليون دولار منها). ويقول لـ«العربي الجديد» إن «لدى الاحتلال خطة معدة لإسقاط المنظومة الصحية، وقد اعتمدت على ثلاثة مسارات؛ الأول تدمير المباني، إذ تم تدمير نحو 34 مستشفى من أصل 35 مستشفى، ولم يتبقَ إلا مستشفى شهداء الأقصى الذي لم يدخله جيش الاحتلال، ويقدم

عن الإبادة والنقصان

شهادات ناجيات وناجين من حرب غزة

هذه شهاداتٌ لناجين وناجيات من الحرب في قطاع غزّة التقيْتُهم في البرزخ. حكاياتٌ مسمُولةٌ بالشّواك تُحاول التّحديق في الفاجعة، سلسلةُ قصص توثيقيّة تبحث في ثيمة النُّقصان. هنا بشرٌ فقدُوا كُلّ شيء: عائلاتهم، بُيوتهم، أطرافهم، أحشاءهم، قطعا من اللّحم إعتادتْ ان تكسُو عِظامَهم، حواسّ زوّدتْهم بها البيولوجيا للالتقاط معلوماتٍ عن العالم الخارجيّ، ورقّة تِينٍ توارِي سَوآة خطيئة لم يقْترفوها، ولغة مُتماسكة لم يُصبهَا ما أصاب أصْحابها من تشظٍ وشتات واشتحالة إلى أشلاء مُتناثرة. قصص النُّقصانُ هذِه: نُقْصان الاجْساد من اعْضائها، الخريطة من تضاريسها، الزّبة من بقْلها وقثّائها وزيْتونها، البحْر من اسْماكه، القصائد من وزْنها وقافيتها، المُنظومة التّعْليميّة من اساتذتها وتلامذتها، المشافي من حَبَّة دَوَاء، قصص تُحاول الاكْتمال عَبْر روي النُّقْصان، صَوْت الضحية - التي لم تَعُد تَملِكُ غَيْر ذاكرتها فعْلا لِلْمقاومة - لِجْعل اللغة البَشريّة الحسّيّة قَادِرة على تَجسيد الالم او النَّظر إليه، إنها مُحاولة لِرؤْية الإبادة من وُجهة نظر خَاصَّةٍ بِلحْظة مُعَينةٍ تَبحث فِيمَا حدث لِفلسْطينيّي غزّة بَعْد السَّابع من أكْتوبَر.

هذه الشهاداتُ التي تكتُبُها الروائيّةُ سمر يزبك وتنشرُها «العربي الجديد» على حلقاتٍ ستصدُرُ لاحِقا في كتابٍ يحملُ اسمَ «ذاكرة النُّقصان»

شهادة | هدى سفيان سعيد البغدادي

لن أعود كما كنت

سمر يزبك

كانت سخيّةً بدموعها، وكانت أشحى ما تكونُ حين تتذكّرُ أخواتِها: يحتقنُ وجهُها، تتشنّجُ ملامحُها، ترْتجفُ تضاريسُه، ويُسارعُ مِنديلُها لِتلثمَ قطراتِ الدموعِ المُنْسكبة. ولو أنّني كتبتُ عبارةَ «الحمدُ لله» كلما قالتْها لكانَ عليَّ أنْ أثبتَها بعدَ كلّ جملة. اسمُها هُدى سُفيان سعيد البغدادي، في الثّالثة والثّلاثين، وقد أكسبَها إيمانُها هذا قوّةً فريدة.

حقيبةٌ سريعةُ لِنزوحٍ طويل

يومَ الجمعة، السّادس منْ أكتوبر، كنّا في منزلنا في تلّ الهوى نُقيمُ حفلةً بمناسبة تخرُّجِ أخي. مضّت العائلةُ بعدها إلى النّوم، أمّا أنا فكان عليَّ العودةُ للعمل على مشروعٍ جامعيّ. صحيحٌ أنّ لديّ شهادةَ مُعلّمِ صفٍّ، لكنّي أدرسُ الآنَ الهندسةَ المعماريّة. السّادسةُ والنّصفُ صباحاً صحا الجميعُ على صوتِ الصواريخِ التي أطلقتْها حماس، وبقيَ علينا أن ننتظرَ الرّدَّ الإسرائيليّ. حسبْنا أنّهُ سيكونُ قصفاً لن يتعدّى بضعةَ أيام، لم نحْتَملْ ما يُخبّئُ لنا، لذا قرّرْنا البقاءَ. ثمّ إلى أينَ سنذهبُ؟ كيفَ نتْركُ بيوتَنا؟ لِمَن نتركُها؟ اشتدّ القصفُ، أجاطَ بنا الأحزمةُ النّاريّةُ التي جعلت بيتَنا يهتزُّ ونهتزُّ معه، نرْحتُ أختي مع زوْجِها وأولادِها الأربعة من منطقةِ أبراجِ المحابرات وأتوا ليُقيمُوا معنا، ولم نكن لِنُغادرَ لولا اتصالٌ جاءَنا من أخي، هو يُقيمُ في تركيا، اتّصلَ بنا وأصرَّ علينا أن نخرج، قال إنّ الأمرَ لن يقفَ عندَ القصف، سيكون اجتياحًا برّيًا، سيقتحمُون، لذا لا بدَّ أن نُغادرَ. لم يعُدْ لدينا خيارٌ، تركْنا البيتَ في عشرِ دقائقَ، جهّزْنا حقيبةً صغيرةً للجميعِ وضعْ فيها كلّ واحدٍ منّا قطعتيْنِ من ثيابه الداخليّة وخرجْنا. لم نكنِ الوحيدين، النّاسُ يملؤُون الشوارعَ والقصفُ مستمرٌّ وأربعُ سياراتٍ تابعةٌ للصليبِ الأحمرِ موجودةٌ في المكان، اكتشفْنا أنّهم يُريدُونَ منّا الخروجَ في قوافلَ صوبَ الجنوبِ وفقَ أوامرِ الإسرائيليين. لم يكنِ النّاسُ راغبينَ في ذلك، لكنّ ما العملُ والقصفُ لا يتوقّفُ وبيوتُنا تتهدّمُ أمامَ عيونِنا والمجازرُ في كلّ مكان؟ الموتُ ينزلُ علينا من السماء، وقريبًا سيأتينا من الأرضِ مع بدءِ الاقتحامِ البريّ. وماذا عن الأطفال؟ أرْغمَنا الإسرائيليونَ على الخروج، أرْضخُونا لهم. لي أختٌ تسكنُ في خانِ يونس، وجدّةٌ في رفحَ. نسيتُ أن أخبرَكَ أنّ لي ستّةَ إخوةٍ وأربعَ أخواتٍ، منهم من هو مُتزوّجٌ ولديهِ عائلة، ومنهم من هو مُسافرٌ. مضيْنا إلى دارِ الجدّةِ في رفحَ. هناك وجدْنا أنفسَنا تحتَ الخطرِ نفسِه. ها نحنُ تركْنا بيوتَنا لكنّ القتلَ لم يتركْنا، بتْنا في رفحَ ننامُ ونصحُو على أصواتِ القصفِ وأسماءِ المجازرِ وإعدادِ الشهداء. أينَ نهربُ؟ نرمي أنفُسَنا في البحر؟ يُريدُون قتْلَنا عنْ آخرِنا، هذا أكيدٌ. في كلّ مرّةٍ أغمضْتُ فيها عينيَّ خِلْتُها تكونُ المرّةَ الأخيرة. سلّمْنا أمرَنا لله.

في بطنِ الحوت

في دارِ جدّتي اقْتسَمْنا في الطابقِ الأرضيّ من مبنًى من ستّةِ طوابقَ. لم يكنِ الوضعُ سهلًا في رفحَ، لا ماءَ، لا كهرباءَ، الأسعارُ مرتفعةٌ، لكنّنا تدبّرْنا أمورَنا ولله الحمدُ. لا أزال أذكرُ حالَنا ليلةَ قصفِ المبنى، ليلةَ الحادي والعشرينَ من أكتوبر. في البدايةِ فرشْتُ لي ولابني ذي السنواتِ الأربعةِ في صالةِ البيتِ مُحاولينَ النّوم. بعدها أتتْ أختي مع أولادِها للانضمامِ إلينا. ثمّ أتى أخي وذهبَ. بعد ذلك حملتُ ابني وذهبتُ إلى غرفةِ جدّتي. كلّ واحدٍ منّا أخذَ بنامُ قليلاً في غرفةٍ قبل أنْ ينتقلَ إلى غرفةٍ ثانية، كأنّنا نهربُ من الموت. في غرفةِ جدّتي دعوتُ بدعاءِ سيدنا يونسَ عليه السلامُ لمّا كان في بطنِ الحوت، وكرّرْتُ الدعاءَ حتّى صارتِ الساعةُ الثالثةَ فجرًا ولم أنمْ. ذهبْتُ لأطمئنَّ على إخوتي في غرفتِهم ووجدتُهم نياماً. جلستُ على كرسيٍّ، قلتُ سأبقى كذا واقرأُ القرآنَ. اعتقدتُ أنّي أخمدتُهم بدعائي وقراءتي. يبدو أنّني غفوْتُ قليلاً دون أن أشعرَ، وحينَ صحوتُ وجدتُ نفسي وسطَ الرّكام. لم أسمعْ بشيءٍ ولم أسمعْ صوتَ قصفٍ. صحوتُ ووجدتُ نفسي بين ركامِ في ظلامٍ يحملُ صُراخَ إخوتي ورائحةَ بارودٍ خانقةٍ. لعلّ الساعةَ كانت الرابعةَ، دائماً يقصفُونَ حينَ يكونُ النّاسُ نياماً. سقطَ السقفُ على أولادِ أخي الثّلاثةِ وقتلَهُمْ فوْراً. لمحْتُ أخيلةَ إخْوتي جالسةً على الكنبة، وبدأتُ البحثَ عن ابني. أتى رجلٌ ليُسعفَني، كانت الشّظايا في كلّ جزءٍ من جسدي. أخذتُ أصْرخُ: «لا تُسعفُوني! أسعِفُوا أهْلي في الشّارع لم أشاهدْ إلّا جُثثَ النّاسِ مرميّةً في كلّ مكان. أخرجُوا من المبنى أشلاءً وجُثثاً مُمزّقة، رأيتُهم يُخرجُونَ خالي وقد استشهدَ، رأيتُ ابنةَ أختي وابنةَ خالي أخيّاً. انشغلَ فكري بإحصاءِ الخسائرِ. كنّا أربعةً وعشرينَ شخْصاً، وبقيتُ أتلفّتُ حولي بحثاً عن ناجينَ من العائلة، وحينَ رأيتُ ابني ضمّدْتُهُ على الأرضِ. بقيتُ بجانبِ أخي برَاءَ. ارتفعتْ درجةُ حرارتِه إلى أربعينَ، استمرّتْ كذا طيلةَ شهرٍ. كان جسمُهُ مُمزّقًا كما أخبرتُك، وأصيبتْ جروحُهُ الكثيرةُ بالتهاباتٍ، وخسرَ الكثيرَ من دمِه. ومع قلةِ الأدويةِ يُضيحُ من الطبيعيّ أن تظلّ حرارتُهُ مرتفعةً. كنتُ أنْظرُ إليه ولا أُصدّقُ ما تراهُ عيناي، لا أكادُ أميّزُ فيه أخي الذي أعْرفُه. سقطَ الصاروخُ قريبًا منه على ما يبدو، فمزّقَهُ ولم يقتلْه. ذهبتُ إلى الطبيبِ سعد السّلوت، أخبرتُهُ أنّ أخي يضيعُ من بينِ أيدينا، حرارتُهُ مرتفعةٌ ولونُهُ باتَ أزرقاً. نقلُوا لهُ أربعَ وحداتِ دمٍ وأعطوه حقنةً سيتامول في الوريدِ لخفضِ حرارتِه. يستغرقُ نقلُ وحدةِ الدمِ ساعتيْنِ، وقد بقيتْ تلكَ الساعاتُ بجانبِه أضعُ له الكمادات. في مرةٍ هدّني التعبُ وأنا بجانبِه فغفوتُ قليلاً لأصحو من كابوسٍ مُفْزعٍ جعلَني أهرعُ إلى قسمِ العنايةِ لأتفقّدَ أخي عبدَ الله. هكذا كنتُ في المشفى، أتنقّلُ بين أخوتي اللّذين صرتُ مُمرضةً لهما بسببِ نقصِ الطاقمِ التمريضيّ. وكنتُ طيلةَ الوقتِ في حالةِ قلقٍ دائمٍ على أولادي، أكبرُهم في الثالثةِ عشرةَ من عُمرِه، بقوا في مخيمِ المواصي في رفحَ مع أبيهم هم بخير، أقولُ لنفسي، سيكونونَ بخير، ولا أستطيعُ أن أتركَ المشفى. أمّي التي لم أخبرْها باستشهادِ خالي وزوجتِه احتفظْتُ بصمتِها الحجريّ، أدركتْ ذلك وحدَها. عرفتُ ذلك لمّا رأيتُها تنزلُ حين أرادُوا من أصحابِها ولَمْن يعودُ كلُّ جزءٍ منها. صرختْ: مُستحيل! مُستحيل أن يكونوا تحوّلُوا إلى أشلاء! مستحيل أن نموتَ هكذا! لا أعرفُ لم قلتُ هذا، فأنا على يقينٍ من أنّها صادقةٌ فيما تقول.

فوزَ وصولِنا إلى المشفى الأوروبيّ أدخلُوا خالي وأخي عبدَ اللهِ إلى غرفِ العملياتِ، وظلّ البقيّةُ في قسمِ الاستقبالِ. المشفى يُعاني من نقصِ الأطباءِ والمعداتِ والأدويةِ، من نقصٍ في كلّ شيء. حالةُ أخي الآخرِ برَاءَ كانت مُزْريةً: أختُفي الجزءُ الأيمنُ من وجهِه، طارتْ أصابعُهُ، انزرعتِ الشظايا في أنحاءِ جسدِه، برزتْ عظامُهُ، انهرستْ يداهُ، تمزّقَ وهو حيٌّ. كذا كان حينَ رأيتُه، لكنّهُ قال بهدوءٍ: إيدي بتوجعني. كلمتانِ أثبتتا لي أنّهُ حيٌّ. سيظلُّ كذا ثلاثةَ أيام، كانَ وضعُهُ صعبًا، لكنّهُ أخفُّ. كما أكّدَ الأطباءُ. إن قُورنَ بمصابيْنِ آخرينَ، بوسعِه الانتظارُ إذن. في ظروفِ شحِّ الموارد البشريّةِ والطبيّة يضْطرُّ الأطباءُ إلى الفرزِ والمفاضلة، أي اختيارِ الحالاتِ الأكثرِ حرجًا وحاجةً إلى تدخلٍ فوريٍّ. شيءٌ صعبٌ. أمّا إبراهيمُ، وهو ابنُ خالي الآخرِ وعُمرِه اثنتا عشرةَ سنةً، فقد صار وحيدًا بعدَ أن استُشْهِدتْ عائلتُهُ كلُّها. بلغَ شهداءُ عائلتنا تسعةً.

أخرجُوا أخي عبدَ اللهِ من غرفةِ العملياتِ مُسْرعينَ به إلى العنايةِ المشددةِ. رأيتُهم يركضُونَ به وقد تدلّى لسانُهُ من فمِهِ وضماداتُهُ تتْرشحُ دمًا سقطتْ على الأرضِ، بقيتُ بجانبِ أخي برَاءَ، ارتفعتْ درجةُ حرارتِه إلى أربعينَ، استمرّتْ كذا طيلةَ شهرٍ. كان جسمُهُ مُمزّقًا كما أخبرتُك، وأصيبتْ جروحُهُ الكثيرةُ بالتهاباتٍ، وخسرَ الكثيرَ من دمِه. ومع قلةِ الأدويةِ يُضيحُ من الطبيعيّ أن تظلّ حرارتُهُ مرتفعةً. كنتُ أنْظرُ إليه ولا أُصدّقُ ما تراهُ عيناي، لا أكادُ أميّزُ فيه أخي الذي أعْرفُه. سقطَ الصاروخُ قريبًا منه على ما يبدو، فمزّقَهُ ولم يقتلْه. ذهبتُ إلى الطبيبِ سعد السّلوت، أخبرتُهُ أنّ أخي يضيعُ من بينِ أيدينا، حرارتُهُ مرتفعةٌ ولونُهُ باتَ أزرقاً. نقلُوا لهُ أربعَ وحداتِ دمٍ وأعطوه حقنةً سيتامول في الوريدِ لخفضِ حرارتِه. يستغرقُ نقلُ وحدةِ الدمِ ساعتيْنِ، وقد بقيتْ تلكَ الساعاتُ بجانبِه أضعُ له الكمادات. في مرةٍ هدّني التعبُ وأنا بجانبِه فغفوتُ قليلاً لأصحو من كابوسٍ مُفْزعٍ جعلَني أهرعُ إلى قسمِ العنايةِ لأتفقّدَ أخي عبدَ اللهِ. هكذا كنتُ في المشفى، أتنقّلُ بين أخوتي اللّذين صرتُ مُمرضةً لهما بسببِ نقصِ الطاقمِ التمريضيّ. وكنتُ طيلةَ الوقتِ في حالةِ قلقٍ دائمٍ على أولادي، أكبرُهم في الثالثةِ عشرةَ من عُمرِه، بقوا في مخيمِ المواصي في رفحَ مع أبيهم هم بخير، أقولُ لنفسي، سيكونونَ بخير، ولا أستطيعُ أن أتركَ المشفى. أمّي التي لم أخبرْها باستشهادِ خالي وزوجتِه احتفظْتُ بصمتِها الحجريّ، أدركتْ ذلك وحدَها. عرفتُ ذلك لمّا رأيتُها تنزلُ حين أرادُوا

من المشاهد المتكررة وسط الحرب المواصلة على قطاع غزة (باسل طلوزي/ فرانس برس)

على الأرضِ. بقيتُ بجانبِ أخي برَاءَ. ارتفعتْ درجةُ حرارتِه إلى أربعينَ، استمرّتْ كذا طيلةَ شهرٍ. كان جسمُهُ مُمزّقًا كما أخبرتُك، وأصيبتْ جروحُهُ الكثيرةُ بالتهاباتٍ، وخسرَ الكثيرَ من دمِه. ومع قلةِ الأدويةِ يُضيحُ من الطبيعيّ أن تظلّ حرارتُهُ مرتفعةً. كنتُ أنْظرُ إليه ولا أُصدّقُ ما تراهُ عيناي، لا أكادُ أميّزُ فيه أخي الذي أعْرفُه. سقطَ الصاروخُ قريبًا منه على ما يبدو، فمزّقَهُ ولم يقتلْه. ذهبتُ إلى الطبيبِ سعد السّلوت، أخبرتُهُ أنّ أخي يضيعُ من بينِ أيدينا، حرارتُهُ مرتفعةٌ ولونُهُ باتَ أزرقاً. نقلُوا لهُ أربعَ وحداتِ دمٍ وأعطوه حقنةً سيتامول في الوريدِ لخفضِ حرارتِه. يستغرقُ نقلُ وحدةِ الدمِ ساعتيْنِ، وقد بقيتْ تلكَ الساعاتُ بجانبِه أضعُ له الكمادات. في مرةٍ هدّني التعبُ وأنا بجانبِه فغفوتُ قليلاً لأصحو من كابوسٍ مُفْزعٍ جعلَني أهرعُ إلى قسمِ العنايةِ لأتفقّدَ أخي عبدَ اللهِ. هكذا كنتُ في المشفى، أتنقّلُ بين أخوتي اللّذين صرتُ مُمرضةً لهما بسببِ نقصِ الطاقمِ التمريضيّ. وكنتُ طيلةَ الوقتِ في حالةِ قلقٍ دائمٍ على أولادي، أكبرُهم في الثالثةِ عشرةَ من عُمرِه، بقوا في مخيمِ المواصي في رفحَ مع أبيهم هم بخير، أقولُ لنفسي، سيكونونَ بخير، ولا أستطيعُ أن أتركَ المشفى. أمّي التي لم أخبرْها باستشهادِ خالي وزوجتِه احتفظْتُ بصمتِها الحجريّ، أدركتْ ذلك وحدَها. عرفتُ ذلك لمّا رأيتُها تنزلُ حين أرادُوا

لم نتخيّل ما يُخبّئ لنا، لذا قرّرنا البقاء. ثمّ إلى أين سنذهب؟ كيف نترك بيوتنا؟

لي إنّ أخويّ وضعهُما صعبٌ وسيتمُّ نقلهما إلى المشفى الأوروبيّ. قلتُ: أذهبُ معهما. خرجْنا في ثلاثِ سياراتٍ إسعافٍ، كانت تحملُ مع أخويّ كلًّا من خالي وابنِ خالي وأختي. كانت زوجةُ خالي في حالةٍ جُنونيّةٍ، ظلّتْ تقولُ إنّها كانت تكْشطُ اللّحمَ، تُزيلُهُ عن الحجارة، كانت تُلملمُ الأشلاءَ واللّحمَ والدمَ المُتخثّرَ من بينِ الركامِ ولا تعرفُ واسعفُونا إلى مشفى أبو يُوسف النّجار. نُسمّيهِ مشفًى، لكنّهُ في واقعِ الأمرِ أقربُ إلى مستوصفٍ. هناك نظرُوا إلى جُروحي وتبيّنَ لهم أنّها غيرُ خطرة، ومن شُعوري بالعطشِ شربتُ الماءَ كأنّي لم أشربْهُ منذ سنواتٍ. رأيتُ أمّي. بدتْ لي في حالٍ من الصدمةِ شديدةٍ. بدتْ مثلَ تمثالٍ حجريٍّ بعيْنيْنِ جامدتيْنِ. رأيتُ أختي، كان رأسُها مُصابًا وينزفُ وهي تظلُّ تسألُ عن أولادِها. همس لي زوجُها محمود العرعير: الأولادُ ماتُوا. قالها وسكتَ. لأنا، اثنتا عشرةَ سنةً، مُحمّد، عشرُ سنواتٍ، زيْدُ، ستُّ سنواتٍ، أولادُ محمود العرعير وهُلا البغدادي قتلُوا جميعًا على إثرِ القصفِ. كذبْتُ على أختي هُلا وقلتُ لها: هم بخير. أينَ هم؟ انقذْتُني مُمرضةٌ من مأزقِ الإجابة، جاءتْ لتقولَ إنّ إخوتي بخير، أخذوا إلى العنايةِ المشددة، أي في حالةٍ جُنونيّةٍ، ظلّتْ تقولُ إنّها كانت تكْشطُ اللّحمَ، تُزيلُهُ عن الحجارة، كانت تُلملمُ الأشلاءَ واللّحمَ والدمَ المُتخثّرَ من بينِ الركامِ ولا تعرفُ لي إنّ أخويّ وضعهُما صعبٌ وسيتمُّ نقلهما إلى المشفى الأوروبيّ. قلتُ: أذهبُ معهما. خرجْنا في ثلاثِ سياراتٍ إسعافٍ، كانت تحملُ مع أخويّ كلًّا من خالي وابنِ خالي وأختي. كانت زوجةُ خالي في حالةٍ جُنونيّةٍ، ظلّتْ تقولُ إنّها كانت تكْشطُ اللّحمَ، تُزيلُهُ عن الحجارة، كانت تُلملمُ الأشلاءَ واللّحمَ والدمَ المُتخثّرَ من بينِ الركامِ ولا تعرفُ

تهجير متواصل في رفح (عبد الرحيم الخطيب/ الأناضول)

دمار خلّفته الغارات الإسرائيلية في مدينة غزة (وائل إبوب/ Getty)

دفنَ شهداءِ العائلة. نزلتْ وصلّتْ عليهم وودّعتْ أخاها في صمت. وأخيرًا، بعدَ طولِ انتظار، أُدخلَ برَاءُ غرفةَ العمليّات. قاموا بتنظيفِ جُروحِه، واستخراجِ الشّظايا من جسمِه، وبتْر أصابعِه. في البدايةِ شعرتُ بالفرحِ لأنّهُ لم يخسرْ طرفًا كاملًا، وأنّ المسألةَ اقتصرتْ على الأصابع، لكنْ بعدَ ذلك توالتْ عمليّاتُه، إذْ كانَ لديهِ عمليّةٌ جديدةٌ كلَّ يوم. بينما القصفُ مستمرٌّ، وتوافُدُ المصابينَ إلى المشفى لا يتوقّفُ، وصارَ علينا أنْ ننتظرَ دورَهُ في كلّ مرة. امتلأَ المشفى بالجُثث، بالنّازحينَ، بالجرحى ومرافقيهم، تكوّمْنا فوقَ بعضِنا بعضًا، بلْ جاءتْ أيّامٌ كنتُ أنامُ فيها مع أمّي تحتَ سرير برَاء.

تدهورَتْ صحةُ برَاءٍ فجأةً، تعفّنَتْ جروحُهُ، وصارَتْ ضِماداتُهُ سوْداءَ، وفي كلّ يومٍ أُغيّرُ مقارشَهُ فأجِدُها مُشبعةً بالدّم. بلْ إنّي في إحدى المرّاتِ استيقظْتُ على قطراتِ دمٍ تتقاطرُ من سريرِه على الأرض، كانَ برَاءُ ينزفُ بغزارةٍ، كانَ غارقًا في دمِه. لم تعُدْ وحداتُ الدّمِ متوفّرةً، وصارَ عليَّ البحثُ عن متبرّعين، ولا تزالُ أمّي مثلَ تمثالٍ حجريٍّ بعينيْنِ جامدتيْنِ. كما أنّي لم أستطعِ الاكتفاءَ برعايةِ أخي مُتجاهلةً المرضى الآخرينَ. كيفَ بُوسعي أنْ أرى مُصابينَ لا يُوجدُ من يُرافقُهُمْ أو يعتني بهمْ وأقفُ مكتوفةَ اليدين؟ وجدتُ نفسي أتنقّلُ بينَ هذا وذاك. صرتُ مُمرّضةً للجميع، وهذا العملُ مع قلةِ النّوم والقلقِ جعلني في إنْهاكٍ دائم. في يومِ التاسعِ والعشرينَ من أكتوبرَ ذهبْتُ إلى قسمِ العنايةِ لتفقّدِ عبدِ الله منقبضةَ القلب. لعلّ انهماكي الدّائمَ ببرَاءٍ وبتأمينِ وحداتِ الدّمِ شغلني قليلًا عن عبدِ الله. سلّمْتُ عليه وكلّمتُه، ثمّ طلبتُ منّي الطبيبةُ الخروجَ. رفضتُ ذلك، كنتُ مُصرّةً على البقاءِ بجانبِه. بقيتُ أقرأُ القرآنَ بجانبِه وأسألُ اللهَ أنْ يرحمهُ بالموتِ. تخيّلي! واللهِ إنّي أحبُّهُ حبًا كبيرًا لكنّي تمنّيتُ لهُ الموتَ. كانَ موضوعًا على جهازِ التّنفّسِ الصّناعيّ، وضغطُ دمِه ينزلُ، ولونُهُ يزرقُّ شيئًا فشيئًا. لم يعُدْ يُشبهُ أخي الوسيمَ زينَ الشّباب. أصرّتِ الطبيبةُ مجدّدًا على خُروجي، فهمْتُ منْ إصرارِها أنّهُ يُحتضرُ لكنّي رفضْتُ بشدّةٍ. بقيتُ بجانبِه أراقبُ شاشةَ المونيتور إلى أنْ أطلقَ الجهازُ صفيرَهُ. حينَ أتى الطبيبُ ليُغطّي وجهَهُ صرختُ فيه: لا تخنقْ أخي! كانَ ماتَ وكلُّ الذي أفكّرُ فيه هو أنّهُ سيخنقُهُ كذا. بقيتْ واقفةً أدلكُ لهُ جسمَهُ وأنا أردّدُ: الحمدُ لله، الحمدُ لله.

في قسْم الأطْفال

لم يكنِ المشفى مكانًا آمنًا، ولا المدرسةُ. خرجتْ مرّةً لشراءِ الـ«نّ» ملعقةً منهُ بعشرِ شيكلات، ورأيْتُهم يأتُون بضحايا القصفِ على مدرسةٍ تُؤوي نازحينَ. وقفتُ عند مدخلِ قسمِ الطوارئ أراقبُهمْ يأتون بالجرحى، والقتْلى، والأشلاءِ البشريّةِ الموضوعةِ في أكياسٍ ورقيّةٍ. كانَ المشهدُ فظيعًا، في ذلكَ القصفِ قُتلَ خمْسةَ عشرَ شخصًا، وأُصيبَ العشراتُ، من سوءِ حظّي أنّ امتلاءَ المشفى جعلَ الأطباءَ يضعونَ أخي برَاءً في قسمِ الأطفال. كانَ من القاتلِ أنْ تجدي نفْسكِ مع بقايا أجْسادِ الأطفالِ تعيشينَ مأساتَهُمْ عن قُرْبٍ. أذكرُ بنتًا من آل الكدْريّ، كانَ جسْمها محروقًا بالكامل، تزشحُ منهُ إفرازاتٌ خضْراءُ وبيْضاء، كلُّ ذلك من القصف، يقْصفُوننا بسمومٍ جديدةٍ لا نعرفُ طبيعتَها. بيْسانُ ذاتُ السّنواتِ الثّماني بُترتْ طرفاها السُّفلييْنِ. جلستُ مرّةً على سريرِها أواسيها، فما كانَ منها إلّا أنْ طلبتْ منّي النّهوضَ لأنّني أجلسُ على رِجْلِها وأزيدُ بذلك من ألمِها. أصابني الذّعرُ. كانتْ ساقُها مبتورةً! شعرتُ بدوارٍ شديدٍ وارتجفَ جسمي كلّهُ وأنا أنظرُ إليها. أعادتْ طلبَها بتهذيب: «خالتي، قومي عن رِجْلي، انت بتوْجعيني!» نُهضْتُ وأعتذرتُ منها. بعدَ أيّام، وأنا أمرّضُهما، أخبرتُها ألّا تحزنَ، فاللهُ قد يُريدُ أحيانًا أنْ يأخذنا إليه على دُفعات. يعني مثلًا قد يأخذُ منّا يدًا أو رِجلًا تسبقُنا إلى الجنّة. رجلاكِ تنتظرانكِ هناك، وستُلْحقينَ بهما بعدَ أنْ تكبري. نظرتْ إليّ مُبْتسمةً دونَ أنْ تنْطقَ حرفًا. صرتُ مُمرّضةً ودّاعمةً نفسيّةً. جعلَني وُجودي في قسمِ الأطفالِ قريبةً منهم، صرتُ أحاولُ تعليمَ الأطفالِ كيْفيّةَ التّعاملِ مع أجسادِهم الجديدةِ النّاقصة.

تعرّفتُ أنّ عددَ القتْلى والجرحى من الأطفالِ كانَ كبيرًا، ربّما يُشكّلونَ النّسبةَ العظمى. وكانَ من المفاجآتِ لي أنّهم كانوا أقوياء، يتعاملونَ مع كلّ ما يحْدثُ بثباتٍ وصرامةٍ. رأيْتُ هذا بأمِّ عيني، كانَ شيئًا عجيبًا. منْ أينَ لهمْ هذه الشّجاعة؟ من عُلمائِهم هذا الهدوءُ؟ كيفَ لا أرى منهم ردودَ أفعالٍ تُناسبُ أعمارَهمْ أو ما يُفترضُ أنْ تُناسبَها؟ أيُعقلُ أنّهم كبرُوا قبلَ الأوانِ؟ شاخُوا وهم أطفالٌ. كنتُ أراهم هادئينَ في مُعظمِ الأحيان، مُمدّدينَ على سُرُرِهم عاجزينَ عن الحركةِ بأجسادٍ فقدتْ أطرافَها، لكنّهُم ظلّوا هادئينَ في غالبِ الوقتِ. أذكرُ أنّ إبراهيمَ الصّوالحي، وهو طفلٌ في الثّانيةَ عشْرةَ، حينَ غرقَ بموتِ أهلِه اكتفى بقولِه: الحمدُ لله. عبدُ الرّحمن رضوان كانَ أيضًا النّاجي الوحيدَ من عائلتِهِ في القصفِ الذي طالَ دارَ أهلِهِ استُشهدَ خمسونَ شخصًا وبقيَ هو. وصلَ إلى المشفى في الثّاني عشرَ من كانونَ الثّاني أذكرُ ذلكَ لأنّهُ اليومُ الذي كانَ يُفترضُ أنْ ننقلَ فيهِ برَاءً منَ المشفى. حينَ سمعْتُ بقصْتِهِ أسرعْتُ إلى الغرفةِ المجاورةِ التي وضعوهُ فيها. كانَ يصيحُ من الألمِ، جسمُهُ مُحروقٌ وبطنُهُ مفتوحٌ مع إصابةٍ في رأسِه. أتيتُ لهُ بأغطيةٍ وبقيتُ يومينِ أرعاهُ. في اليومِ الثالثِ قالَ لي: «سِتّي بيضي». يا الله كمْ قُرحتْ سالتْ الطبيبَ وأخبرتني أنّ بوسعِهِ الأكل. كانَ الطّعامُ قليلًا، ونحنُ جياعٌ، لكنّ كانَ بحوزتي بيضتانِ. يُصعْبُ أنْ أصفَ الأمرَ لكِ. هما أخرُ بيضتيْنِ معنا، ونحنُ جياعٌ، وأمي قالتْ لي: وإخوكِ؟ قلتُ لها: لكنّهُ طفلٌ وأكلَ البيضتيْنِ، ابتسمتُ لأوّلِ مرّةٍ منذُ وقتٍ طويلٍ وأنا أراهُ يأكلُهما. هذا ما أظنُّهُ، ففي أعماقي شعرتُ بالألمِ والحزنِ لأنّنا سنتركُهُ في اليومِ نفسِه. رأتْ مرافقةُ أحدِ المرضى مقدارَ اعتنائي بعبدِ الرّحمن فسألتني: هذا قريبُك؟ أجبْتُها: لا، ليسَ قريبي، قالَ عبدُ الرّحمن: بلى! هذه خالتي. لا أزالُ أفكّرُ فيه، ولدٌ وحيدٌ بلا أمٍّ ولا عائلة. صرتُ ممرّضةً فجأةً. أكثرُ ما يُثيرُ استغرابي هو أنّني لا أزالُ أحتفظُ بعقلي على الرغمِ من كلّ ما رأيتُ. رأيتُ أشياءَ رهيبةً، كثيرٌ من النّاسِ فعلوا، أشياءَ لا أستطيعُ الحديثَ عنها، بل لا أريدُ أنْ أفعلَ في يومٍ منَ الأيام، أفضّلُ أنْ أنساها. قدْ تكونُ إصابةُ «إيمان مسلم» أسوأَ إصابةٍ رأيتُها. هي امرأةٌ ممتلئةٌ، في الثّالثةِ والثّلاثين، أتى بها أخُوها إلى المشفى. أذكرُها واذكرُ اسمَها لأنّ ما رأيتُهُ عندها لم أرَهُ في حياتي. كانتْ يدُها اليمنى محفورةً، مُثقوبةً على شكلِ دائرةٍ كأنّ آلةً حادةً اقتطعتْ ذلكَ الجزءَ من كفِّها. رجلاها أيضًا، بل إنّ جسمَها كلّهُ كانَ مخروماً بدوائرَ وأنصافِ دوائر. شيءٌ غريبٌ. أيُّ سلاحٍ هذا الذي يفعلُ مثلما يَقرضُ فارٌ جوانبَ رغيفِ خبزٍ؟ في كلّ حربٍ جديدةٍ يُجرّبُ فينا الإسرائيليّونَ أسلحةً جديدةً. قمتُ بتمريضِها، ساعدتُ أخاها الذي يعملُ مُسعفًا. كنا نتنظّفُ لها جروحَها التي تَنْزُ قيحًا ونغيّرُ ضِماداتِها دونَ تخدير. أخوها رجلٌ جبّارٌ، أصرَّ على العنايةِ بها وتعقيمِ جراحِها بنفسِه، وكنتُ أساعدُهُ في ذلك. قال الجميعُ إنّها ستموتُ خلالَ ساعات، لكنّ اعتنائنا بها جعلَها تصمدُ ثلاثةَ أشهرٍ إلى أنْ أصابَها إنتانٌ دمٍ شديدٌ وماتتْ. أكانَ فعلُنا هذا إنسانيًا؟ ألمْ يكنْ منَ الأفضلِ أنْ نتركَها تموتُ بسرعةٍ ولا تُعاني هذه الآلامَ الشّديدةَ طيلةَ ثلاثةِ أشهر؟ لكنْ أكانَ بوسعِنا تركُ جراحِها تتعفّنُ دونَ أنْ نفعلَ شيئًا؟ لا أعرفُ، حقًا لا أعرفُ، ماتتْ في النّهايةِ وارتاحتْ منْ عذاباتِها. كذلكَ عانى أخي عبدُ اللهِ ثمّ ماتَ، لكنْ في وسطِ ذلكَ الجنونِ كنتُ أقولُ لأمّي: بلْ هو حيٌّ ونحنُ الميتونَ. نعم! صرتُ ممرّضةَ فجأةً، أغيّرُ الضّماداتِ وأزيلُ القيحَ وأعقّمُ الجروحَ منتقلةً منْ جريحٍ إلى جريحٍ. جعلتني تلكَ التّجربةُ قريبةً منَ الجسدِ البشريّ حينَ يكونُ في وضعٍ مغايرٍ للوضعِ المعتادِ المألوفِ، فاكتسبتُ بذلكَ وجهةَ نظرٍ مختلفةً، صرتُ أرى وجودَنا مختلفًا، لنْ أعودَ أبدًا كما كنتُ. لا أدري إذا كنتُ سأصابُ بالجنونِ لولا إيماننا باللهِ. الحمدُ لله.

يبدو أنّني غفوتُ قليلًا دون أن أشعر، وحين صحوتُ وجدتُ نفسي وسط الرّكام. لم أشعر بشيء

قضايا

يشير المعنى الآخر لحربي فلسطين ولبنان إلى رغبة الغرب في إحياء صفقة القرن وضمان استمرار موجة التّطبيع بمسمى حلّ الدّولتين، الذي يقلّص وجود فلسطين إلى كيانين، أوّلهما في سيناء والآخر في وحدة مع الأردن

مساهمة مغاربية في التحليل

طوفان الأقصى

تراكمية التأييد ودروس للعبرة

محمد سي بشير

يوحي عنوان المقالة بجدلية العاطفة والتّجاهل. عاطفة المغاربة تجاه ما يجري في فلسطين منذ العام الماضي وتجاهل قطاع واسع من الإعلام العربي إشراك المغاربة في تحليل الأوضاع، وتشخيص الصّراع، وقراءتهم تطوّرات الموقف وتقديرات مآلات القضية أو اليوم التّالي للحرب. وهي إشارة هامّة بمرجعية المشاركة قلباً وقالباً، تأييداً وعاطفة، من نخبة المنطقة إزاء ما يجري منذ بدء الحرب، في مقابل ذلك التّجاهل من إشراك المغاربة من كلّ القنوات. والحديث، هنا، عن قنوات منصفة أو متوازنة في التّغطية والتّحليل، لنطرح، بشأن هذا كلّه، جملة من الأسئلة قد تكون الأجوبة عنها صادمة لموقف أضحى مُؤسفاً بسبب ذلك التّناقض، وبسبب تلك الانعزالية التي تكاد النُّخبة تعيشها وكأنّها تعقّد في الأبحاث بأنّ المغاربة بعيدون عن ساحات المعركة أو أنّ المعركة لا تعنيهم إلّا من حيث العاطفة، ولكن من دون فسح المجال لإبداء الرّأي والتّحليل للموقف.

لم يكن لكاتب هذه المقالة أن يطرح الأسئلة بشأن تلك الجدلية، لولا انتشار بعض الأغلوطات في التّحليل أخيراً، تتعلّق أساساً بعدّة ملاحظات، أوّلها محاولة التّقاضي عن المشاركة الفعلية للحليف الأميركي في الوضع منذ يومه الأوّل، بل منذ إنشاء الكيان، والثّانية تشير إلى ساحات القتال بين الوحدة والتّفكّك، إضافة إلى ملاحظة ثالثة تتعلّق بانخراط إيران في الحرب ودور الحرب نفسها في لعبة الصّراع على ريادة الإقليم للحصول على وكالة للمصالح الأميركية بين ثلاثة فاعلين غير عرب: الكيان وتركيا وإيران.

طبعاً، لا يصل بنا الأمر إلى الادّعاء أنّ تلك الأغلوطات متعمّدة، بل رأينا أنّها قصور في التّحليل، بسبب أنّ المحلّلين، أو أغلبهم، يركّزون في قضايا بعينها من دون الالتفات إلى مواضيع لعلّها خفيت عليهم أو أنّ إدراكهم الأمور أنّ تلك القضايا ليست من الأولويات، أو أنّ تأثير تلك المتغيّرات غير وازن في تطوّرات الوضع، وهو ما لا يراه بعضهم، ويا ليت أنهم شاركوا أو أشركوا للإدلاء بمنظورات مغايرة وترتيباً للأولويّات بعيون مختلفة عن التي اعتاد عليها المشاهدون والمتابعون لتحليلات المواقف منذ العام الماضي. من النّاحية الثّانية، تشير المقالة إلى تحليل مغاير ومعالج لتلك الأغلوطات أو ذلك القصور، لعلّه يكون الحلّ لإشكالية تجاهل النُّخبة المغاربية في تحليلها الوضع وتقديرها الموقف، وهو تحليل مرتكز على قراءة نابعة من تراكمية العاطفة، التّأييد والقدرة على المشاركة بكفاءة في فهم مكنونات القضية وتطوّرات الأمور بشأنها.

ونحن على أعتاب العام الثّاني لـ«طوفان الأقصى»، أولى الملاحظات الخاصّة به أنّه صراع وجودي وصفري لا يقبل التّسوية، لأنّه أعاد الحياة إلى ملفّ أعتبر، إلى وقت قريب، أنّه قد طُوي بعاملَي صفقة القرن وموجة التّطبيع، إضافة إلى أنّ حقيقة أنّ الصّراع في غزّة ليس مع الكيان فقط، بل مع الغرب بأكمله، أي إنّه صراع حضاري، تماماً مثلما تنبّأ به صموئيل هنتنغتون عندما كتب عن تغيّر الصّراعات من صراعات بين دول إلى صراعات بين حضارات، وعليه فإنّ الأمر مع «طوفان الأقصى» استدعى المعطى الحضاري للصّراع بالمساندة اللّوجستية، الاستخبارية، بل الشّعورية من الغرب بأكمله للكيان، (المسجد الأقصى)، تجسيد قوّة الدّول غير العربية في الجوار الإقليمي على غرار إثيوبيا، وضمان تفكيك الإقليم المغاربي من خلال التّلاعب بمقدّرات المنطقة وإفقادها القدرة على الجُمْعي، مرّة أخرى، بخاصّة بين الجارين، الجزائر والمغرب، من خلال التّطبيع مع الرّباط، وبناء إدراك وعقيدة استراتيجية مع العرش الملكي المغربي.

مغربي يلوح بعلم فلسطين خلال مسيرة تضامن مع غزة في طنجة، 7/7/ 2024 (فرانس برس)

حرب لبنان مخطط استراتيجي لتوسيع رقعة الحرب وتفويت فرصة توقيع اتفاق هدنة أو إنهاء الحرب مع «حماس» بغزة

حرب لبنان مخطّط استراتيجي لتوسيع رقعة الحرب وتفويت أيّ فرصة لتوقيع أيّ اتفاق هدنة أو إنهاء الحرب مع حركة حماس في غزّة، حيث بدأ المخطّط بالضّفة الغربية، ثمّ تمدّد ليشمل بيروت. ولأهداف الحرب على لبنان ثلاثة أبعاد: حماية شمال الكيان والمغتصبات هناك، وتحضير العالم الفلسطينيين لمخطّط تهجير مزدوج، نحو سيناء لسكّان غزّة، ونحو الأردن لسكّان الضّفة الغربية. وللمخطّط أبعاد ناعمة: أوّلاً، استدعاء التّاريخ لمعرفة الكيان واستخباراته بالعداوة السّنية الشّيعية، التي أعيد إحياؤها في ثلاث فترات: في أثناء حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران، بمناسبة ما سُمّي مخطّط الهلال الشّيعي، ثمّ منذ بداية الحرب الأهلية في سورية وانخراط حزب الله إلى جانب النّظام السّوري، نظرية وحدة ساحات المقاومة وإرادة تقويضها من الكيان. فالمقاومة الآن إمّا داعشية إرهابية سنّية (حماس في غزّة)، أو من أذرع إيران (الحوثيين، وحزب الله، والحشد الشّعبي في العراق)، تجربة حدود العقيدة الاستراتيجية الإيرانية والعربية المساقة نظرية «الصّمت الاستراتيجي».

الاستفادة القصوى من خصوصية المرحلة بمرجعية الانتظار العالمي لمعركة الرّئاسة في أميركا (على بعد شهر)، فهناك منافسة محتدمة للحصول على مساندة اللّوبي الصّهيوني و«إيباك»، أكبر منظمة يهودية مساهمة في صنع الرّؤساء والسّياسيين في أميركا. الدّيمقراطيون يعبّرون عن المساندة المطلقة بالدّعم الحربي والمالي، إضافة إلى الانخراط في حرب المعلومات، بل إبراز طابع التّعاضدية من خلال زيارات وزير الخارجية الأميركي، بايدن، الكيان نحو عشر مرّات، وقد صرح الأخير بأنه لا يتعامل مع حرب غزّة من منطلق مسؤوليته في وزارة الخارجية الأميركية فقط، بل أيضاً من منطلق عاطفي هو أنّه يهودي. الجمهوريون بتصريح دونالد ترامب (مهندس صفقة القرن وعرّاب نقل السّفارة الأميركية إلى القدس مع الاعتراف بها عاصمة أبدية للكيان، من دون إغفال إبطاله الاتفاق النّووي مع إيران) بأنّ جغرافية الكيان يجب ألّا تبقى كما هي، بل عليها أن تتمدّد بالمعطيات التي سبقت الإشارة إليها (عملية النّهيمر المزدوجة).

لاحظ الباحث الفرنسي، فرانسوا بورغا، أنّ هناك جدلية بين مقاومة حزب الله (نموذج انتصار 2006 في الجنوب اللّبناني ضدّ الكيان)، والطّابع الوظيفي للحزب في سورية (2011)، وهو ما يمكن الاعتراف بأنّه استدعاء للتاريخ في فعل مقاومي حديث ضدّ عدو يعرف تلك الجدلية ويوظّفها في حربه. هناك دور فرنسي مريب يشبه استمرار الوصاية (نوع من أنواع الاستعمار كان يعرف بالانتداب أو الحماية (Protectorat)، ولصالح فصيل محدّد هو المولرنة (الرّئاسة)، هناك تشابه كبير في الضّعف والانكشاف (Vulnérabilité) بين وضع الجزائر قبل الاحتلال الاستيطاني الفرنسي في 1830، حين أضعفت الجزائر لتصبح لقمةً سائغة لمشاريع فرنسا في التّوسّع الرّاسمالي، وتصدير مشكلاتها الدّاخلية، والوضع الذي عليه لبنان قبل هذه الحرب، إذ لا رئيس الآن في لبنان، وهناك حكومة تصريف أعمال وبرلمان أعرج، من دون نسيان حادثة الميناء ودور القوى المسيطرة في لبنان، ومنها حزب الله، في تعطيل السّياسة والاقتصاد.

تجري الحرب في لبنان في إطار تطوّرات استراتيجية دولية تتّسم بإرادة إعادة الحياة إلى صفقة القرن ومواصلة موجة التّطبيع إضافة إلى تصفير مشكلات الكيان، في الإقليم، باعتباره المنتصر في اللّعبة الإقليمية للوكالة للمصالح الأميركية (اللّعبة كانت ثلاثية بين إيران وتركيا والكيان وانتهت لصالح خيار الانغراد للكيان بالوكالة الأميركية).

هناك، قبل حرب غزّة ولبنان، مشاريع للعب دور الفاعل الوكيل للمصالح الأميركية بين لاعبين/ فاعلين ثلاثة، إيران وتركيا والكيان. الأميركيون يعبّرون عن خيارهم الوحيد في المنطقة، وهو الكيان، ممّا حدا بتركيا إلى التّوجّه ربّما نحو منتدى «بريكس» أو التّهديد بالخروج من حلف شمال الأطلسي (ناتو)، في حين توجّهت إيران نحو الصّمت الاستراتيجي بسبب تأثير العقوبات، إبطال اتّفاق الغرب بشأن النّووي الإيراني ووجوب انتظار ما ستسفر عنه انتخابات نوفمبر/ تشرين الثّاني المقبل، والتّعرّف على هُويّة ساكن البيت الأبيض. يُلاحظ على الإعلام العربي، في تغطيته الأحداث في غزّة ولبنان، أنّه انقسم، في تغطية حرب غزّة، ثمّ الحرب على لبنان، إلى قسمين. الأوّل قنوات تدافع وتبرّر للكيان جرائمه وتستضيف لذلك محلّلين من الدول المطبّعة أو من الذين تبنّوا وجهة نظر الكيان. والثّاني استهدف تغطية تساوي بين جرائم الكيان والضّحايا من الأبرياء إضافة إلى مواصلة تبنّيها شعار الرّاي والرّاي الآخر، إذ كانت تنقل وجهات النّظر للكيان بحجم (ومضمون) تغطية الرّسمي باسم كتائب عز الدّين القسّام، أبو عبيدة، وندوات النّاطق الرّسمي لجيش الكيان). يمكن التّعرّض لما يُسمّى العقل العربي المكبّل النّاتج عن تعطيل ملكات ومواهب كان بإمكانها صنع التّميّز والقضاء على الارتباط بين المنطقة الشّرق الأوسط الكبير) وظاهرة الاستعصاء على التّغيير، الدّيمقراطية والتّطوّر. هناك ارتباط وثيق بين هذه الهجمات والإسناد اللّوجستي والاستخباري الأميركيين، ذلك أنّ الكيان هاجم، في 28 الشّهر الماضي (سبتمبر/ أيلول)، لبنان وفلسطين واليمن وسورية، في سابقة لا يمكن أن تتحقّق لولا ذلك الحلف الاستراتيجي بين الكيان وأميركا، وتسهيلات الأميركيّين للكيان، حتّى تقوم بذلك كلّه، وتظهر بمظاية الرّادع للحرب أو الفاعل الأساس فيها. الكلّ، في العالم، ينتظر الرّواية الإسرائيلية عبر تحقيق مطوّل، ادعت فيه تفنيد جرائم العنف الجنسي في ذلك اليوم، تبيّن أن الشّهادات التي وردت فيه غير موثّقة، وأن الأدلة الجنائية والطب الشّرعي الإسرائيلي فشل في إثبات هذه الادعاءات، ما اضطر الصّحيفة لاحقاً إلى الاستغناء عن تعاونها مع واحدة من الصّحافيات المشاركات في التّحقيق، هي آنات شوارتز، بعدما ظهر تاريخها بالتّعاطف مع الاحتلال والتّحريض على قتل الفلسطينيين. لقصة العنف الجنسي في السّابع من أكتوبر تشعّبات كثيرة.. بدأت في ذلك اليوم، وتوسّعت طيلة الأشهر الماضية. وعند كل محاولة للتّروج لهذه الادعاءات، تبيّن الافتقار التّام إلى الأدلة. حتى عند الإفراج عن أسيرات كنّ معتقلات في غزّة، كرّرن جميعاً أنهنّ تلقين معاملة حسنة وأنهنّ لم يتعرّضن لأي شكل من أشكال الإساءة. استغلال الاحتلال أجساد النّساء سلاحاً في بناء سرديّته المتخيلة عن السّابع من أكتوبر لم يكن مستغرباً. فطيلة هذا العام، كرّر جنود الاحتلال اللّجوء إلى الإيحاءات الجنسية، من خلال نشر صورهم وهم يرتدون ملابس داخلية لنساء فلسطينيات، بعد احتلال منازلهنّ. هذه التّجليات الإسرائيلية المضطربة، لربط العنف الجنسي بالإبادة، حوّلت ادعاءات الاغتصاب في السّابع من أكتوبر إلى مجرّد اتهامات عشوائية في الهواء، بلا أي قيمة حقيقية على الأرض.

أطفال بلا رؤوس... أطفال في الأفران

قبل يومين، أغرقت مواقع التّواصل الاجتماعي صور أطفال فلسطينيين بلا رؤوس، بعد المجزرة التي ارتكبها الاحتلال في شمالي غزة، قبل يومين فقط، في اليوم 366 للعدوان على قطاع غزة. يصعب عدّ المرات التي رأينا فيها صور أطفال غزيين مقطوعي الرؤوس، عشر مرات؟ 15 مرة؟ 100 مرّة؟ لم يجد أي من هؤلاء الأطفال الشّهداء طريقهم إلى الإعلام الغربي إلا في ما ندر. لم ينبّهر العالم لرؤيته أطفالاً غزة بلا رؤوسهم، لكن يومي السّابع والثّامن من أكتوبر 2023 تصدّرت أغلفة الصحف قصّة متخيّلة عن قطع مقاتلي حماس رؤوس أربعين طفلاً إسرائيلياً خلال عملية طوفان الأقصى. لم يرَ أحد هؤلاء الأطفال، لم نسمع شهادة واحدة من أهاليهم، وتكرّرت تكذيبات المصادر الإسرائيلية نفسها لهذه الواقعة المتخيّلة، ورغم ذلك تبنّاها الإعلام الغربي والإعلام الإسرائيلي. لناخذ على سبيل المثال صحيفة بحجم «ذي إندبندنت» البريطانية، التي خصصت غلافها يوم 11 أكتوبر 2023 للعنوان التالي «لقد قطعوا رؤوس النساء والأطفال، رأينا أطفالاً موتى، يقول مصدر إسرائيلي». شكّلت عشرات المؤسسات الإعلامية غطاءً لتصعيد العدوان على غزة، ولقتل المدنيين، من خلال تبني رواية قطع رؤوس الأطفال، مشجّعة جيش الاحتلال على التّخلّص من «الإرهابيين والبرابرة»، أي الفلسطينيين في هذه الحالة. وبعد نشر جهات إسرائيلية ومنظمات حقوقية، وجمعيات أهلية أسعفت المستوطنين يوم عملية طوفان الأقصى، نفياً لقطع رؤوس الأطفال، اختفى الخبر تدريجياً، من دون أن تعتذر أي مؤسسة إعلامية عن نشره، ومن دون أن تتحمّل مسؤوليتها في التحريض وتأمين غطاء للإبادة.

لكن هل توقّف تدفّق الأخبار المضللة بعد تكذيب الخبر أعلاه؟ طبعاً لا. فشلت رواية الأطفال مقطوعي الرأس، فظهرت رواية الأطفال الذين وضعوا في الأفران أحياء. استحضار رمزيات الهولوكوست شكّل جزءاً أساسياً من بناء سردية السابع من أكتوبر، ولم يكن اختلاق رواية قتل أطفال بوضعهم أحياء في أفران إلا جزءاً من هذه الرمزية. لم تصمد الرواية طويلاً بعدما تبيّن أن الصور المنشورة للأطفال المقتولين مصنوعة ببرمجيات الذكاء الاصطناعي، لكنّها بقيت حاضرة لأسابيع بعد السابع من أكتوبر، خلال النقاشات التلفزيونية في برامج التوك شو الإسرائيلية والفرنسية والأميركية بشكل خاص.

المستشفيات والأطباء والروزنامة

لم يتأخّر الاحتلال في بناء رواية خاصة حول المستشفيات في قطاع غزة لتبرير قصفها وقتل الأطباء والممرضين والمسعفين، ولم يجد الجيش الإسرائيلي أي رادع منذ قصفه المستشفى المعمداني بكل من فيه يوم 17 أكتوبر 2023.

لكن كيف برّر الاحتلال قصف كل مستشفيات القطاع وإخراجها عن الخدمة بشكل متكرّر؟ وكيف برّر قتل أكثر من 990 شخص من العاملين في القطاع الصحي؟ وكيف برّر اعتقال أكثر من 300 عامل صحي؟ وكيف برّر توقّف 130 سيارة إسعاف عن العمل؟ بالكذب طبعاً. ادعى الاحتلال بعد ساعات من بدء عدوانه على القطاع أن حركة حماس تستخدم أقبية المستشفيات لتخزين الأسلحة، وأنّها بنت أنفاقاً تحت معظم المؤسسات الطبية. وكدليل على ادعاءاتها استدعت فريقاً صحافياً (من ضمنه فريق شبكة CNN الأميركية)، لإثبات كل ما سبق. فكان الدليل روزنامة تقسيم الدوامات على حائط في مستشفى الرنتيسي للأطفال، ادعى الاحتلال أنها روزنامة عمل مقاتلي حماس لمراقبة الرهائن المحتجزين في ذلك المكان.

ورغم تكذيب رواية الاحتلال في اليوم نفسه على مواقع التواصل الاجتماعي، نشرت CNN تقريراً تبنّت فيه رواية الاحتلال، من دون أي تدقيق أو مراجعة.

منوعات

بعد ساعات من عملية طوفان الأقصى صبيحة السابع من أكتوبر 2023، روجت إسرائيل روايات كاذبة لتبرير عدوانها المتواصل حتى اليوم على قطاع غزة. من أبرز الأكاذيب كانت قصة قطع رؤوس الأطفال، واستخدام العنف الجنسي ضد الإسرائيليات. كما حاول الاحتلال تبرير قصف المستشفيات بزعمه أن حماس تخزن أسلحة فيها

7 أكتوبر

السردية الكاذبة

غداة المجزرة التي ارتكبها الاحتلال في المستشفى المعمداني، أكتوبر 2023 (محمود الهمص/ فرانس برس)

الدوحة ـ ليال حداد

«لم أعتقد يوماً أنني سأرى وأحصل على صور مؤكدة لإرهابيين يقطعون رؤوس الأطفال» . الرئيس الأميركي جو بايدن، 11 أكتوبر/ تشرين الأول 2023.

«بايدن وإدارته لم يطلعا بأم العين على صور (لأطفال مقطوعي الرأس)، بل بنى بايدن تعليقه على تصريحات لمسؤولين إسرائيليين وعلى تقارير إعلامية» ، مسؤول أميركي في مجلس الأمن القومي، 12 أكتوبر 2023. تصريح بايدن، ثمّ نفيه، بخصوص عاماً كاملاً من الضّخ الإسرائيلي والأميركي ـ الغربي للمعلومات المضلّلة حول عملية طوفان الأقصى التي نفّذتها كتائب الشّهيد عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة حماس، صباح السّابع من أكتوبر 2023، في مستوطنات غلاف غزّة، وأسفرت بحسب الأرقام الإسرائيلية عن قتل قرابة 1100 إسرائيلي. لم يكن الاحتلال ليُنجح في مواصلة عدوانه طيلة هذا العام لولا عوامل كثيرة، بينها أولاً الغطاء الغربي والسّلاح المتدفّق لجيشه، وثانياً غطاء من نوع آخر، إعلامي هذه المرة، بعدما وجدت كل أكاذيب الاحتلال طريقها إلى الصّفحات الأولى ونشرات الأخبار في كبرى المؤسسات الإعلامية الغربية، تلك التي يتابعها ويقرأها عشرات ملايين الأشخاص.

ثلاث أكاذيب برزت في الأيام الأولى لحرب الإبادة، ولعبت دورها في نزع الإنسانية عن الفلسطينيين تمهيداً لإبادتهم، فتلقّفتها وسائل الإعلام وروّجت لها على اعتبارها حقائق غير قابلة للنّقاش.

يوم السابع من أكتوبر

بعد دخول مقاتلي حركة حماس مستوطنات غلاف غزّة، بدأت سريعاً الفيديوهات والصّور بالانتشار في وسائل الإعلام وعلى مواقع التّواصل الاجتماعي: لقطات لأسر إسرائيليين، وأخرى لقتلى في المستوطنات... وبعد ساعات من العمليّة بدأ ضخّ رواية موحدة حول جرائم عنف جنسي ارتكبها مقاومو القسّام ضد نساء إسرائيليات. وبالتّوازي مع الرّواية، انتشرت فيديوهات لإسرائيليات أسرتهن المقاومة، فقبل سريعاً أنهن ضحايا عنف جنسي. توسّع هذا الخطاب، وتبنّته مؤسسات إعلامية غربية، ومؤسسات حقوقية، ونسويات غربيات وعربيات رافضات للعنف الجنسي في الحروب.

ما الذي حصل بعدها؟ تدريجياً بدأ يتبيّن زيف الرّواية الإسرائيلية، فبعد عام كامل من عملية طوفان الأقصى، لم ينجح الجانب الإسرائيلي في تقديم شهادة واحدة موثّقة عن تعرّض إسرائيليات لاغتصاب. حتى عند الإفراج عن أسيرات كنّ معتقلات في غزّة، كرّرن جميعاً أنهنّ تلقين معاملة حسنة وأنهنّ لم يتعرّضن لأي شكل من أشكال الإساءة. استغلال الاحتلال أجساد النّساء سلاحاً في بناء سرديّته المتخيلة عن السابع من أكتوبر لم يكن مستغرباً. فطيلة هذا العام، كرّر جنود الاحتلال اللّجوء إلى الإيحاءات الجنسية، من خلال نشر صورهم وهم يرتدون ملابس داخلية لنساء فلسطينيات، بعد احتلال منازلهنّ. هذه التّجليات الإسرائيلية المضطربة، لربط العنف الجنسي بالإبادة، حوّلت ادعاءات الاغتصاب في السّابع من أكتوبر إلى مجرّد اتهامات عشوائية في الهواء، بلا أي قيمة حقيقية على الأرض.

> استغل الاحتلال أجساد النساء سلاحاً في بناء سرديّته المتخيلة

> استحضار رمزيات الهولوكوست لبناء رواية السابع من أكتوبر

أطفال بلا رؤوس... أطفال في الأفران

قبل يومين، أغرقت مواقع التّواصل الاجتماعي صور أطفال فلسطينيين بلا رؤوس، بعد المجزرة التي ارتكبها الاحتلال في شمالي غزة، قبل يومين فقط، في اليوم 366 للعدوان على قطاع غزة. يصعب عدّ المرات التي رأينا فيها صور أطفال غزيين مقطوعي الرؤوس، عشر مرات؟ 15 مرة؟ 100 مرّة؟ لم يجد أي من هؤلاء الأطفال الشّهداء طريقهم إلى الإعلام الغربي إلا في ما ندر. لم ينبّهر العالم لرؤيته أطفالاً غزة بلا رؤوسهم، لكن يومي السّابع والثّامن من أكتوبر 2023 تصدّرت أغلفة الصحف قصّة متخيّلة عن قطع مقاتلي حماس رؤوس أربعين طفلاً إسرائيلياً خلال عملية طوفان الأقصى. لم يرَ أحد هؤلاء الأطفال، لم نسمع شهادة واحدة من أهاليهم، وتكرّرت تكذيبات المصادر الإسرائيلية نفسها لهذه الواقعة المتخيّلة، ورغم ذلك تبنّاها الإعلام الغربي والإعلام الإسرائيلي. لناخذ على سبيل المثال صحيفة بحجم «ذي إندبندنت» البريطانية، التي خصصت غلافها يوم 11 أكتوبر 2023 للعنوان التالي «لقد قطعوا رؤوس النساء والأطفال، رأينا أطفالاً موتى، يقول مصدر إسرائيلي». شكّلت عشرات المؤسسات الإعلامية غطاءً لتصعيد العدوان على غزة، ولقتل المدنيين، من خلال تبني رواية قطع رؤوس الأطفال، مشجّعة جيش الاحتلال على التخلّص من «الإرهابيين والبرابرة»، أي الفلسطينيين في هذه الحالة. وبعد نشر جهات إسرائيلية ومنظمات حقوقية، وجمعيات أهلية أسعفت المستوطنين يوم عملية طوفان الأقصى، نفياً لقطع رؤوس الأطفال، اختفى الخبر تدريجياً، من دون أن تعتذر أي مؤسسة إعلامية عن نشره، ومن دون أن تتحمّل مسؤوليتها في التحريض وتأمين غطاء للإبادة.

لكن هل توقّف تدفّق الأخبار المضللة بعد تكذيب الخبر أعلاه؟ طبعاً لا. فشلت رواية الأطفال مقطوعي الرأس، فظهرت رواية الأطفال الذين وضعوا في الأفران أحياء. استحضار رمزيات الهولوكوست شكّل جزءاً أساسياً من بناء سردية السابع من أكتوبر، ولم يكن اختلاق رواية قتل أطفال بوضعهم أحياء في أفران إلا جزءاً من هذه الرمزية. لم تصمد الرواية طويلاً بعدما تبيّن أن الصور المنشورة للأطفال المقتولين مصنوعة ببرمجيات الذكاء الاصطناعي، لكنّها بقيت حاضرة لأسابيع بعد السابع من أكتوبر، خلال النقاشات التلفزيونية في برامج التوك شو الإسرائيلية والفرنسية والأميركية بشكل خاص.

المستشفيات والأطباء والروزنامة

لم يتأخّر الاحتلال في بناء رواية خاصة حول المستشفيات في قطاع غزة لتبرير قصفها وقتل الأطباء والممرضين والمسعفين، ولم يجد الجيش الإسرائيلي أي رادع منذ قصفه المستشفى المعمداني بكل من فيه يوم 17 أكتوبر 2023.

لكن كيف برّر الاحتلال قصف كل مستشفيات القطاع وإخراجها عن الخدمة بشكل متكرّر؟ وكيف برّر قتل أكثر من 990 شخص من العاملين في القطاع الصحي؟ وكيف برّر اعتقال أكثر من 300 عامل صحي؟ وكيف برّر توقّف 130 سيارة إسعاف عن العمل؟ بالكذب طبعاً. ادعى الاحتلال بعد ساعات من بدء عدوانه على القطاع أن حركة حماس تستخدم أقبية المستشفيات لتخزين الأسلحة، وأنّها بنت أنفاقاً تحت معظم المؤسسات الطبية. وكدليل على ادعاءاتها استدعت فريقاً صحافياً (من ضمنه فريق شبكة CNN الأميركية)، لإثبات كل ما سبق. فكان الدليل روزنامة تقسيم الدوامات على حائط في مستشفى الرنتيسي للأطفال، ادعى الاحتلال أنها روزنامة عمل مقاتلي حماس لمراقبة الرهائن المحتجزين في ذلك المكان.

ورغم تكذيب رواية الاحتلال في اليوم نفسه على مواقع التواصل الاجتماعي، نشرت CNN تقريراً تبنّت فيه رواية الاحتلال، من دون أي تدقيق أو مراجعة.

قضية

تنشر «العربي الجديد» ملفاً يحاول إيجاد معادل سينمائي للحاصل في قطاع غزة كما يراه زملاء وزميلات يُشاركون بمناسبة مرور عامٍ على الإبادة

السينما وقطاع غزة

من يُعيد خلق كلّ هذه الآلام؟

أهل الجمل

عرف التاريخ جرائم شنيعة. تلوّثت أيادي ملايين البشر بالعنصرية والفاشية، وبدمائهما. حروبٌ أهلية، وأخرى عالمية. قنابل ذرّية ومفاعلات نووية شوّهت مُدناً وناسها الأبرياء. أوبئة مُصنّعة، وأخرى طبيعية. قتلت عشرات الملايين. ثورات دموية من أجل الاستقلال. حركات وطنية قُمعت بصنوف من التعذيب والترهيب لا تخطر على قلب بشريّ وعقله. أشكال إبادة، وأفعال جُرمية مُروّعة في أنحاء مختلفة من العالم. ثم تحصل جريمة إسرائيل في لحظات حرجة من عمر الكون، مُمارسة إبادة جماعية مُمنهجة ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزّة، منذ السابع من أكتوبر/ تشرين الأول 2023، فتُضيف فصلاً فاجعاً. رغم فظاعة تلك الجرائم وهولها، ظلّت السينما، أحياناً غير قليلة وإنْ في فترات متباعدة، قادرة على تسجيل موقف إنساني خالد. أعادت خلق الألم غير المُحتمل.

وأيضاً، أعادت ما حدث في الواقع بشاعرية أحياناً، وبعنف دموي يكاد يُضاهي قسوة الواقع أحياناً أخرى. لا تزال تلك الأفلام حيّة في الذاكرة الإنسانية.

لم يكن سبب خلود الكاميرا أنّها رصدت/ وثّقت خراباً ودماراً حاصلَين فعلياً. فبعضها روائي أُنجز بعد قرن، أو وثائقي نُبش وحُفر في ذاكرة الضّور والحجارة قبل الوثائق. إنّه إبداعٌ خلّاق، يُصوّر بيئة مُشبعة بدفء الوجع بين حالات إنسانية مغدورة. باقترابه المكثّف والمُركّز من أعماق البشر، ومن قصص حياتهم، مانحاً المتلقّي فرصة ليرى ويحسّ، والمشاعر تنطق بها وجوه وعيون. ومواقف بصرية أساساً، تكشف أشياء حطّمتهم. ربما ظلّت خالدة، لأنّ أصحابها يحكون بجاذبية ساحرة وأسرة، يتورّط متلقّوها (الحكاية) في عوالمهم وحيواتهم وأمالهم وعذاباتهم وكفاحهم.

هذا وحده كافٍ ليحيك لغته السينمائية بمهارة وصدق، ويتجرّد من المبالغات، وبمخاطبة العقل من دون أنْ تخلو المخاطبة من عاطفة. ليس ضرورياً أنْ نشعر فجأة بأنّ تخريب حياة هؤلاء الأبطال، الذي يُحتمل أن يكونوا بسطاء وعاديين وهامشيين، جزءٌ من تخريب الكون الذي نعيش فيه، يكفي أنْ نندمج معهم، فنتصوّر أنفسنا لاشعورياً في وضعيّتهم نفسها.

يبدو أن هناك كسلاً سينمائياً وميلاً إلى الرفاهية

هل استطاعت السينما أنْ تكون مرآة لما حدث لشعب غزّة في عام؟ لا. لا يوجد إلى الآن فيلمٌ يُعبّر عن فداحة الحرب القذرة. آلاف الأطفال الأبرياء قُتلوا عمداً (40% من نحو 42 ألف شهيد)، قُتلت عائلات بأكملها، إضافة إلى نحو 96 ألف جريح (استخدام أسلحة مُحرّمة دولياً)، بحسب شهادات دولية تقول إنّ الأسلحة المُستخدمة، المضمّنة قنابل فوسفورية وغاز الأعصاب والبورانيوم ومواد مُشعّة، قتلتهم وشوّهتهم، بينما القنابل التي تخترق الحصون لم تكتفِ بضرب الأنفاق، إذْ دمّرت عمداً المستشفيات قاتلة مرضاها. عشرات الصحافيين اغتيلوا، وآخرون أُسروا أو قُتلوا عقب الإفراج عنهم. الطلاب حوصروا في مدارسهم، والمدرّسون ضُربوا واعتُقلوا، والباقون يُقيمون تحت تهديد مُروّع، خشية «القنابل الغبية».

صُور الدمار والمذابح تقشعر لها الأبدان. فهل ما سبق لا يُحفّز المخيّلة الإبداعية، ولا يُحرّك ضمير أي صانع سينما؟ أمْ إنّ هول الفاجعة يصنع حالةً من العجز عن التعبير الفني؟ أيحتاج المبدع إلى وقت ليَنفصل عن المأساة؟ أمْ إنّه استسلام لكسل وركون إلى منطقة الراحة، بحجّة عدم وجود تمويل؟

بقيني أنّ ضيق الوقت وضعف التمويل ليسا السبب، فهناك قنوات تلفزيونية تدفع جيداً لصناعة أفلام، كلّها إخبارية. كما أنّ عدم وجود مؤسّسات حكومية تدعم الإنتاج ليس مُبرّراً، ففي مصر، وعن حرب الاستنزاف (1 يوليو/تموز 1967 . 7 أغسطس/آب 1970)، أُنجز أحد أجمل الأفلام، «أغنية على الممرّ» (1972) لعلي عبد الخالق (عن مسرحية بالعنوان نفسه لعلي سالم)، بجهود سينمائيين مصريين (إنتاج «جماعة السينما الجديدة»). صحيحٌ أنّ «المؤسّسة المصرية العامة للسينما» دعمته. لكن، لولا اتّحاد الممثلين وبعض النقاد وشراكتهم في الإنتاج، ولولا حماسة عبد الخالق، لم يكن للفيلم أنْ يتحقّق. هذه أول تجربة له، فبحث عن فنانين لهم الحماسة والرغبة في التعبير عن الاشتياق إلى خوض معركة تُعوّض شعور الهزيمة.

الآن، هل ينقصنا سينمائيون، ذوو مهارة وخبرة؟ طبعاً لا. هناك إيليا سليمان وهاني أبو أسعد وصالح ومحمد بكري وهيام عباس وآخرون. ماذا ينتظرون؟ ألم تحرّكهم هذه الوحشية الإسرائيلية؟ ألم تراودهم أفكار، قصص واقعية، لدعم أهالي غزّة، وتحريك المجتمع الدولي؟

التمويل ليس عائقاً. التكنولوجيا الحديثة صنعت ثورة في صناعة السينما. في المقابل، هناك كسل سينمائي، وميل إلى الرفاهية. إذاً، المُتاح الآن للمبدعين لم يكن متاحاً للسينمائيين الذين عاشوا حرب الاستنزاف، أو صنعوا أفلاماً عن الإبادة في جنوب أفريقيا أو في أيرلندا.

«قائمة شندلر» (1993) لستيفن سبيلبيرغ لم يبقَ في الذاكرة بسبب خدع أو طفرة تكنولوجية، بل بسبب قصصه وتفاصيله البالغة الإنسانية والوحشية. لذا، على السينمائيين ألا يظلّوا رهينة صناديق الدعم والمؤسّسات التمويلية. هناك أفلامٌ أُنتجت بفضل مساهمات قرّاء وجمهور «أون لاين». هذا حدث مع أفلام عن مهاجرين غير شرعيين، واعتقد أنّ الاستعانة بهذه الطريقة لإنجاز أفلام عن غزّة سيفتح باب التمويل بقوّة جبّارة.

تساؤل آخر: لماذا لا نستفيد من نجوم/ نجمات هوليوود، الذين تضامنوا مع غزّة، ونَدّدوا في تصريحات مقروءة أو مُصوّرة بحرب الإبادة الجماعية التي تقوم بها إسرائيل: سبيلبرغ، وأنجلينا جولي، وخافيير باردِيم، وبينيلوبي كروز.

بمهارة وصدق، ويتجرّد من المبالغات، وبمخاطبة العقل من دون أنْ تخلو المخاطبة من عاطفة. ليس ضرورياً أنْ نشعر فجأة بأنّ تخريب حياة هؤلاء الأبطال، الذي يُحتمل أن يكونوا بسطاء وعاديين وهامشيين، جزءٌ من تخريب الكون الذي نعيش فيه، يكفي أنْ نندمج معهم، فنتصوّر أنفسنا لاشعورياً في وضعيّتهم نفسها.

هل استطاعت السينما أنْ تكون مرآة لما حدث لشعب غزّة في عام؟ لا. لا يوجد إلى الآن، لم نعد بحاجة إلى فيلم وثائقي، محكوم بتقليدية تنفيذه، بل إلى المختلف والمغاير. فيلمٌ يرتقي بفكرته وصناعته إلى مستوى المأساة. يستنطق التفاصيل، ليس البشر وحسب، يُحرّك شعور الانتماء إلى هذه القضية.

تجول الكاميرا بين صُور المأساة. قصفٌ وحشيّ يستهدف كلّ البنى التحتية: أبنية تنهار برمشة عين. مستشفى يُقتحم. نداءات استغاثة من مواطنين يغذّون السير في طريق، ولا يعرفون أيّ مجهول يقصدون. الكاميرا تنقل صوراً بلقطة بعيدة بالـ«درون». نزوحٌ جديدٌ لسكّان غزّة، وغالبيتهم أطفال. وكما في الوثائقي «نزوح إلى المجهول»، الذي يروي حكاية نزوح الغزّيين إلى الجنوب، خانيونس ورفح، يستعيد المتلقّي سفر النزوح الدائم. كأنّ هذا الشعب خُلق ليرحل. هذه المرّة، نزوح أبدي كما يريده الإسرائيليون، وبراءة شعب. إزاء المأساة التي تعيشها فلسطين الآن، لم نعد بحاجة إلى فيلم وثائقي، محكوم بتقليدية تنفيذه، بل إلى المختلف والمغاير. فيلمٌ يرتقي بفكرته وصناعته إلى مستوى المأساة. يستنطق التفاصيل، ليس البشر وحسب، يُحرّك شعور الانتماء إلى هذه القضية.

تجول الكاميرا بين صُور المأساة. قصفٌ وحشيّ يستهدف كلّ البنى التحتية: أبنية تنهار برمشة عين. مستشفى يُقتحم. نداءات استغاثة من مواطنين يغذّون السير في طريق، ولا يعرفون أيّ مجهول يقصدون. الكاميرا تنقل صوراً بلقطة بعيدة بالـ«درون». نزوحٌ جديدٌ لسكّان غزّة، وغالبيتهم أطفال. وكما في الوثائقي «نزوح إلى المجهول»، الذي يروي حكاية نزوح الغزّيين إلى الجنوب، خانيونس ورفح، يستعيد المتلقّي سفر النزوح الدائم. كأنّ هذا الشعب خُلق ليرحل. هذه المرّة، نزوح أبدي كما يريده الإسرائيليون،

هناك وثائقيات يُمكنها أنْ تكون مرجعاً لمشروع سينمائي طموح

في خانيونس، 2 أكتوبر 2024 (هاني الشاعر/ الأناضول)

هل يكفي؟

ماذا يعني أنْ تتضامن مع شعبٍ يُذبح من دون أنْ تُتاح له فرصة أنْ يسمع العالم صوته؟ إذا كان ممثلو هوليوود يشعرون بالغضب والاستياء إزاء حرب الإبادة، ومعاقبة ملايين المدنيين الفلسطينيين، وإزاء صلف الاحتلال برفض وقف إطلاق النار؛ وإزاء تواطؤ زعماء العالم في هذه الجرائم؛ هل يكفي أنْ يقف كلّ واحد منهم متأنّقاً بأرقى الثياب وإخلائها أمام الكاميرات ليقول إنّ الهجمات على غزّة «فظيعة وغير إنسانية»؟

من قصف الاحتلال على مخيم النصيرات (الأناضول)

مشهد

كاميرا بعين مليئة بالخوف

علاء المفرجي

امرأةٌ تبرز بين الجموع. خلفية الصورة أنقاض بناية تنهار، بفعل صاروخ قبل دقائق. المرأة تولول. تصرخ باحثة عن طفليها. المتلقّي يعرف أنّها من سكّان البناية المتهاوية، لكنّها كانت خارجها من أجل التسوّق، بعد أن استودعت طفليها فيها. بمن كانت تستغيث إذاً، لياتي بطفليها، والجموع نالهم ما نالها؟

طفلٌ يبكي وهو يمشي مع هذه الجموع المُعبّأة، من دون عائلته. شيخٌ يُدفع بعربة مُهترئة، تحمل أشياء لم ينلها الدمار، قاصداً الأمان. هل هناك مكان أمن في غزّة اليوم؟

صُور أناس اختلطت بصُور الدماء التي نالت كلّ شيء. عجوزٌ سبعينية تقول: «منذ ولادتي، لم نسلَم من هذه الحروب». آخر يقول: «أين العالم؟ ألم يَندّ جبينه؟». صُور كهذه، وغيرها، تلتقطها كاميرا مُخرج يرغب في توثيق صورة شعب يعاني ويُقتَل. شعب لا ذنب له سوى أنّه فلسطيني. أختار صُورا كهذه لفيلم وثائقي، وما أكثر الوثائقيات التي ازخت ووثّقت حروب العالم. ما الذي ينتظره بعض مخرجينا ليحملوا كاميراتهم من أجل فلسطين؟ ليرصدوا هول المأساة التي يتعرّض لها الفلسطينيون منذ عام كامل؟ 50 ألف شهيد قُتلوا بين قساوة الطغاة وبراءة شعب. إزاء المأساة التي تعيشها فلسطين الآن، لم نعد بحاجة إلى فيلم وثائقي، محكوم بتقليدية تنفيذه، بل إلى المختلف والمغاير. فيلمٌ يرتقي بفكرته وصناعته إلى مستوى المأساة. يستنطق التفاصيل، ليس البشر وحسب، يُحرّك شعور الانتماء إلى هذه القضية.

تجول الكاميرا بين صُور المأساة. قصفٌ وحشيّ يستهدف كلّ البنى التحتية: أبنية تنهار برمشة عين. مستشفى يُقتحم. نداءات استغاثة من مواطنين يغذّون السير في طريق، ولا يعرفون أيّ مجهول يقصدون. الكاميرا تنقل صوراً بلقطة بعيدة بالـ«درون». نزوحٌ جديدٌ لسكّان غزّة، وغالبيتهم أطفال. وكما في الوثائقي «نزوح إلى المجهول»، الذي يروي حكاية نزوح الغزّيين إلى الجنوب، خانيونس ورفح، يستعيد المتلقّي سفر النزوح الدائم. كأنّ هذا الشعب خُلق ليرحل. هذه المرّة، نزوح أبدي كما يريده الإسرائيليون،

لا يحتاج صانع الوثائقي إلى المُراهنة على الصدفة التاريخية

ويعود سكّان غزّة كما حصل منذ أكثر من 70 عاماً، والعيش في الخيام قاس. الأطفال في الوثائقي المُفترض يسردون كلّ شيء. يروي كلّ طفل مُعذّب حكاية مأساوية. طفلٌ فقَد كلّ عائلته، باستثناء أخته الصغيرة ذات العامين. آخر مصدوم بما حصل ينظر إلى الكاميرا بعين مليئة بالخوف، ولا يعرف شيئاً سوى أنّه سائر مع آخرين إلى المجهول. آخرٌ يأمل رجوعاً إلى بيته، واستئناف لعبه.

أرى أنّ المحنة لا تُحتمَل. الوثائقي، بين الأنواع السينمائية كلّها، يؤرّخ المعاناة التي يعيشها شعبٌ مُعذّب. فيلمٌ يستخدم الواقع كمادة خام، ويتولاّها فنان يتحكّم بقصته. ليس مهمّاً أنْ يروي قصة عن واقع الحياة. لكنْ، يكفي أنْ تدور الكاميرا في حجم المأساة، لتروي قصة هذا الشعب الرازح تحت وابل من أدوات الحرب الحديثة. تبقى الإجابات مُعلّقة، والمشاهد يصوغ معنى أيّ فيلم بجُمْعه بين معرفة واهتمام بالعالم، وشكل يُصوّر به المخرج هذا العالم. في الوقت نفسه، تنطلق توقّعات المشاهدين بأنّهم لا يشاهدون تزييفاً وكذباً، فالوثائقي ينقل أشياء صادقة عن العالم الواقعي. هنا، لا يحتاج صانع الوثائقي إلى المُراهنة على الصدفة التاريخية، فالتفاصيل متاحة، والوثيقة شأن المؤرّخ لا المبدع، الذي يستطيع أنْ ينحت من الوثيقة مادة إبداعه.

إضاءة

مدينةٌ عصيّةٌ على الموت

قيس قاسم

«قد يتحطّم الإنسان، لكنّه لا يُهزم». قول الكاتب والروائي الأميركي إرنست همنغواي هذا بصحّ كثيراً على مدينة غزّة. مدينةٌ تتعرّض مرّات ومرّات إلى هجمات بربرية، يتحطّم الكثير منها ويُدمّر، لكنّها لا تُهزم. تنهض وتعاود الحياة، كما في الملاحم والأساطير. مدينةٌ عصيّةٌ على الموت. تعانده من أجل البقاء.

مثل هذه المدينة تستحقّ فيلماً ملحمياً عنها. تاريخ السينما حافل بأفلام عن مدن تُشبهها، صمدت في وجه البرابرة والغزاة، فاستحقّت أنْ يُؤرّخ صمودها سينمائياً. عادة، تتأتى النصوص السينمائية المكتوبة عنها من وحي سرديّاتها البطولية، وسرديّات القضية الفلسطينية فيها ما يكفي لصنع أكثر من فيلم تاريخيّ. ملحمي عنها، وعن بطولات مُدنها المُصرّة على الحياة رغم الموت والدمار، كغزّة.

هل يمكن تحقيق ذلك عملياً؟ يُمكن الإجابة بنعم. لأنّ السينما اليوم لم تعد محصورة على جهات إنتاجية متنفّذة، بصعب منافستها كما قبل عقود. العالم لم يعد غافلاً عمّا يجري في بُقع صغيرة منه. بات يعرف الكثير عنها. يُلاحق تطوّراتها ويوثّقها، وينجز أفلاماً روائية عنها.

بمراجعة المنجز السينمائي المعنيّ بغزّة، نجد هذا الهاجس حاضراً فيها، ومنه ما يكفي لأنْ يكون مرجعاً لعمل ملحميّ لاحق. تكفي مُشاهدة الفيلم القصير «ما بعد» (2024) للمخرجة الفلسطينية مها حاج، لإدراك أيّ عمقٍ فيه، وأيّ مهارة كتابية تُكثّف وجع المدينة وناسها بأسلوب سينمائي باهر. وُصولهم لراغب في كتابة أوسع عن خسارات أهل غزّة وآلامهم، التي يختفّونها بقصص من خيالهم، تُحيل الفقْد إلى حضور وعيش. وثائقيات أجنبية وعربية وفلسطينية عن غزّة يُمكنها أنْ تكون مرجعاً لمشروع سينمائي ملحمي طموح.

هناك مُتغيّر تاريخي هائل في أهميته، عنوانه «نهاية عصر كتابة التاريخ بقلم المنتصر». يُدرك من يُشاهد مُنجز فينيسا بولز، «منطقة القتل.. من داخل غزّة» (2024) أنْ لا أحد اليوم يستطيع إغلاق أعين العالم وأسرة، يتورّط متلقّوها (الحكاية) في عوالمهم وحيواتهم وأمالهم وعذاباتهم وكفاحهم.

أفلام وثائقية غير قليلة، رصدت القويّ في دواخل الغزّيين ورغبتهم في عيش حياة سويّة. الذهاب إلى المؤثّر في مشهد المدينة المنكوبة، من دون إسفاف أو بكائية مفرطة، صار السينمائيون يعرفون أهميته، وبينهم عرب وفلسطينيون، لم يخفوا انحيازهم إلى قضية عادلة كالقضية الفلسطينية، لكنّهم أرادوا صُنع أفلام سينمائية «جميلة» عنها. «باب الشمس» (2004) ليُسري نصر الله، المُقتبس من رواية بالعنوان نفسه (1998) للروائي اللبناني الراحل إلياس خوري، يمثّل محاولةً جادّة باتّجاه كتابة نصّ سينمائيّ ملحمي عن نكبة فلسطين، تُعينه على ذلك كتابة روائية تُدرك وظيفتها الجمالية والفكرية. مشروع نصر الله ينبغي أنْ يكون تأسيساً، يُعيّد طريقاً لمشاريع أفلام أخرى عن فلسطين تتبعه، فيها النفَس الملحمي نفسه. هذا لم يحصل للأسف، رغم التوثيق المستمرّ لقصص إنسانية، تكمن فيها روح ملحمية. وفي متون أفلام وثائقية كثيرة، هناك أفكار وخامات بقدر السينمائي المعني بقضية إنسانية، كقضية غزّة، أنْ يجد فيها ما يُساعد على إعادة ترتيب الذهن لكتابة إبداعية جديدة.

هذا اتّخذه صنّاع أفلام عالميون، حين شرعوا في تجسيد المحرقة اليهودية، والظلم اللاحق باليهود في الحرب العالمية الثانية. فلسطينيو غزّة اليوم، بعد السابع من أكتوبر/ تشرين الأول 2023، يتعرّضون إلى محرقة. لا بُدّ من أنْ تدفع سينمائيّين إلى التفكير في تجسيدها في أفلام، لا تقتصر اشتغالاتهم فيها على نقْل مشهدها الآنيّ المؤلم، رغم أهمية ذلك.

في رفح، 15 سبتمبر 2024 (إياد بابا/ فرانس برس)

رصد

أن تظلّ العيون على غزّة

قرّرت مهرجانات تخصيص أقسام للسينما الفلسطينية في برامجها، فطرح مبرمجون تساؤلات عمّا إذا كان يُمكن للسينما أنْ تظلّ سلاحاً في مواجهة قمع الاضعف

ندى الأزهري

مرّت سنة. أين نحن مما كتبنا حينها عن دور السينما مما يجري، وما تغيّر؟ آنذاك، أوحى العدوان على غزّة، ومواقف الغرب منه، بفكرة تحقيق فيلم وثائقي يُقدّم أراءً بما يجري. أراء أصدقاء غربيين، «المصدومين» منهم خاصة مما حصل في «طوفان الأقصى» الذين توقّفت صدمتهم عند هذا الحدّ، في هذا الحيّز الجغرافي والأخلاقي. كأنّ ما عداه ليس موجوداً، وإنْ وُجد فلا يستحقّ الذكر، وهذا ذنبه.

هكذا، بكل بساطة، برّر من تحلّى بذاكرة اختيارية وعين واحدة تنظر في اتّجاه وحيد، رغم كلّ الضحايا والفظاعات في الطرف الآخر، الفلسطيني. كانت الرغبة كبيرة في توثيق الانحياز والنفاق، والكيل بمكيالين، وغياب النظرة العادلة.

اليوم، بعد سنة، يُطرح السؤال نفسه: كيف يُمكن للسينما أنْ تُبيّن تحوّلات المواقف، وأن تكون مرآة حقائق الواقع؟

هذا الفيلم الوثائقي الذي فكّرت في تحقيقه، من دون أنْ تكون هناك قدرة على إنجازه، يتجسّد أمامي يومياً في نشرات الأخبار الفرنسية، في مواقف وتصريحات باعثة لغيظ، بل لثورة لا تهدأ، ولم تهدأ إلى اليوم. مواقف وتصريحات تُنبئ بأسهاب. آراء هؤلاء المصدومين، صدمة الاتّجاه الواحد والأوحد. يُذكر أنّ هناك آخرين، لكنّ هؤلاء تكفيهم كلمة عابرة، أو صورة سريعة. هجرت الشاشة الصغيرة، لحسن الحظ. اتّبعت الشاشة الكبيرة منحى آخر. تابعتْ أكثر تطوّر الرأي العام العالمي وتأثّره بالفظائع، وكانت مرآة أكثر عَكساً للواقع. هل هذا لأنّ قدرة وصولها إلى الجماهير أقلّ، وبالتالي يُسمح لها بقدر من التعبير أكبر من التلفزيون؟

المهمّ أنّه، عبر قوة السينما، هناك دائماً أملٌ في تغيير الأشياء. لدى نجومها ذاك البريق الذي يسمح بمتابعة تصريحاتهم. كانت إدانتهم في هذا العام كثيرة، وإنْ لم يمسّ بعضها صراحة دولة العدوان، وإنْ اقتصر بعض آخر على الدعوة إلى وقف إطلاق النار، من دون الإشارة إلى همجية إسرائيل. المهرجانات السينمائية أيضاً باتت، في دول غربية، محطة ممتازة لإظهار معاناة فلسطينيي غزّة، سواء باضعاف الإيمان، عبر السماح لناشطين بحمل لافتات والصياح بشعارات منددة بالعدوان خلال توزيع جوائز أو في حفلة ختام. أما حين كانت المهرجانات تمنع أي مظهر من مظاهر تضامنية مع الشعب الفلسطيني، إذا كان يُمكن للسينما أنْ تظلّ سلاحاً في مواجهة قمع الإضعف ورعب الحرب، وما إذا كان يُمكن لكلّ فيلم أنْ يكون، بطريقة فريدة، مكاناً للقصّة المُضادة، وأن يحافظ على روح النضال لدينا، وعلى قدرتنا على التفكير بطريقة مختلفة، وكيف يُمكن أنْ تكون الإيماءة السينمائية في مواجهة العنف شاهداً ودعوة إلى إعادة تشكيل مجال الذاكرة. تغيّرت أمور في عالم السينما، وهذا مثيرٌ للمشاعر. وثّق سينمائيون فلسطينيون ما يحصل في غزّة، واستعيدت أفلام سابقة على العدوان، تتناول فلسطين. في كلّ مرة، كانت قاعات المهرجانات تمتلئ، فهل أدّى كلّ هذا إلى توضيح الصورة؟

في دير البلح، 1 أكتوبر 2024 (أشرف أبو عمرة/ الأناضول)

تحويب

الساعة الأكثر ظلمة

نجوان درويش

الفارلم يقرض سوى أغلفة مجلدات وينستون تشرشل. في الشقّة ما يزيد عن عشرة آلاف كتاب. كلّها سالمة في رفوفها إلا كتب تشرشل (وللأمانة قرض فأرْنا القليل من غلاف مجلد لإوسكار وايلد كان متروكاً على الأرض). هذا من غرائب ما وجدت في حيفا بعد غيبة عام. هل يمكن أن يكون لفار موقف سياسي، وهل أراد أن يزجرني على الاحتفاظ بالأعمال الكاملة لهذا الاستعماري الشرير؟ (أعجبني عنوان كتاب طارق علي: «تشرشل.. زمانه وجرائمه»، 2022).

كنتُ لما سمعتُ أن صاروخاً بالِيستياً أُطلق نحو حيفا قبل أسبوع، وجدتني بعد ساعتين أقطع المئة وثمانين كيلومتراً التي تفصل بينها وبين القدس. تغيرت السيارات وتغير الشخص الذي يسوقها، وما زال يقطع الطريق نفسه منذ حرب تموز 2006. «صليب طوله 180 كيلومتراً» لا ينفك يشعر ويقول لنفسه. حيفا قريبةٌ جداً من لبنان، ولَما يكون الجو صافياً تُلقط إذاعة جارتها صور وأحياناً إذاعة المنار.

للاقتراب من الخط فعلٌ مهدئ. النوم في شقّة مكشوفة على البحر وليست بعيدة عن الميناء. المعرّض للصواريخ له فعل مهدئ. يُفكّر أيضاً في مفارقة أنه يتقاسم الخطر مع أعدائه، بينما روحه تتمزّق بلا توقف بين غزة وبيروت، وأن هذا أفضل من أن ينام في «مكان آمن». ينظر إلى مجلّدات الاستعماري الإنكليزي ويفكر في عبارة the darkest hour التي ارتبطت به وبالحرب العالمية الثانية من دون أن يكون هو من صكها أو حتى قالها. يُفكر أيضاً أننا الآن نعيش «الساعة الأكثر ظلمة» وأن لا شيء يضاهي الفجر الذي سيليها.

7 أكتوبر مقاومةٌ بقامة ملْحمَة

هذا الباب الذي فتحته المقاومةُ الفلسطينية يقود إلى التذكير المفصّل، المعْرفي، الموثّق، بتاريخ وما قبل تاريخ إنشاء كيان الاحتلال الإسرائيلي

محمد بنيس

عام لا يُحدّ بشهوره او اسابيعه بل بساعاته ودقائقه (اسوشييتد برس)

1.

فلسطينُ المُشمِسَة، من القدْس إلى حيْفا، ومن الخليل إلى غزّة، توسطت الأرض من جديد. لم يكن ذلك في الحُسبان قبل يوم 7 أكتوبر/ تشرين الأول 2023، الذي جعل العالم ينْتبه إلى وجود فلسطين، أرضاً وشعباً، لا ينفصلان. تلك هي فضيلةُ المقاومة، التي أعادت فلسطينَ إلى مكانتها، بعد أنْ وصل الجبروت الإسرائيلي حدّ مسح اسم فلسطينَ من خريطته التي بَشّر، من خلالها، بشرق أوسط جديد، يدّعي الإقبال على إنشائه.

عامٌ من المقاومة. حتى المنجّمون أخفقوا في التنبؤ بالبطولة المُعجزة للمقاومة الفلسطينية، على أرض غزة. هي معجزةُ هذه البطولة التي محتْ معجم الاستسلام، والتطبيع، والتفوّق الإسرائيلي، والتكنولوجيا القاهرة، والشرق الأوسط الجديد، وأبْدلتْه بمعجم العلم الفلسطيني ذي الألْوان الأربعة، والكوفية، وكتائب المقاومة، وعبقرية الإنفاق، وحرب العصابات، ووحْدة قصائل المقاومة، والاستشهاد، والحاضنة الشعبية، وجبهة الإسناد، وتضامن الشعوب والأحرار. باكتساح المعجزة وسائلَ الأخبار والدعاية الكاذبة، تعرّف العالم على علم فلسطينَ والكوفية في ساحات العواصم والمدن والجامعات، من أوروبا إلى الولايات المتحدة، وفي بلاد عربية وإسلامية ارتفع العلم بخفقانه وسط الأعلام الوطنية، لتأكيد الوحدة. عامٌ كامل من مقاومة لا خضوع فيها للعدوان الإسرائيلي الأميركي، متواصلاً بليالي الدمار والقتْل ونهاراته. مشاهد الإفناء، في وحدها التي يتباهى بها الاحتلال الإسرائيلي. وطيلة النهار والليل يبحث شعب غزة عن مكان آمن فلا يقابله سوى الجوع والعطش والقتل. والمقاومة تصرّ على الذي وحده يجب أن يكون، البقاء الحرّ على الأرض.

كنّا، في المغرب، نعلمنا كلمة «المقاومة» من حركة التحرير الوطني ضدّ الاستعمارين الفرنسي والإسباني. شعارُها الاستقلال وتحرير الأراضي المَغربية، التي أخضعتها الحماية لسلطة الدولتَيْن الاستعماريتَيْن. كان ذلك في بداية الخمسينيات. عندما كان المَغاربة يسمعون، آنذاك، عن عمليات المقاومة كانوا يشعُرون بقرب حريّتهم، ومن أعماقهم كانوا يهْتفون. كذلك السابقون، الذين كانوا يتبادلون أخبار محمد بن عبد الكريم الخطابي في الريف، مبدع حرب العصابات، التي قاوم بها الاستعمار الإسباني في الشمال وحقّق بها انتصاره التاريخي في معركة أنوال، صيف 1921، فيما الفلسطينيون، الذين كانوا يتابعون بشغف أخباره، كما تعلّم منه الفيتناميون في الفترة اللاحقة.

2.

7 أكتوبر. يوم بمفرده يؤرّخ لزمن البطولة الخاص، في العصر الحديث. يوم حرّية فلسطين. ومنْ 7 أكتوبر 2023 حتى 7 أكتوبر 2024. عام لا يُعدّ بشهوره او أسابيعه، بل بساعاته ودقائقه. طيلة العام، ظلت المقاومة الفلسطينية واقفةً في مكانها. لا تراجع ولا تهاوُن من الشدائد العليا وصلت فعْلها الذي لخّصته في كلمة واحدة هي «الحرية». كلمة تختصر ما لا بد منه في تحقيق العدالة، أي استرجاع الأرض المحتلة، منذ 1948. كلمة «الحرية» لدى حركة المقاومة الفلسطينية، ذات كثافة تاريخية ونفسية بعيدة الغور، حتى أصبحت طريقة حياة، بذائقة الخلود على الأرض الفلسطينية. بذلك أعطت المقاومة، خلال هذا العام، حالةً كاد العالم ينساها، في زمن الليبرالية الجديدة، التي عزت وحشيتُها في إخضاع البشرية لما تريد أن تكون عليه العالم، سوقاً للعبودية والنخاسة، من غير الأرض إلى شرقها.

ما أعطته المقاومة الفلسطينية بكلمة «الحرية» هو الفجْر الصادق، لكل من لا يزال يعتقد أن الحرّية جدْرُ القيم الإنسانية ومنبعُها. لهذا ارتفعت أصوات شعوب وشبيبة منادية بالعودة إلى قيمة العدالة ورفض العنف والدمار والقتل. نداءٌ من أعالي أسوار المقاومة، يرحل ليفتتح الآفاق. شعوب عربية وإسلامية أعلنت النداء إلى جانب شعوب وشبيبة غربية. جاء 7 أكتوبر بـ«طوفان الأقصى»، وجاءت المقاومة، هو الردّ على العدوان الإسرائيلي، الممتدّ منذ سبعين سنة، بما يحمل من احتلال الأراضي، ومصادرة الأملاك، ومحاصرة ومراقبة المدن والقرى، وفي مقدمتها قطاع غزة، وانتهاك حرمة الأماكن المقدّسة الإسلامية والمسيحية، بعنوان المسجد الأقصى الذي هو العنوان الأكبر لهذه الانتهاكات. وتجاوبت الأصواتُ ضد سلوك الغرب المنتصر لسياسة العدوان الإسرائيلي فيما هو يدوسُ القيم الإنسانية التي كان ذات يوم أعلنها، وجعل منها علامةً على تحضّره وتمسُّكه بالحرية والعدالة والديمقراطية. لا شيء من ذلك، في التصريحات والأفعال. الغرب، اليوم، هو غربُ الاستعمار وغزْو البلاد واستغْلال الشعوب. غربُ اليمين الفاشي، الذي يناصر إسرائيل ليُناصر نفسه، بالعدوان على الشعب الفلسطيني.

3.

لم تُعد المقاومة كلمةَ فلسطينَ إلى مكانتها على عهد جديد من أخوة النضال المشترك عبر جبهة المساندة، التي عملت بدورها على التذكير بأن المقاومة الفلسطينية ليست يتيمة، وبأن المساندة تتعاظم بأخوّة النضال المشترك. أقربُ معاني الأخوّة ما بادرتْ إليه المقاومة الإسلامية اللبنانية في التنبيه على واجب السيْر، يداً بيد، مع المقاومة في صدّ العدوان على غزة. وهو ما أقدم عليه اليمن والعراق. عهدٌ جديد، لا شك، في زمن الاستسلام والتواطؤ من طرف الأنظمة العربية التي تُوجّد بغيْرها، الأميركي، الإسرائيلي، الأوروبي، لا بنفْسها،

> يوم بمفرده يؤرّخ لزمن البطولة الخاص في العصر الحديث

وإقامة المزيد من المستوطنات واستباحة الأماكن المقدسة، في وصف «طوفان الأقصى» يوم 7 أكتوبر. لغة الوقاحة يتقنها سادةُ الاستعلاء، الهيمنة، التفوق العسكري والإعلامي والتكنولوجي. هي اللغة التي يُشْهرونها في المحافل الدولية كما في مناسبات المباهاة والتفاخر بدعم العدوان على الشعب الفلسطيني.

لكنه أيضاً عامٌ من مواقف وكتابات وندوات رائدة لدول وكتّاب ومثقفين وفنانين غربيين. ما ساهم به أوروبيون وأميركيون، من أصحاب النفوس الحرّة، أصبح ذخيرةً لإعادة قراءة زمننا وزمن العدوان الإسرائيلي والكاذيب وعلى تخييش مشاعر الكراهية والحقد، ونكران واقع الحصار على غزة بعُبوديته لا بحريّتها، التي ندمتْ عليها، أو ربما التي كانت دوماً عبئاً يضاعف الأعباء. هذا الباب الذي فتحته المقاومةُ الفلسطينية يقود إلى التذكير المفصّل، المعْرفي، الموثّق، بتاريخ وما قبل تاريخ إنشاء دولة الاحتلال الإسرائيلي. إذنْ، لنتبعْ الذاكرة يقظة. لأن الحركة الصهيونية تأسست ضد تاريخ مشحون بكراهية الغرب المسيحي لليهود. كما أنها حلّتْ بالأرض الفلسطينية في شروط الهيمنة الاستعمارية الفرنسية. الإنكليزية بعد الحرب العالمية الأولى، ثم الأميركية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. نعم، التذكير، بكل ذلك، ضرورةٌ، في عنفوان الحرب والعدوان وما وُوجه به من تضحيات لا تُقاس إلا بعظمة الحرّية. «إسرائيل» والغرب والعرب المتواطئون يدركون أن إخْضاعهم للفلسطينيين، وللشعوب العربية ولجميع المناصرين للمقاومة الفلسطينية، يبدأ بمسْح الذاكرة التاريخية للمأساة الفلسطينية وتبديل معاني القيم الإنسانية. هذه وظيفةُ مؤسسات الدعاية الضخمة. ومساندة المقاومة تتوسّع باستحضارها. هنا، في فلسطين، ذاكرةُ الأرض والشعب الفلسطيني تؤبّدها المؤلفات والأعمال الأدبية والفنية والآثار، مثلما تُحييها الثقافة الشعبية، في الغناء والقصص والسّير الشعبية والرقص واللباس والطرز والطبخ والخزْف والعمارة وآداب السلوك.

4.

عامٌ من وقاحة الغرب في الدفاع عن العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني في غزة ثم أخيراً على الشعب اللبناني. للغرب مراتب. هناك الغربُ الأميركي الذي يبرّر برتبته الأولى، المشاركة المباشرة، كلاماً وموقفاً وسلاحاً، في العدوان بتبديل معاني القيم، بعدم إزعاج الاحتلال، بالرواية الإنجيلية، وبمنطق «المصالح القومية» السيّدة، المكشوفة، من غير زخرفة بلاغية. وكان الغرب الأوروبي، طيلة العام، يضاعف من احتضان «إسرائيل» بأذرعه العسكرية وحواجزه القانونية وإعلامه المسعور. الوقاحة، هنا، تدل على الوجه العلني في الفعل العدواني، والجرأة على تعمّد اختراع الأكاذيب وعلى تخييش مشاعر الكراهية والحقد، ونكران واقع الحصار على غزة بعُبوديته لا بحريّتها، التي ندمتْ عليها، أو ربما التي كانت دوماً عبئاً يضاعف الأعباء. هذا الباب الذي فتحته المقاومةُ الفلسطينية يقود إلى التذكير المفصّل، المعْرفي، الموثّق، بتاريخ وما قبل تاريخ إنشاء دولة الاحتلال الإسرائيلي. إذنْ، لنتبعْ الذاكرة يقظة. لأن الحركة الصهيونية تأسست ضد تاريخ مشحون بكراهية الغرب المسيحي لليهود. كما أنها حلّتْ بالأرض الفلسطينية في شروط الهيمنة الاستعمارية الفرنسية. الإنكليزية بعد الحرب العالمية الأولى، ثم الأميركية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. نعم، التذكير، بكل ذلك، ضرورةٌ، في عنفوان الحرب والعدوان وما وُوجه به من تضحيات لا تُقاس إلا بعظمة الحرّية. «إسرائيل» والغرب والعرب المتواطئون يدركون أن إخْضاعهم للفلسطينيين، وللشعوب العربية ولجميع المناصرين للمقاومة الفلسطينية، يبدأ بمسْح الذاكرة التاريخية للمأساة الفلسطينية وتبديل معاني القيم الإنسانية. هذه وظيفةُ مؤسسات الدعاية الضخمة. ومساندة المقاومة تتوسّع باستحضارها. هنا، في فلسطين، ذاكرةُ الأرض والشعب الفلسطيني تؤبّدها المؤلفات والأعمال الأدبية والفنية والآثار، مثلما تُحييها الثقافة الشعبية، في الغناء والقصص والسّير الشعبية والرقص واللباس والطرز والطبخ والخزْف والعمارة وآداب السلوك.

4.

عامٌ من وقاحة الغرب في الدفاع عن العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني في غزة ثم أخيراً على الشعب اللبناني. للغرب مراتب. هناك الغربُ الأميركي الذي يبرّر برتبته الأولى، المشاركة المباشرة، كلاماً وموقفاً وسلاحاً، في العدوان بتبديل معاني القيم، بعدم إزعاج الاحتلال، بالرواية الإنجيلية، وبمنطق «المصالح القومية» السيّدة، المكشوفة، من غير زخرفة بلاغية. وكان الغرب الأوروبي، طيلة العام، يضاعف من احتضان «إسرائيل» بأذرعه العسكرية وحواجزه القانونية وإعلامه المسعور. الوقاحة، هنا، تدل على الوجه العلني في الفعل العدواني، والجرأة على تعمّد اختراع الأكاذيب وعلى تخييش مشاعر الكراهية والحقد، ونكران واقع الحصار على غزة

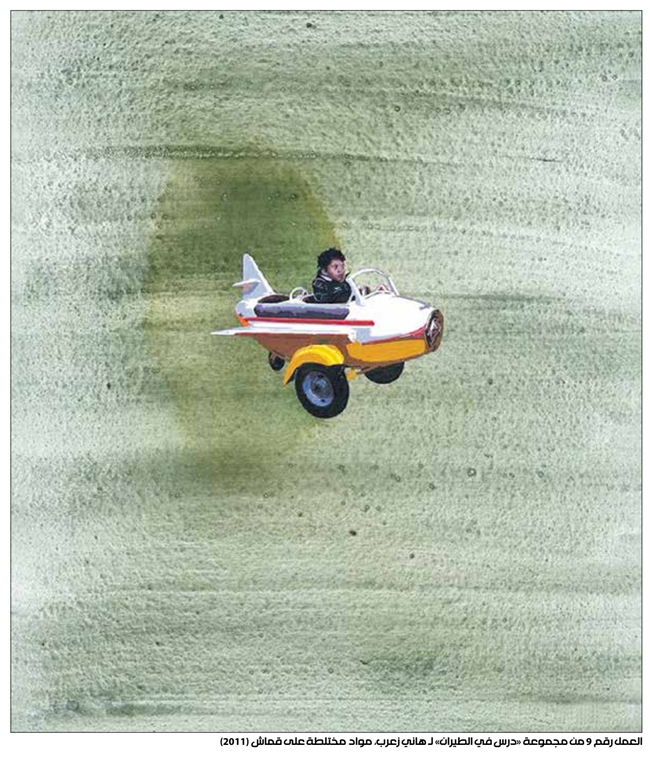
العمل رقم 9 من مجموعة «درس في الطيران» لـ هاني زعرب، مواد مختلطة على قماش (2011)

كذا هي أحوالنا في المدينة اليوم

بيروت... العام الأوّل بعد غزّة

بدا عامُنا الغرّي في مثل هذا اليوم، بدا من سماء الحصار الذي كسرته قفزةٌ فوق سلكٍ شائكٍ وطائرةٌ شراعية. لكن كيف هو المشهد اليوم من بيروت؟

بيروت ـ **أنس الأسعد**

في ظهيرة بيروتية بمسْكٍ فتى وأمّه مُحمّلَيْن بالأغراض، مشهدٌ من المفروض أن يكون روتينياً، لكنه ليس كذلك بعد أن صار صوت الطائرات المسيَّرة - فوقنا - يشغل المدينة بأسرها في كلّ دقيقة وكلّ لحظة. يقف الفتى لبُرهة ويختلس نظرة فضولية إلى السماء، ويقول مبتسماً ابتسامة المراهِق الغرّ: «ليك وينها فوقنا»، فتنهرُه بذُعر الأمّهات: «لا تطلّع ولك لا تطلّع». يضعُ كلٌّ منهما نظره في الأرض ويجُدّان في السير. ها هي المستعمَرة تُنازعُنا سماءَ المدينة، وترِيد قهر الناس حتى لا يرفعوا رؤوسهم إليها مجدّداً، أمّا على الأرض فـ«عقيدة الضاحية» تنهش جنوب العاصمة، والبقّاع وصيدا وضور وقرى الجنوب، وأمس طرابلس، بالقنابل والفوسفور الأبيض.

بدا عامُنا الغرّي في مثل هذا اليوم، بدا من سماء الحصار الذي كسرته قفزةٌ فوق سلك شائك وطائرةٌ شراعية، ربّما تكون أبلغ التكثيفات عنها مجموعة الشكسبيلي الغرّي هاني زعرُب «درس في الطيران» (2009). لكن كيف هو المشهد اليوم من بيروت التي لا أحد سائد واحتجّ مثلها طيلة عام، ولا أحد قال ما يجب أن يُقال كما فعلت منذ اللحظة الأولى (طبعاً بيروت بيروتات حتى لا نُفرط في رمنسة مدينة قُتّلت مراراً بجرعات زائدة من الحنين إلى المُتخيَّل)، وعلى سيرة اللحظة الأولى، أحتفظ بصورة «قديمة» لمجموعة شُبّان في مظاهرة أمام السفارة المصرية بتاريخ 12 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، كلّما نظرتُ إليها أحسُّ وكأنّ دهراً قد مرّ لا عاماً واحداً... يا للزمن المتسارع.

هذا كلامٌ عامٌّ كان لا بدّ منه قبل أن ندلف لما نريد قوله: إنّنا لسنا بخير، ويُزيْف المرء على ذاته وعلى الآخرين حين يقول عكس ذلك. وهذه مسؤولية طالما تمّ التنصّل منها منذ معارك الخمسينيات والستينيات، وطالما جرى تحميل التبعات والنتائج كلّها لـ«ظروف المعركة مع العدو»، وإلى آخره من هذه العبارات، حتى رسونا في نهاية المطاف على أبشع أنواع الأنظمة الديكتاتورية. إنّنا لسنا بخير اليوم، وباختصار شديد، لأنّنا أسلمنا أمرنا لانتفاخ اليقين في ذواتنا، ولأنّ صخبَ كوننا ضحايا وتُتعرّض لأبشع أنواع الإبادة قد طغى على أدائنا السياسي، في حين أنّ السياسة بطبيعتها الدولية الدنيئة القائمة غير مُبالية ولا تتأثّر بمثل هذا النوع من الكلام. ونحن لسنا بخير، لأنّنا لم نتعلّم من دروس ومآلات انتفاضات العقد الماضي وكيف تعامل معها «العالم الحُرّ». لذا، يبدو أنّ دروس الطيران التي فاتتنا كثيرة، وأوّلها وأقربها إلينا نقْدُ اليقين الراسخ في مشهدنا السياسي والفكري. ونحن لسنا بخير، لأنّ هناك غائبَيْن يعبدون القوّي، يتغنّون بـ«إنجازاته» وينتظرون حسم المعركة إسرائيلياً، لنسمع كلمتهم الأولى بعد الإبادة: «ألم نقل لكم؟».

في الأمس قصفوا «المصنع»، إنه المعبر البرّي الرئيسي الواصل بين سورية ولبنان، فعبْر النازحون، سوريون ولبنانيون، سيراً على الأقدام، إلى ضفّة سوريّة من المفترض أن تكون «آمنة»/ لا ليس الأمر بهذه السهولة. السوريون هم أصلاً كانوا قد نزحوا إلى الجنوب والبقاع قبل عقد، وقتلت «إسرائيل» منهم منذ بدء العدوان أكثر من 170 شخصاً، يا للتبه الذي كَتَب على أهالينا. اقرأ تعليقات سريعة للكاتب عباس جعفر الحسيني عن حال التغريبة العاملية بعد نزوح قرابة مليون من أبنائه، يُنهيها بعبارة «علّمني يا جبل عامل كيف أرتيلك؟»، وأقول كم تليق هذه العبارة بأحوالنا المشرقية وقد مضت عقود من استقواء بعضنا على بعض فانتهينا إلى ما انتهينا إليه من خراب مُعمَّم لم يوفّر أحداً. هذا عن حال المعبر البرّي، أمّا المطار المدني - غُدنا مرّة أخرى لدروس الطيران - فبحالول الاحتلال تطويقه وقصف محيطه، وبثّ الذعر بين الناس بإشاعة نيّته فرض حصار جوي، وسبق أن قصفته «إسرائيل» بالفعل عام 1968، ولم تتردّد حينها عن تدمير 13 طائرة من السرب اللبناني.

في كتابه «بيروت والزمن» يقرأ المؤرّخ كمال الصليبي (1929 - 2011) ثُلاثية الروائي ربيع جابر «بيروت مدينة العالم» بلا تفجُّع وبلا استنهاض مظلوميات تحجرفها الشعوب العربية بين النكبة والأخرى. يقرأ المؤرّخ المعروف بتفكيك الأساطير والخطابات ويقف عند رؤية جابر للزمن، بعد أن حدّثنا عن «الشخصية الخالدة»: عبد الجواد أحمد البارودي (الهارب من دمشق) وبكره «شاهين» الذي تمرّد عليه «نظر إليه نظرةً تفلح جملاً، بنظرة مجرم يُريد أن يخنقه بيديه العاريتين»، ثمّ خرج من بيت أبيه، لاحقاً يفقد الذاكرة، ويُقاتل بجوار أخيه عمر مع الجيش العثماني ضدّ الروس... إلى آخر هذه التراجيديا البيروتية والوطن اللبناني المؤسَّس على «النزوح من الجبل» كما يكتب.

يُؤشّر الصليبي مفهوم الزمن على الشخصيات ليقرأ حال المدينة من خلاله، فبيروت ربيع جابر، وفقاً للصليبي، لا جديد فيها يُخلَق ولا قديم فيها يُفقَد، بل كلّ شيء يتحوّل: «ألف عام ماضية في ألف عام واردة هو ذا الوقت، ولا تغرّنك الأشباح»، وفقاً للصوفية، أو كما يقتبس الروائي من رسائل الحكمة الدرزية مقطعاً بليغاً: «لأنّ الحجاب هو المحجوب والمحجوب هو الحجاب. ذلك هو وهو ذلك. لا فرق بينهما». وكذا هي أحوالنا في المدينة اليوم باختصار رغم ما نُشعر به من انكسار وتسارُع زمن طوى في شهر ألف عام ماضية بألف عام واردة.

7 أكتوبر بين الحدث والمسار التاريخي

يوسف م. شرقاوي

ثمّة إشكالٌ زمنيّ يتعلّق بالسابع من أكتوبر/ تشرين الأول كونه تاريخاً: فالسابع من أكتوبر هو حدث، فعلٌ مستجدّ، لم يسبقه فعلٌ يوازيه أو يضاهيه في الحياة الفلسطينية، وأثره الثقافي والرمزي وحتّى الذهني هو أثرٌ ممتدّ حتى اللحظة على نحوٍ ملحوظ، وهو أثرٌ عام، جماعي وجمعي. الإشكال أنّه يوجد تاريخان مفصليّان بدأ اليوم نفسه، أو في السابع ثمّ الثامن من أكتوبر؛ فالسابع هو زمن الحدث المسمّى «طوفان الأقصى»، أمّا الثامن فهو تاريخ بداية مجزرة إبادة جماعية جديدة يرتكبها الاحتلال الإسرائيلي بحقّ الغزّيين خاصّةً والفلسطينيّين عامّة. يُصبح هنا لا مناص من الفصل بين التاريخيْن؛ فالأول ناشئ، جديد، طارئ، أمّا الثاني فهو مسارٌ تاريخيّ للاحتلال. الإبادة مثلها مثل النكبة حسب وصف الراحل إلياس خوري «مستمرّة»، وهي ظلّت تحدث بعد عام 1948 وحتى الآن». والإبادة هنا هي أيضاً أسبق من السابع من أكتوبر، كانت تحدث قبله، واستمرّت بعده. سرعان ما اختلطت السردية التي خلقها الفعل/ الحدث (أي السابع من أكتوبر) بالسردية التي استوجبتها الإبادة، فارتبط التاريخان، وليس ثمّة ما يعيب ارتباطهما، فكلاهما أصبحا واحداً، لكنّ الفصل ضرورة، فصل المجزرة عن الحدث، وتوصيفها بأنّها مسارٌ تاريخي لكيان استعماري هو شيء ضروري يُميّز القائل عن القتيل بالقول: السابع من أكتوبر فعلٌ وردّة فعل، في إن معاً، على مجازر ومذابح أكثر من أن تُحصى في مسار الاحتلال. أمّا الإبادة فليست إلّا استمراراً لهذا المسار.

وقد نشأت من هذا التاريخ حالةٌ جمعيّة، اشتبكت فيها الفضاءات جميعها. يمكن تسميتها وإطلاق عدّة أوصاف عليها، لكنّ التعريف الأدقّ قد يكون «المقاومة الثقافية» كما يعنيها روالدز بليكر، وهي تلك التي «تقع في عدد لا يُحصى من الممارسات غير البطولية التي تُشكّل عالم الحياة اليومية وروابطها المتعدّدة بالحياة العالمية المعاصرة»، أو كما يصفها إيلان بابيه بأنها «تؤكّد كيفية استخدام الممارسات الثقافية المختلفة لتحدّي ومحاربة قوّة مهيمنة، وغالباً ما تبني رؤية مختلفة للعالم في أثناء هذه العملية». قد يبدو من المبكّر القول إنّ الحدث (السابع من أكتوبر، وما تلاه) خلق معه في العالم وجهة نظر جديدة عن العالم (تستعير المصطلح هنا من لوسيان غولدمان)، لا سيّما على الصعيد الثقافي. إذ بات يُنظر إلى القضية الفلسطينية على أنها قضية إستملوجية (معرفية) بالتوازي مع كونها قضية سياسية. وهو ما أراده الفيلسوف والمؤرّخ الإيراني حميد دباشي الذي تثير فلسطين بالنسبة إليه، من بين ما تثير، مشكلة معرفية تتعلّق بطريقة إنتاج أوروبا وأميركا الشمالية المعرفة. وملخّص ما يريد دباشي قوله، من مقالة له عنوانها «أين فلسطين من العالم؟»، هو التالي:

«ليست القضية الفلسطينية مجرّد نضال شعب واحد من أجل وطنه، ففي هذا النضال صنع الفلسطينيون «عالماً» خاصّاً بهم، ينخرط فيه جميعاً لنُعيد تخيُّل جميع النضالات التي شهدتها العصور وصولاً إلى عالمنا المعاصر المتشكّل، إلى حدّ أنّ المناضلين من أجل العدالة في جميع أنحاء العالم صار العالم لهم كلّه فلسطينيًا. إنّ المكان الوحيد لفلسطين في العالم (قبل الصهيونية وبعدها) هو بإعادة صياغة العالم بأسره على أنّه لا تمكن معرفته إستملوجياً إلى أن (أو ما لم) يكون للفلسطينيّين أيضًا مكان في العالم». أنتج السابع من أكتوبر باعتباره حدثاً مسارات ثقافية ومعرفية جديدة، ولو كانت نادرة، نذكر منها إنتاجيْن فقط: معرض «ما تُقدّمه فلسطين للعالم» الذي أقيم السنة الفائتة بعد مجازر الإبادة في «معهد العالم العربي» بباريس والكتاب الجماعي الذي صدر عنه باللغة الفرنسية ضمن السلسلة الدورية «عربوراما» بالاشتراك مع دار النشر الفرنسية «سوي»، وكذلك العدد الخاص الذي قدّمته مجلة Yeni e التركية بعنوان «النضال الثقافي لفلسطين». يبدو مؤسفاً أنّ الخطاب الثقافي العربي ظلّ مشرذماً ومحصوراً في مواد متفرّقة وعشوائية بعد الحدث/ ثمّ المجزرة. ويبدو أنّه من الصعب البحث عنه. لكن نشأت، بدلاً منه، هرّةٌ في وعي جيل كامل، أحسّ بضرورة الاشتباك مع الفضاء/ الشأن العامّ، بالأدوات التي تبدو مُتاحة وممكنة الآن: العالم الرقمي.

(كاتب فلسطيني)

إطلالة

أين نعيش؟

سومر شحادة

مضى عامٌ على القتل، يطويه الاحتلال بتوسيع حرب الإبادة ضدّ فلسطين والمنطقة العربية، وانقضاء عام بحاله من غير أن تخفت حدّة القتل، على الرغم من الاحتجاجات التي شهدها العالم أجمع، وبالإشارة إلى أنّها حربٌ غير متكافئة، بل هي بوضوح حرب إبادة... انقضى عام بهذه الصورة يدفع المرء إلى التفكير في العالم الذي نعيش فيه. أقصد تجربة كل البشر بوجود قتْل منفلت فرْض حتّى داخل المؤسّسة الأكاديمية الغربية نوعاً من الحظر. فـ«إسرائيل» اليوم فوق النقد. والصهيوني، فردٌ أعلى من الآدمي، حتى لو كان الآدمي أبيض البشرة. مع ذلك، وبتوسيع الحرب تكشّفت هذا العام تصوّرات مشوّهة تحيط بكيان الاحتلال. وهي تشوهات يجب الاعتراف بأنّها لصيقة بانهيارات «الربيع العربي»، وتدفع إلى التساؤل إن كان بعض جمهور «الربيع العربي» يقبل أن ترتبط مسألة العداء لـ«إسرائيل» بالنضال لأجل الحرية؟ وهل بالإمكان أن يتواضع المرء في النقاش مع هذا التيار أكثر من ذلك؟

يتّفق المختصّون - من أمثال المؤرّخ إيلان بابيه - على اعتبار أنّ «إسرائيل» وجودٌ استعماري بالتعريف، أي إنّها قضية ورثها العرب من قرن خلا. وقد تراكبت معها طوال هذه العقود تعقيداتٌ لا سبيل إلى حصرها، مثل سياسات التوسُّع والاستيطان والفصل العنصري، وغيرها الكثير من ابتكارات العقل العنصري الصهيوني. مع ذلك، وبمضيّ عام قصفت فيه «إسرائيل» مشافي الأطفال، وطواقم المساعدات، والمسعفين، قصفت، حرفياً، كلّ شيء. يتأمّل المرء غير مصدّق الحال الذي صارت عليها النقاشات في الفضاء العربي العام، وفي الفضاء السوري على نحو خاصّ، وهو ما نشير إليه هنا. بلا شك فإنّ حرباً طويلة، وأزمة مفتوحة زمنياً ومغلقة الآفاق سياسياً، كما في الحالة السورية، تدفع إلى ظهور ثقافة جديدة. للأسف، نراها ثقافة إقصائية على نحو لا يُعقل. الثقافة السورية المقصودة التي ظهرت وباتت تُعبّر عن نفسها، ثقافةٌ مستغربة، وغير مفهومة لدى العرب. إنّها ثقافة متغرّبة عمّا يجاورها. مع ذلك، ما يقرؤه العرب على صفحات عدد من السوريّين يجب أن يُقرأ في سياقهم السوري، لا في سياق الصراع العربي أو الفلسطيني/ الإسرائيلي؛ إذ لا يمكن فهم الثقافة السورية الجديدة المقصودة خارج فكرة التخلّي التي عرفها هذا البلد، وقد تُرك لقدَره في استنقاع سياسي دولي، وفي ظلّ عقوبات لم تقهر سوى السوريّين العاديين الذين كان عيْشهم طوال سنوات الحرب، عيشاً يقترب من المستحيل، عدا عن فقدانهم بلدهم، ولجوئهم في أصقاع الأرض. اليوم، يخطئ من يقرأ الخطاب السوري - وهو خطاب جزءٍ من السوريّين ليس بوسعي تقدير نسبتهم - إلّا أنّه خطاب يكاد أصحابه يقولون صراحةً إنّهم مع «إسرائيل» ضدّ أنفسهم (على اعتبار أنّهم أصحاب الأرض أيضاً). ومن يقرأ هذا الخطاب - الذي يعادي مقاومة الاحتلال وتحديداً حزب الله - يُخطئ إن قرأه في السياق الفلسطيني، لأنّ ما صنعه هو سياق الحرب الأهلية السورية، أو الحرب السورية، أو الثورة السورية أو الأزمة السورية أو المؤامرة على سورية، أو.. إلى ما شاء الله من تسميات. فالنتيجة واحدة. لقد اختلطت المفاهيم وتعقّدت المقولات، ولم يعد أحدٌ من السوريّين يسمع أحداً آخر.

مع ذلك، أخالُ أنّ النضال لأجل الحرية يبقى أرضية مؤكّدة تتجاوز الخلافات السياسية، وتأتي من صلب أحاديث «الربيع العربي». أقول أحاديث، لأنّ ما انتهى إليه الحال، يكاد يجعل من تلك السنوات أشبه بالذكرى الضبابية، المؤكّد اليوم، أنّ «إسرائيل» فرضت على الإنسانية كلّها: قانون القتل، والإبادة الجماعية، والتصفية. وهناك سوريون ما زالوا يتساءلون عن موقفهم من «إسرائيل»... لكن، هل بوسع مَن يهتفّ للحرية أن يكون مع «إسرائيل» بالمبدأ، أو حتى أن يكون محايداً إزاء إجرامها؟

(روائي من سورية)

يفتتح في «مكتبة قطر الوطنية» بالدوحة، غداً الاربعاء، معرض فنّي لأعمال الأطفال، يضمّ لوحات مستوحاة من رواية **رجال في الشمس**. المعرض، الذي يستمرّ حتى نهاية كانون الأوّل/ ديسمبر المقبل، يهدف إلى التعريف بالقضية الفلسطينية وتشجيع الأطفال على التعبير عن القضايا باستخدام الفنون.

تحت شعار **فلسطين القضية الادبية**، تحتضن «دار الثقافة محمد الشبوكي» بمدينة تبسة شرقي الجزائر، بين الخامس عشر والسابع عشر من تشرين الأوّل/ اكتوبر الجاري، فعاليات الدورة الخامسة عشرة من **ايام تبسة الادبية**. تتضمن التظاهرة لقاءات وندوات ومعرضاً للكتاب، كما تُقام على هامشها مسابقة في القصّة القصيرة، موضوعها «طوفان الاقصى» بالتزامن مع السنوية الاولى للعملية.

عند السادسة (بتوقيت إسطنبول) من مساء السبت المقبل، يعقد «مركز حرمون للدراسات المعاصرة» ندوة بعنوان **مسار العدالة الجنائية الدولية في سورية ولبنان وفلسطين**، يتحدّث فيها الباحث السوري **المعتصم الكيلاني**، ويُناقش مسار ملفات الجرائم التي ارتُكبت في هذه البلدان، وتفلّت «إسرائيل» من القانون الدولي.

سينما

تحقيق

سؤال الحرب الأهلية اللبنانية في أفلامٍ محلية، تُنجز في أعوامها الـ15 وفي اللاحق على نهايتها، يستعيد عناوين منها رغم وفرتها، لتبيان معالم منها، وأساليب تناولها الحرب، والحرب الإسرائيلية الأخيرة تُذكّر بأفلامٍ تناولت «حرب تموز» (2006)، ولهذا بحثٌ آخر

حروب لبنان في سينماه
نقصٌ لا يُلغي اشتغالات

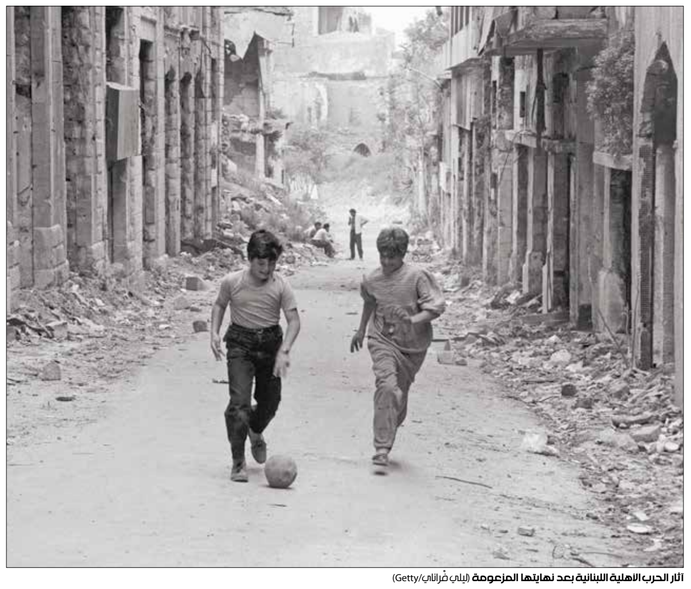

آثار الحرب الأهلية اللبنانية بعد نهايتها المزعومة (ليلي ڤرانالي/Getty)

نديم جرجوره

مقولة تتردّد مراراً في أوقاتٍ سابقة، وفي مناسبات متفرّقة: «يكفي ما أُنجز من أفلام لبنانية عن الحرب». والحرب المعنيّة «أهلية لبنانية»، ممتدّة في 15 عاماً (1975 ـ 1990): نهايتها ملتبسة، وأسئلتها مُعلّقة، والسلم الناتج منها هشّ وناقص، يكاد يكون امتداداً لها بأشكال أخرى. أمّا المقولة، فحاضرة في تفكير فرديّ، له مساحة جماعية، يقول به طلاّبٌ وطالبات جامعيون يدرسون السينما، أو ما يُعرف بـ«فنون سمعية بصرية». مرتادو صالات سينمائية، نساءً ورجالاً، يطلبون أفلاماً لبنانية ويحبّذونها ويتحمّسون لها، شرط ألا تقترب من تلك الحرب، لـ«كثرة» (!) المُنجز عنها. وفي هذا افتراءٌ، فالسينما في لبنان، رغم أفلام عدّة عن حربه الأهلية واللاحق عليها، قُطالبة بمزيدٍ من اشتغال يتناولها (الحرب الأهلية واللاحق عليها)، ويُفكّك ما فيهما من أسئلة وحكايات وحالات.

غياب ملفات وأسئلة وعوامل

ملفاتٌ كثيرة تنفضّ عنها أفلام الحرب: المفقودون/المخطوفون، المعوّقون/المعوّقات، التهجير القسري (تغيير الديموغرافيا، طائفياً واجتماعياً)، بيع الأطفال/الأعضاء البشرية، الاغتيال السياسي، القنص، المجازر/جرائم حرب، وغيرها. بعض تلك الملفّات غير حاضر في سينما بلدٍ مُصاب باعطاب جمّة. العاملان الفلسطيني والسوري، أحد أسباب اندلاع الحرب التي يشاركان فيها بفعالية، لن تتناولهما تلك السينما إلا بعد تأخّر مديد، وبندرة غير متلائمة أبداً مع الدورين الفلسطيني والسوري فيها. أول شخصية فلسطينية تتبوّأ صدارة المشهد السينمائي، وتُشارك في صُنعه، تظهر في «قضية رقم 23» (2017) لزياد دويري؛ وأول شخصية سورية يكون لها دورٌ أساسي في الفيلم، كما في ذاكرة حرب أهلية، تظهر في «محبس» (2017) لصوفي بطرس.

نزاعٌ بين عامل فلسطيني (كامل الباشا) وصاحب كراج لتصليح السيارات (عادل كرم)، مناصبٌ بشدّة للبيمن المسيحي (بشير الجميل تحديداً) يفتح أبواب الجحيم اللبناني زمن الحرب، ويستعيد نقاشاً غير مُكتمل، وغير محسومة أسئلته، بين الفلسطيني واللبناني في مسائل شائكة ومُعلّقة بينهما (قضية رقم 23). أمّا الحب الناشئ بين سامر (جابر جوخدار) وغادة (سيرينا شامي)، الذي يُؤدّي إلى رغبة في خطوبة بينهما، فينكأ جرحاً (غير مندمل أصلاً) في ذات تيريز (جوليا قصّار)، والدة غادة، عند إدراكها أنّ والدي سامر (بسام كوسا ونادين خوري) سوريّين: شقيق تيريز مقاتل مسيحي يُقتل في معركة مع الجيش السوري زمن الحرب الأهلية (محبس).

هذا غير عابر. عدم تقديم الفلسطيني السوري في فيلم لبناني، يتناول حرباً أهلية، يتناقض كلّياً مع واقع أنّ لهاتين الشخصيتين تأثيراً مباشراً في اندلاعها واستمرارها، وفي أهوالها أيضاً، بالجانبين العسكري والسياسي طبعاً، علماً أنّ للمدنيّين الفلسطيني والسوري علاقات في الاجتماع والثقافة والاقتصاد والحياة، متداخلة ومتشابكة وُمعقّدة، وهذا كافٍ لأفلام غير معنيّة بالحرب، بالضرورة، انفضّاض مخرجين ومخرجات عنهما غير مفهوم، رغم تبريرات تُقال، واحدها أكثر إقناعاً من غيره: عدم التعرّف إلى فلسطيني في فترتي المُراهقة وأوّل الشباب، بالنسبة إلى من يُنجز فيلماً ذاتياً/شخصياً، ويكون زمنه حرباً أهلية. هذه سمة أخرى تجمع أفلاماً لبنانية عن الحرب: الذاتي/الشخصي غالبٌ، وفي الذاتي/الشخصي ما يُصيب جماعة.

الغائب الآخر، الذي له دور بارز وخطر أيضاً في صنع الحرب والمشاركة فيها بشكل ما، وخوض حروب له فيها أيضاً، يتمثّل بالإسرائيلي. سيُقال إنّ قلقاً من الرقابة ينتاب مخرجاً/مخرجة إنْ تكن هناك شخصية إسرائيلية، مع أنّ هذه الأخيرة ستكون، أساساً، جنديا/جندية أو سياسيا/سياسيّة يعملان على تدمير لبنان. وإذكاء الحرب/الحروب الأهلية فيه (ألا يستحقّ التطبيع والمطبّعين/المُطبّعات مع إسرائيل، كما المتعاملين/المتعاملات معها، اهتماماً سينمائياً؟ هذا وحده يحتاج إلى نقاش، فتناوله يصطدم بتعقيدات العلاقات الطائفية/السياسية/الاجتماعية في الاجتماع اللبناني). رفع علم إسرائيل في فيلم لبناني غير معرّض لرقابة، والدليل أنّ «طيّارة من ورق» (2003) لرندة الشهّال يُصوّر جنديا إسرائيلياً درزياً (ماهر سبيس) يُغرم بمُراهقة درزية (فلافيا بشارة) في قرية حدودية بين لبنان وفلسطين المحتلّة (دير ميماس). مجزرة شاتيلا وصبرا (16 . 18 سبتمبر/أيلول 1982)، التي تحضر في أفلام وثائقية متفاوتة الأهمية السينمائية، لكن المهمّة وثائقياً ومادة وتناولاً، يغيب عنها

> **عوامل أساسية في صُنع الحرب غائبةٌ عن أفلام تتناولها**

الإسرائيلي مباشرة، وبعض تلك الأفلام يستمع إلى حكايات مقاتلين من مليشيا القوات اللبنانية، المشاركين في المجزرة، كما في «مُقاتل» (2005) لمونيكا بورغمان ولقمان سليم وهيرمان تايسن، مثلاً.

الإسرائيلي هذا يظهر سينمائياً في فيلم عن الحرب الأهلية اللبنانية، لكنّ إنتاجهُ مصريّ: «ناجي العلي» (1992) لعاطف الطيّب، المصوّرة مشاهد عدّة منه في بيروت ومناطق لبنانية أخرى. ففي سرده مقتطفات من سيرة رسّام الكاريكاتور الفلسطيني (1938 ـ 1987)، المُغتال في لندن، يُذكر الاجتياح الإسرائيلي للبنان، وحصار بيروت عام 1982، وتُصوّر لقطة في مقهى ويمبي (شارع الحمرا)، تتناول أول رصاصة في جسد جندي إسرائيلي ستكون انطلاقة «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية (جمول)».

أكثر من جيل والحرب واحدة

الردّ على مقولة طلاب وطالبات، وآخرين وأخريات، سهلٌ وبسيطٌ وواقعي: الإقلام اللبنانية، الروائية والوثائقية، المُنجزة في أعوام الحرب الأهلية، وفي اللاحق على نهايتها المزعومة، أقلّ بكثير مما يُعتقد أنّه كثيرٌ، ومما يُفترض بالسينما اللبنانية (كما الفنون والآداب والدراسات أنْ تتناولها. الاشتغالات السينمائية، بدءاً من تسعينيات القرن الـ20 مثلاً (كما زمن الحرب نفسها)، غير كافية لقراءتها وقراءة إفرازاتها، في الجوانب كلّها، مع أنّ أفلاماً عدّة ترتكز على بعضها. مخرجو السينما البديلة ومخرجاتها (مارون بغدادي وبرهان علوية وجوسلين صعب وجان شمعون ورندة الشهّال وغيرهم)، المنصرفون إلى أحوال البلد، اجتماعاً واقتصاداً وحياة وعلاقات، قبل عام 1975، يستمرّون في مقاربة الحرب الأهلية، روائياً (ولو قليلاً) ووثائقياً/تسجيلياً/تلفزيونياً (وفرة لا بأس بها)، في أعوامها الأولى، فهُم، في الربع الأول (تقريباً) من ثمانينيات القرن الـ20، يغادرون واحداً تلو الآخر إلى المنافي الأوروبية، فرنسا أساساً، من دون التنصّل من الهمّ اللبناني، الذي يشتغلونه من خارج البلد. جيلٌ آخر، يعود أفراده إلى البلد في النصف الأول من تسعينيات القرن الماضي، يجدون في البدايات المرتبكة للسلم الناقص ما يُشغّل تفكيراً وتأمّلاً وتنقيباً في أحوال أفراد وحالات أناس وبلد.

هذا حاصلٌ، لأنّ الحرب غير منتهية فعلياً، والمصالحة، التي يُفترض بها أنْ تُشكّل أوّل خطوة فعّالة فيما بعد النهاية المزعومة للحرب، بغتالها قانون عفو عام (26 أغسطس/آب 1991)، يجعل أمراء الحروب/الطوائف أبطال سلمٍ يُشبه حروبهم/طوائفهم. قانونٌ كهذا يُحصّن قانون رقابة معمول به منذ أزمنة ساحقة، يتضمّن بنوداً يُتلاعَب بها بسهولة، وتُفسّر دائماً وفقاً لمصالح أمراء حروب/طوائف وأبطال سلمٍ يُمنع بدوره من أنْ يكون كاملاً وعميقاً وحقيقياً. رغم هذا، يواجه مخرجون ومخرجات موانع وقيوداً، بحسب الممكن، ليقولوا شيئاً من ماضي تلك الحرب، وبعضاً من مسار اللاحق عليها. الأسماء وفيرة. تعدادها، أو تعداد بعضها، صعبٌ في مقالة كهذه. اختيار أفلام روائية طويلة يصلح لتبيان معالم سينما تُصنع في لبنان، وإنْ بفضل مشاركة إنتاجية غربية غالباً، وتستعيد حرباً أهلية، وفيها حروب إسرائيلية ضد لبنان واللبنانيين تُشنّ بحجّة واحدة: القضاء على المقاومة، الفلسطينية وحلفائها اللبنانيين أولاً، واللبنانية ثم الإسلامية لاحقاً. أفلامٌ كهذه مهمومة أكثر بمعاينة مصائب فردية، وبسرد حكايات ذاتية، وهذا كافٍ لإفلام غير معنيّة بالحرب، بالضرورة، انفضاض مخرجين ومخرجات عنها غير مفهوم، رغم تبريرات تُقال، واحدها أكثر إقناعاً من غيره: عدم التعرّف إلى فلسطيني في فترتي غسان سلهب «أشباح بيروت»، وزياد دويري «بيروت الغربية»، إنّهما أول فيلمين روائيين طويلين لهما. لكنّ المختلف بينهما أنّ للذاتي في الثاني مساحة أكبر من تلك التي في الأول: «أشباح بيروت» يختار نهاية ثمانينيات القرن الـ20، مع عودة خليل (عوني قوّاص) إلى مدينته بعد اختفائه سنين عدّة، خليل مقاتل سابق (الحركة الوطنية؟ اليسار اللبناني؟ غير مُهم، فالأهمّ أنّه في المعسكر المناهض للبيمن المسيحي)، يختفي فجأة، وعودته بعد عشرة أعوام تُثير صدمة وقلقاً كصدمة اختفائه وقلق زملاء واصدقاء ومعارف من اختفائه المفاجئ هذا. دويري ينتقي من سيرته الذاتية ما يُساعد على كتابة نصّ يروي بدايات الحرب الأهلية، كما يعيشها ثلاثة مراهقين، أحدهم يُمثّل شيئاً كثيراً من شخصيته وسيرته.

اتّخاذ موقفٍ من الحرب غير أساسي، فالأساسي التقاط لحظة (أو أكثر) من زمن الحرب، لقول مُغيب، سينمائياً أولاً، عن علاقة المخرج بالحرب والبلد والناس. هذا يحضر في «الإعصار» (1992)، أول روائي طويل أيضاً لسمير حبشي: عودة طالب إلى بلده، فتحلّ فيه كوابيس حرب وموتٍ وأشباح وقلاقل. هناك أيضاً أول روائي طويل لوليد مونّس «1982»، المُنجز عام 2019: عنوان الفيلم يُحيل إلى لحظة الاجتياح الإسرائيلي للبنان، بدءاً من 5 يونيو/حزيران. لكن هذا غير ظاهر، باستثناء طائرات بعيدة قبيل نهايته. فالحبكة تشهدها مدرسة خاصة خارج بيروت، ومسائل عدّة (حب، مراهقة، علاقات بين تلامذة، إلخ) تحصل في ظلّ قصف يُسمع دويّه؛ وشقيق المُدرّسة (نادين لبكي) مقاتل في المليشيا المسيحية، لكنّ الحرب مخبّأة خارج الكادر.

استناداً إلى رسائل لها مكتوبة بين عامي 1982 و1988، وتُرسلها إلى صديقة لها، تُنجز جوانا حاجي توما مع خليل جريج «دفاتر مايا» (2021). عودة إلى الحرب الأهلية، عبر يوميات مُراهقة (منال عيسى) تعيش خُطاماً تصنعه الحرب أساساً في عائلتها ومدينتها وبلدها. حربٌ تنعكس على ذوات ومنازل وعلاقات، وتُشوّه لقاء عفوياً بين مُراهقين بصنع (اللقاء) حبّاً بينهما، في حربٍ تكسر كلّ شيء، من دون قدرة على كسر الحبّ.

سؤال الحرب الأهلية في السينما اللبنانية غير منتهٍ. أفلامٌ أخرى تُقاربها بأنماطٍ مختلفة. الحرب الإسرائيلية الجديدة على لبنان تحرّض على استعادة سينمائية لأفلامٍ تتناول بعض الحروب الإسرائيلية السابقة (العربي الجديد، 27 سبتمبر/أيلول 2024).

أفلام

«طيف المدينة» (2000)، لجان شمعون: فصول من الحرب، من السابق عليها إلى ما بعد نهايتها. «زنّار النار» (2004)، لبهيج حجيج، عن رواية «المستبد» (1983)، لرشيد الضعيف. أستاذ جامعي يتخبّط بوهم لقائه مع شابّة لعلّها غير موجودة، فيقع في ما يُشبه الهذيان، والحرب متفشّية. «متحضرات» (1999)، لرندة الشهّال: مبنى في بيروت الحرب، يضمّ أناساً مختلفين، جنسية وانتماءات طبقية. اجتماعية، وأحداثٌ معظمها منبثقٌ من تلك الحرب. للشهّال وثائقي «حروبنا الطائشة» (1994)، حكايات أقارب «متورطين» في الحرب، تنسج مشهداً سينمائياً عن واقع وتفاصيل وانفعالات.

منال عيسى في «دفاتر مايا»: حطامٌ تصنعه الحرب (الملف الصحافي)

حرب إسرائيلية جديدة على لبنان: خراب وخراب (جلاء عارف/Getty)

«معارك حب»

في فيلمها هذا (2004)، تروي دانييل عربيد (توموكازو تازاوا/Wirelmage) فصولاً من سيرتها، في المناطق الشرقية (اليمين المسيحي)، زمن الحرب الأهلية. أول فيلم طويل لها، وأول فيلم لبناني عن تلك الحرب يحدّد الانتماء الطائفي ـ الاجتماعي لشخصياته، مُشكّلاً بهذا مدخلاً غير مستغَلّ سينمائياً، كفايةً، في اللاحق على انتاجه. مُراهقة تشاهد أهوال الحرب في منزلها وعائلتها، وتحاول أنْ تعيش عمرها بين خراب مدينة وحطام أفراد.

غسان سلهب: «أشباح بيروت» باستلته المعتّقة (أيريك كابانرنا/Getty)

رياضة

كوكو غوف تحمل كأس البطولة أمام الجماهير في المدرجات (Getty)

تُوجت لاعبة التنس الأميركية، كوكو غوف، المصنفة السادسة عالمياً، ببطولة الصين المفتوحة، أمس الأحد، بعد فوزها على التشيكية كارولينا موتشوفا 6-1 و6-3، لتحقق لقبها الثاني في بطولات الألف نقطة، بعد سينسيناتي في عام 2023. واستغرقت المواجهة أمام موتشوفا، المصنفة الـ49، التي كانت أيضاً منافستها في المباراة النهائية في سينسيناتي، ساعة و16 دقيقة. وبهذا الفوز أضافت غوف لقبها الفردي التاسع في مختلف البطولات.

غوف بطلة الصين

فليك: سعيد بامتلاك مزيد من الخيارات في حراسة المرمى

أكد مدرب برشلونة، هانسي فليك، سعادته بانضمام الحارس فويتشيك تشيزني لأنه يمثل «امتلاك مزيد من الخيارات في حراسة المرمى»، وقال فليك في مؤتمر صحافي: «إننا سعداء بوجود إنياكي. وجود ايضاً تشيزني يمكن أن يوفر مزيداً من الخبرة، وإنني سعيد للغاية بامتلاك مزيد من الخيارات في حراسة المرمى». وسجل النادي الكتالوني الحارس البولندي للمنافسة على اللعب حارساً أساسياً مع إنياكي بينيا.

خيسي رودريغيز ينضم إلى فريق جوهور ساوثرن تايغرز المالايزي

أعلن نادي جوهور ساوثرن تايغرز المالايزي عن ضم اللاعب الإسباني خيسي رودريغيز، البالغ من العمر 31 عاماً، والذي كان لاعباً حراً بعد آخر تجربة له مع نادي كوريتيبا البرازيلي. وكتب خيسي على حسابه في إنستغرام: «سعيد جداً بهذه الفرصة الجديدة التي تمنحني إياها كرة القدم. اليوم أبدأ مغامرة جديدة في نادٍ كبير مثل جوهور. أنا متأكد من أننا سنحقق الكثير من النجاح معاً، ومتحمس جداً».

ديوكوفيتش يعود إلى الملاعب بانتصار صعب في شنغهاي

عاد النجم الصربي نوفاك ديوكوفيتش إلى الملاعب بانتصار صعب وتحقيقه فوزاً على الأميركي اليكس ميشيلسن، صاحب الـ20 عاماً والمصنّف 43 عالمياً، بنتيجة 7-6 و7-6 في لقاء استغرق نحو ساعتين. وقال نوفاك ديوكوفيتش بعد نهاية المباراة «لم العب منذ فترة، لذلك استغرق الأمر مني بعض الوقت للتخلص من الصدأ واستعادة الأمور. أنا سعيد بمواجهة لاعب شاب واتطلع إلى المباراة التالية».

تقرير

ترقب جماهير الكرة العربية مواجهات قوية، عندما تجرى في العاصمة المصرية القاهرة، اليوم، قرعة دور المجموعات لبطولتي دوري أبطال افريقيا والكونفيدرالية الافريقية لكرة القدم لموسم 2024-2025

قرعة بطولتي أفريقيا

الأندية العربية تترقب مواجهات قوية

القاهرة ـ **مجدي طايل**

تقام اليوم الاثنين بحضور 32 فريقاً قرعة بطولتي دوري الأبطال والكونفيدرالية، بمشاركة 14 فريقاً عربياً، نجحت في الحصول على بطاقات التأهل إلى الدور «ثمن النهائي».

دوري الأبطال

وتتجه الأنظار في دوري أبطال أفريقيا، صوب قرعة لن تكون سهلة في ظل وجود ثمانية أندية تشارك في مرحلة المجموعات، وهي الأهلي وبيراميدز من مصر، والرجاء البيضاوي والجيش الملكي من المغرب، وشباب بلوزداد ومولودية الجزائر من الجزائر، والهلال من السودان والترجي من تونس، وهي أندية تضمّ طرفي نهائي 2024 الذي جمع بين الأهلي المصري والترجي التونسي، وحسمه الأول لصالحه.

دور المجموعات سيشهد حضور أكثر من فريق عربي

وقد تسفر القرعة عن مواجهات عربية في ظلّ تنوع التصنيف والمستويات الأربعة، وتوزيع الأندية العربية عليها، حيث أعلن كاف رسمياً تصنيف الأندية، وضمّ المستوى الأول الثنائي العربي الأهلي والترجي، إلى جانب صن داونز الجنوب أفريقي ومازيمبي الكونغولي، فيما ضمّ المستوى الثاني ثلاثة أندية عربية، وهي شباب بلوزداد والرجاء وبيراميدز، إلى جانب يانغ أفريكانز التنزاني، فيما ضمّ المستوى الثالث الثنائي الهلال والجيش الملكي، مع أورلاندو بيراتس الجنوب أفريقي وساغرادا الأنغولي، وجاء في المستوى الرابع، فريق عربي، هو مولودية الجزائر، ورفقته مينياما يونيون الكونغولي، دغوليبا المالي، أستاد أبيدجان العاجي. وتبدو فرص حضور أندية من دول واحدة معاً في مجموعة واردة مع وجود الأهلي في مستوى أول وبيراميدز في مستوى ثانٍ من مصر، وكذلك شباب بلوزداد مستوى ثانٍ مع مولودية الجزائر مستوى رابع، وأيضاً الرجاء مستوى ثانٍ مع الجيش الملكي مستوى ثالث. ومن المحتمل أن تضم مجموعة واحدة، فرقاً عربية، خاصة أن المستوى الأول والثاني شهدا حضور خمسة أندية عربية من إجمالي ثمانية فرق في هذين المستويين مما يفرض إمكانية ظهور على الأقل مجموعة تضم فريقين عربيين من المستوى الأول والثاني، مما يعني تصاعد فرص مشاهدة لقاءات عربية، بين فرق تبدو مرشحة للمنافسة على لقب بطل دوري أبطال أفريقيا.

وينتظر أن يشهد دور المجموعات المقبل، منافسة هي الأقوى في السنوات الأخيرة، بعدما ضمّت قائمة الأندية الـ 16، سبعة أندية تتنافس على حصد لقب بطل دوري الأبطال، أو بلوغ المربع الذهبي على الأقل، وهي الأهلي والترجي والرجاء وشباب بلوزداد ومولودية الجزائر والجيش الملكي وبيراميدز، فيما يسعى الهلال السوداني لكسر عقدة دور المجموعات في السنوات الأخيرة، وإيجاد مكان له في الدور ربع النهائي، خاصة بعد عودته إلى الحياة كروياً مؤخراً، وخوضه منافسات الدوري الموريتاني للحفاظ على حساسية المباريات. وتراهن الأندية العربية الثمانية على أسماء كبيرة تدريبياً، حيث يقود الأهلي السويسري مارسيل كولر بطل دوري أبطال أفريقيا آخر نسختين، ويقود الترجي ميغيل كاردوزو وصيف النسخة الماضية، ويدرب مولودية الجزائر مدربه الفرنسي صاحب الخبرات الضخمة في القارة السمراء أمير بوميل الذي توج بطلاً للدوري الجزائري، وكذلك يقود الهلال مدربه الكونغولي فلوران إيبينجي صاحب الخبرات الكبيرة أيضاً، فيما يقود بيراميدز مدربه الذي حصد أول لقب في تاريخ النادي كرونسلاف يورتشيتش بطل كأس مصر الأخيرة. وأبرمت الأندية العربية التي تخوض منافسات دور المجموعات لدوري أبطال أفريقيا، مجموعة من الصفقات القوية، دعماً لتشكيلتها، مثل تعاقد مولودية الجزائر مع الهداف الكبير أندي ديلور، وتعاقد شباب بلوزداد مع الهداف التاريخي لمنتخب الجزائر إسلام سليماني، والأهلي المصري مع أشرف داري نجم دفاع المنتخب المغربي المونديالي، والترجي مع يوسف بلايلي أفضل لاعب جزائري في المنطقة العربية خلال السنوات الأخيرة، وغيرها من التعاقدات الكبرى التي تم استقدامها في فترة الانتقالات الصيفية الأخيرة.

الكونفيدرالية الأفريقية

ولن يختلف الحال في سباق كأس الكونفيدرالية الأفريقية مع إمكانية مشاهدة مواجهات عربية في ظل وجود ستة أندية، من بينها خمسة أندية في التصنيف الأول والثاني، ومن كبار المرشحين للحصول على لقب بطل الكونفيدرالية، يتصدرها نهضة بركان المغربي واتحاد العاصمة الجزائري والزمالك المصري آخر ثالوث حصد لقب بطل الكونفيدرالية في آخر ثلاث سنوات من عمر البطولة، وأعلن كاف تصنيف مستويات الأندية في سباق الكونفيدرالية الأفريقية، وضمّ المستوى الأول الزمالك المصري ونهضة بركان المغربي واتحاد العاصمة الجزائري، وبرفقتهم سيمبا التنزاني المرشح بدوره للمنافسة على الكأس، فيما ضمّ المستوى الثاني ناديين عربيين، هما المصري البورسعيدي والصفاقسي التونسي، وكلاهما له باع طويل مع أفضلية الصفاقسي الذي حصد اللقب أكثر من مرة، ورفقتهما في المستوى نفسه كل من أسيك ميموزا المغربي والملعب المالي.

وفي المستوى الثالث يأتي فريقان فقط، هما إنيمبا النيجيري ودي غراف السنغالي، بينما ضمّ المستوى الرابع فريقاً عربياً، هو شباب قسنطينة الجزائري مع باقي الأندية هي لواندا وبرافوس الأنغوليان وأوروايا البتسواني وبلاك بولز الموزمبيقي وستيلينبوش الجنوب أفريقي. وتبدو فرص ظهور مجموعة تضم أندية عربية من دولة واحدة وارداً بقوة في ظل وجود الزمالك والمصري من مصر، واتحاد العاصمة مع شباب قسنطينة من الجزائر بين فرق دور المجموعات، وكذلك إمكانية وجود مجموعة تضمّ فريقين على الأقل عربياً واردة بقوة في ظل وجود الأندية العربية في ثلاثة مستويات من أربعة مستويات هي تصنيف الفرق الـ 16 التي تخوض المنافسات.

وينتظر أن تشهد القرعة، تحديداً شاملاً لمواعيد مباريات الجولات الست، بعدما أُجّلت انطلاقة دور المجموعات إلى يومي 26 و27 نوفمبر/تشرين الثاني المقبل، بدلاً من يوم 25 أكتوبر/تشرين الأول الجاري.

الترجي التونسي واحد من الفرق ذات الحظوظ الكبيرة (إيمن عارف/Getty)

الأهلي المصري يأتي في التصنيف الأول قبل القرعة (إيمن عارف/Getty)

الرجاء المغربي مرشّح للعب دور كبير في هذه النسخة (وليد زيان/الأناضول)

مباريات الأسبوع

انشيلوتي: كارباخال يعاني إصابة جدية في الركبة

أكد كارلو أنشيلوتي مدرب ريال مدريد، أنه على الرغم من عدم معرفته بدقة بحالة ركبة داني كارباخال، الذي أصيب في مباراة فريقه أمام فياريال مساء أول من أمس السبت، يرى أنها إصابة ليست بالهينة، وستجعل فريقه يفتقر إلى جهود لاعب «مهم جداً جداً». وقال أنشيلوتي في مؤتمر صحافي عقب المباراة: «يبدو أنها إصابة جدية في الركبة، وعلّيهم تقييمها في الساعات القليلة المقبلة، الفريق حزين وقلق لأن ما حدث قد حدث مرات عديدة في التقويم، ولسوء الحظ حدث للاعب مهم جداً جداً لنا». وتابع المدرب قائلاً: «كارباخال لاعب أساسي عندنا بفضل خبرته ومهنيته. لقد تحدثت معه وهو حزين ومحبط، ولكن ليس لدينا الكثير لنفعله. دعونا نرَ التقييم الطبي ثم نفكر في التعافي». وأوضح المدرب الإيطالي أنه تحدث إلى الطبيب وأكد إصابتهَ الخطيرة، لكن لن يتم تحديد ما إذا كان يعاني تمزقاً في الرباط الصليبي إلا في الساعات القليلة المقبلة. «أخبرني أنها إصابة في الركبة، ولكن ينبغي إجراء اختبارات. لن يتغير الأمر كثيراً، إنها إصابة نأمل أن تكون أقل خطورة قدر الإمكان».

كروز أزول يصعق نيكاكا بثلاثية ويعزز صدارته للدوري المكسيكي

اكتسح كروز أزول، بقيادة المدرب الأرجنتيني مارتين أنسيلمي، نيكاكسا بثلاثية نظيفة وعزز موقعه في صدارة مرحلة ذهاب الدوري المكسيكي لكرة القدم المكسيكي (أبرتورا 2024)، كما أثبت مكانته باعتباره الفريق صاحب أفضل هجوم في البطولة. وبهذا الانتصار حافظ كروز أزول على الصدارة بتسعة انتصارات وتعادل واحد وخسارة واحدة و28 نقطة، بفارق أربع نقاط عن تيغريس أونال الوصيف، الذي فاز على بوييلا بهدف نظيف. سجل الفرنسي أندريه بيير جينياك هدفاً من ركلة حرة مباشرة في الدقيقة 16 من عمر اللقاء، ليمنح فريق المدرب الصربي الإسباني فيليكو باونوفيتش الفوز على بوييلا بهدف نظيف. وبهذه الخسارة تجمد رصيد بوييلا عند 11 نقطة في المركز الثاني عشر، بفارق نقطتين خلف نيكاكسا صاحب المركز الـ11. وفي مباراة أخرى، تغلب فريق سان لويس على ضيفه مونتيري بهدف من دون رد، سجله ريكاردو تشافيز سوتو، مؤكداً أنه الفريق صاحب الأداء الأفضل على ملعبه، بستة انتصارات وتعادل واحد، وصعد سان لويس إلى المركز الخامس برصيد 20 نقطة بفارق نقطة واحدة خلف مونتيري صاحب المركز الرابع في الترتيب.

فيليز يستعيد توازنه في الدوري الأرجنتيني بالفوز على راسينغ

فاز فيليز سارسفيلد بهدف نظيف على راسينغ كلوب، ليؤكد أحقيته بصدارة جدول الدوري الأرجنتيني، بهدف حمل توقيع برايان روميرو. ليتجاوز الفريق صدمة الخسارة الأسبوع الماضي على يد روساريو سنترال بهدف نظيف، وحقق فيليز الانتصار الـ11 بعد مرور 17 جولة، ليصل إلى النقطة 36 ويعيد الفارق إلى خمس نقاط مع وصيفه أوراكان الذي فاز الجمعة الماضي (3-1) على سارمينتو. وفي مباراة أخرى مساء أول من أمس أيضاً، تغلب إنستوتوتو بهدفين نظيفين على سان لورنز، ليقفز إنستوتوتو إلى المرتبة الرابعة من الجدول بعد أن رفع رصيده إلى 28 نقطة. كما فاز جودي كروز بهدف من دون رد على خيمناسيا إي إسغريما، فيما قلب نيويلز أولد بويز تأخره بهدف إلى الانتصار (2-1) على لانوس، وكانت الجولة انطلقت الجمعة الماضي حين فقد أنوين فرصة المنافسة على اللقب هذا الموسم بعد سقوطه الدرامي على أرضه 2-0 أمام سنترال كوردوبا. ويشهد هذا الأسبوع ثلاث مواجهات أخرى مثيرة؛ إندبندينتي ضد ديبورتيفو ريفيستارا، وبلاتينسي أمام ريفر بليت، وبوكا جونيورز مع أرخنتينوس جونيورز، ويُسدل الستار على منافسات هذه الجولة بأربع مباريات؛ باراكاس سنترال أمام إندبندينتي ريفادابيا، وبانفيلد مع إستوديانتس، وديفينسا إي خوستيسيا ضد روساريو سنترال، وأتلتيكو توكومان في مواجهة تيغري.

عمورة يتألق بشكل لافت في الدوري الألماني

يُعتبر محمد الامين عمورة، من بين افضل اللاعبين العرب المحترفين في اوروبا

برلين ـ **العربي الجديد**

فرض لاعب منتخب الجزائر لكرة القدم، محمد الامين عمورة (24 عاماً)، نفسه نجماً في مباراة فريقه فولسبورغ، الذي واجه بوخوم في الأسبوع السادس من الدوري الألماني لكرة القدم، وقاد فريقه إلى الانتصار بنتيجة 3-2، ليرفع رصيده إلى سبع نقاط، إذ كان فريقه مطالباً بالانتصار حتى يتفادى الدخول في أزمة اتساع الفارق عن بقية الأندية.

وفرض عمورة نفسه بفضل صناعة الأهداف، فقد كان مساهماً بشكل مباشر في تسجيل فريقه هدفين، وكان «أسيست» الهدف الأول الأفضل، بعدما مرّر الكرة بطريقة فنية مميزة إلى زميله بخارج قدمه، مستعيداً أسلوب النجم الكرواتي لوكا مودريتش، الذي صنع الفارق في الكثير من المباريات بكرات مشابهة مكنت لاعبي ريال مدريد من تسجيل أهداف.

ونجح عمورة في صناعة أربعة أهداف منذ بداية الدوري الألماني، ووفق أرقام موقع أوبتا المختص في الإحصائيات، أصبح ثاني أسرع لاعب يصل إلى هذا الرقم في تاريخ الدوري الألماني، ولم يسبقه إلا لاعب فيردر بريمن السابق، البرازيلي دييغو، الذي صنع أربعة أهداف في مباراتين، ولكن عمورة يخوض موسمه الأول في «البوندسليغا»، وليس من السهل على أي لاعب الانسجام سريعاً مع ظروف الدوري الصعبة، قياساً بالدوري البلجيكي.

كما أن النجم الجزائري واجه صعوبات كبيرة قبل بداية الموسم، بعد الإصابة التي تعرّض لها، والتي جعلته يغيب عن عدد كبير من المباريات الودية، ويخسر وقتاً ثميناً كان سيُساعده في التعرف أكثر على قدرات فريقه، ولكنه نجح في التعافي سريعاً وافتك مكاناً أساسياً في هجوم الفريق مثلما كان متوقعاً، خاصة أن بداية فولسبورغ لم تكن مثالية في الدوري.

ونجح عمورة خلال المباراة السابقة في فكّ عقدة الأهداف، مدوناً اسمه في سجل الهدافين في الدوري الألماني، وأما أكثر ما يهم مهاجماً مثله، فإن تسجيل الأهداف مهم للغاية من أجل معنوياته، حتى يُؤكد أنه يستحق المبلغ الذي دفعته إدارة النادي من أجل الفوز بخدماته، إذ كسب النادي الألماني منافسة قوية من أجل التعاقد مع اللاعب الجزائري.

الجزائري صنع أربعة أهداف مع فولسبورغ الألماني

كما أن أداء عمورة في المباراة الأخيرة، سيُساعد كثيراً مع منتخب الجزائر، فقد غاب عن المباريات الأخرى بداعي الإصابة التي طاولته، وقد اختار المدرب عدم الاعتماد عليه، ولكن الآن سيختلف الوضع كثيراً، وسيكون عمورة ورقة مهمة عند المدرب فلاديمير بيتكوفيتش الذي سيحاول الاعتماد عليه مستغلاً قدراته في رحلة تأمين التأهل إلى نهائيات كأس أمم أفريقيا، المغرب 2025، من دون انتظار بقية المباريات. وقد اختار بيتكوفيتش خلال المعسكر الأخير، منح راحة لعمورة رغم أنه وجه إليه الدعوة في البداية، ولكنه قرر لاحقاً، عدم الاعتماد عليه وعاد إلى فريقه ليكمل العلاج حتى لا يتعرض لإصابة جديدة، وهذا القرار ساعد النجم الجزائري كثيراً بما أنه لعب بشكل جيد في المباريات الأخيرة، واستعاد مستواه السابق الذي ميّزه خلال تجربته مع فريق سانت جيلواز البلجيكي، ويمكنه أن ينسجامه أكثر مع الدوري الألماني وأسلوب لعب الأندية.

عمورة تألق مع فريقه (أوليفر كالكي/Getty)

مجاملة ديشان لمبابي تثير الغضب في برشلونة

آثار قرار ديشان، باستبعاد مبابي من قائمة «الديوك»، الغضب داخل نادي برشلونة

باريس ـ **العربي الجديد**

كشفت تقارير إعلامية إسبانية أن قرار مدرب منتخب فرنسا لكرة القدم، ديدييه ديشان (55 سنة)، المتمثل في استبعاد نجم فريق ريال مدريد الإسباني، كيليان مبابي، من قائمة «الديوك» المعنية بالتوقف الدولي لشهر أكتوبر/تشرين الأول الجاري، أثار الغضب داخل نادي برشلونة الإسباني، وذلك بسبب تفضيله إراحة لاعب النادي الملكي، وفي المقابل قرر استدعاء مواطنه جول كوندي، الذي يُدافع عن قميص النادي الكتالوني. ووفقاً للتفاصيل التي نشرتها صحيفة سبورت الكتالونية، فإن غياب مبابي عن معسكر المنتخب الفرنسي المقبل، أثار دهشة مسؤولي نادي برشلونة، وذلك رغم تماثله للشفاء من الإصابة التي تعرض لها في فخذه اليسرى خلال مباراة ديبورتيفو الأفيس، وعودته إلى المنافسة من جديد، بمشاركته في اللقاء السابق ضد فريق ليل الفرنسي في دوري أبطال أوروبا لكرة القدم، ومواجهة فياريال في مسابقة الدوري الإسباني لكرة القدم، واوضح ديشان في المؤتمر الصحافي، يوم الخميس الماضي، أن سبب الاستغناء عن مهاجم فريق باريس سان جيرمان الفرنسي كان بالاتفاق مع اللاعب نفسه، إذ قال في هذا الشأن: «تحدثت مع كيليان، لديه مشكلة ليست خطيرة ولكنها تتطلب عناية حتى يتعافى بشكل جيد، لست هنا للمجازفة». وأضافت الصحيفة أن مسؤولي نادي برشلونة يعتقدون بأن حجة ديشان في عدم استدعاء مبابي لمعسكر المنتخب الفرنسي المقبل ليست كافية من كل الجوانب، وفي المقابل، فإنهم لا يتقبلون عدم إراحة المدافع جول كوندي الذي شارك في أكثر من ألف دقيقة منذ انطلاق الموسم الكروي الجاري، ويرون في الوقت نفسه أن المدرب البالغ من العمر 55 عاماً، قد قدّم امتيازاً للاعب فريق ريال مدريد، بالرغم من أنه في حالة بدنية جيدة، وذلك بعد حصوله على التصريح الطبي ولعبه قبل أيام قليلة، علماً أن مبابي كان من المقرر أن يغيب عن الملاعب لمدة تتراوح ما بين أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع، قبل أن يستدعيه المدرب الإيطالي كارلو أنشيلوتي، لمواجهة ليل، ثم أشركه في الشوط الثاني من ذلك اللقاء بديلاً. وختمت الصحيفة تقريرها، بأن مبابي سيكون مستفيداً من استبعاده عن قائمة منتخب فرنسا، من أجل التعافي أكثر قبل جدول المباريات المزدحم خلال شهري أكتوبر الحالي ونوفمبر/تشرين الثاني القادم، وفي المقابل، فإن كوندي سيضيف دقائق أخرى مع كتيبة «الديوك» في رحلته إلى بودابست وبروكسل، قبل عودته إلى برشلونة في الـ16 من الشهر الجاري وخوض العديد من المباريات في فترة وجيزة، بما في ذلك مسابقة دوري أبطال أوروبا بملاقاة فريقي بايرن ميونخ الألماني والنجم الأحمر الصربي، وكذلك مباريات الليغا، في مقدمتها الكلاسيكو ضد ريال مدريد، والديربي ضد إسبانيول.

ديشان استبعد مبابي من قائمته الأخيرة (اليكس غريم/Getty)

من جهته، وجه باتريس إيفرا، ظهير أيسر منتخب فرنسا السابق، انتقاداً إلى ديشان، مدرب منتخب فرنسا، بعد استبعاد كيليان مبابي، من قائمته الأخيرة. وأشار المدافع السابق، إلى أن ديشان والاتحاد الفرنسي لكرة القدم، برغبان في الحفاظ على علاقة جيدة مع ريال مدريد. وأضاف إيفرا في تصريحات تلفزيونية: «إذا استدعيته وأصيب، فستتضرر علاقات مع فلورنتينو بيريز، ريال مدريد يختلف عن باريس سان جيرمان، ولا يمكنك تحمل هذا النوع من المخاطرة، ولكن بصراحة، أنتم من قام ببناء كل هذه الأسطورة حول مبابي، إلا أنه ما زال ليس في مستوى كريم بنزيمة مع كامل الاحترام له». وأردف: «إذا كنت مسؤولاً، لم أكن لأمنح شارة القيادة لمبابي في منتخب فرنسا، لقد أعطوا كل شيء لهذا اللاعب، كيف تتوقع منه أن يكون متحفزاً بعد ذلك». ويفتقد منتخب فرنسا لكرة القدم، عدداً مهماً من لاعبيه المؤثرين هجومياً، فبعد اعتزال الهداف التاريخي، أولفييه جيرو اللعب دولياً، بنهاية مشاركة فرنسا في بطولة أمم أوروبا، أعلن أنطوان غريزمان اعتزاله اللعب أيضاً في بداية هذا الأسبوع، في وقت سيغيب فيه مبابي عن المعسكر، ما يعني أن فرنسا خسرت خدمات مهاجمين من أعلى طراز.

رياضة

تقرير

تحدث المدرب مايك ديغبي، الذي عمل مع الثلاثي التاريخي في عالم التنس، وهم السويسري روجر فيدرر، والإسباني رافاييل نادال، والصربي نوفاك ديوكوفيتش، عن هوية أفضل لاعب مرّ على رياضة كرة المضرب خلال السنوات الماضية، بعدما كشف بعض الأسرار عن حياة هؤلاء النجوم

أعظم نجم بتاريخ التنس

ديوكوفيتش يتحدث مع نادال وفيدرر في بطولة كاس ليفر (جوليان فيني/Getty)

لندن ـ **العربي الجديد**

لم يتوقف التنافس نهائياً بين النجم السويسري روجر فيدرر والإسباني رافاييل نادال والصربي نوفاك ديوكوفيتش على لقب أعظم نجم في تاريخ رياضة التنس، بعدما عاش الثلاثي أفضل لحظات حياتهم خلال السنوات الماضية عبر التنافس في ما بينهم وتحقيق جميع الألقاب الممكنة في كرة المضرب.

ورغم أن السويسري روجر فيدرر أعلن اعتزاله في عام 2022، لكن اسمه دائماً ما يظهر إلى جانب منافسيه: الإسباني رافاييل نادال والصربي نوفاك ديوكوفيتش، على لقب أعظم لاعب في تاريخ التنس، لكن المدرب مايك ديغبي أبدى رأيه في هذه القضية، بعدما عمل مع الثلاثي الأبرز في كرة المضرب خلال السنوات الماضية وساهم بتحقيقهم العديد من الألقاب، خاصة في «الغراند سلام»، وفق ما ذكرته صحيفة ميرور البريطانية.

ديوكوفيتش صاحب الأرقام القياسية في رياضة التنس

وصحيح أن الأرقام تقف إلى جانب الصربي نوفاك ديوكوفيتش، الذي يعتبره الكثيرون أعظم نجم في تاريخ التنس بعدما حقق 24 لقباً في البطولات الأربع الكبرى بالإضافة إلى حصده الميدالية الذهبية في دورة الألعاب الأولمبية التي أقيمت في العاصمة الفرنسية باريس خلال الصيف الماضي، لكن ذلك لا يمنع أن رافاييل نادال لديه 22 لقباً في «الغراند سلام» و20 لقباً بالنسبة إلى السويسري روجر فيدرر.

ومع ذلك، هناك عدد من التأثيرات الأخرى التي قد تؤدي إلى اختيار أعظم نجم في تاريخ التنس، بعدما قام المدرب مايك ديغبي بدراسة مجموعة من الأمور حتى يختار، بحسب وجهة نظر أسطورة رياضة كرة المضرب الأول بلا منازع، بين الثلاثي الكبير (السويسري روجر فيدرر، والإسباني رافاييل نادال، والصربي نوفاك ديوكوفيتش).

وقال المدرب مايك ديغبي: «الأمر صعب، لأن الثلاثي لديهم شخصيات قوية للغاية، سواء عند دخولهم الملعب أو في حياتهم اليومية، بالنسبة إلى السويسري روجر فيدرر، فإن أي شخص يمكنه الشعور بالسعادة أثناء متابعة المواجهات التي خاضها سابقاً، ولديه طريقة فريدة في تسديد الكرات وضربها، بالإضافة إلى الأناقة التي يتمتع بها، والسلوك الرائع الذي يمتلكه، إنه لاعب فريد برأيي ولن يتكرر نهائياً. ببساطة نجم يمتلك كل شيء، ولديه هدوء بشكل غير طبيعي، رغم أنه كان يتعرض للضغط أمام منافسيه، لكن دائماً ما كنا نشاهد تلك الابتسامة».

وحول نادال، أجاب المدرب مايك ديغبي قائلاً: «رافا شخص يجب الاستماع إليه عندما يتحدث، لأن لديه شخصية قوية للغاية، وعندما يخوض المواجهات دائماً ما يُنفس عن غضبه أو عصبيته عبر صوته الذي يظهره، ولديه ضربات قوية للغاية بفضل حركات قدميه والركض المستمر دائماً في الملعب، وهذا أمر تميز به الإسباني دائماً في جميع البطولات التي خاضها خلال السنوات الماضية».

أما عن الصربي، فأوضح المدرب مايك ديغبي قائلاً: «استطاع نوفاك ديوكوفيتش التعلم من روجر فيدرر ورافاييل نادال، واستمد قوة شخصيته منهما. صحيح أن لديه بعض الغطرسة، لكنني أحبها جداً فيه، وهذا ليس تعليقاً سلبياً على الإطلاق ضده، بل العكس تماماً، لأنه إن لم يُظهر تلك الشخصية فلن يكون على حقيقته نهائياً، وهذا ما يجب أن يكون عليه، ويظهره في جميع البطولات التي يشارك بها».

وعند سؤال المدرب ديغبي عن النجم الأكثر تكاملاً بين الثلاثي التاريخي في رياضة التنس، أجاب: «سأختار الصربي كأعظم نجم على الإطلاق في رياضة كرة المضرب، وأتحدث هنا من واقع تجربتي معهم جميعاً، والأرقام والبيانات تكشف لنا الكثير، رغم أن السويسري أعلن اعتزاله في عام 2022، لكن ذلك لا يمنع وجوده ضمن هذه المقارنة الصعبة».

ورغم أن النجم الصربي نوفاك ديوكوفيتش حقق الميدالية الذهبية في دورة الألعاب الأولمبية 2024، التي أقيمت في العاصمة الفرنسية باريس هذا الصيف، لكنه عاش عاماً صعباً للغاية في البطولات الأربع الكبرى «الغراند سلام» في الموسم الحالي، بعدما فشل في الدفاع عن ألقابه في بطولة أستراليا المفتوحة ورولان غاروس وبطولة أميركا المفتوحة للتنس، التي حققها في العام الماضي، وخرج خالي الوفاض منها جميعاً. وكان نوفاك ديوكوفيتش قد خسر في نصف نهائي بطولة أستراليا المفتوحة هذا العام، أمام الإيطالي يانيك سينر، الذي حقق اللقب في النهاية، قبل أن يتعرض للهزيمة على يد كاسبر رود في ربع نهائي «رولان غاروس»، عقب معاناة الصربي من إصابة في الركبة، كما ودّع نوفاك بطولة أميركا المفتوحة للتنس من الدور الثالث على يد منافسه أليكسي بوبيرين.

يذكر أن شبكة سبورتس كيدا البريطانية أكدت، في شهر سبتمبر/ أيلول الماضي، أن ديوكوفيتش يفتقد كثيراً المنافسة مع نادال وفيدرر في بطولات التنس، حتى أنه صدم جماهير رياضة كرة المضرب بعدما قال في تصريحاته: «لا أسعى للحصول على مكان في قائمة اتحاد لاعبي التنس المحترفين ولا نهائيات الماسترز، هذه ليست أهدافي بصراحة، لأنني أنهيت مسيرتي في بطولات أخرى، ولا أعرف ما إذا كنت سأشارك فيها في المستقبل أم لا». وأوضحت الشبكة أن تصريحات ديوكوفيتش الأخيرة تعني تفكيره جدياً في إنهاء مسيرته الاحترافية بعالم التنس، بعدما حقق كل الألقاب الممكنة، وآخرها حصده الميدالية الذهبية في دورة الألعاب الأولمبية التي أُقيمت في العاصمة الفرنسية باريس هذا الصيف، لكن المشكلة الحقيقية تكمن في أن معظم أبناء جيله من لاعبي كرة المضرب قرروا الاعتزال، أو يعاني الآخرون من إصابات، مثل الإسباني رافاييل نادال. وأضافت الشبكة أن قضية اعتزال فيدرر شكّلت صدمة بالنسبة إلى نوفاك، لأنه كان أحد منافسيه الرئيسين في التنس، لكن الأمر زاد صعوبة على النجم الصربي، بعدما ابتعد نادال عن الملاعب بسبب الإصابات.

بطولة كأس ديفيز

تشهد بطولة كأس ديفيز للتنس تغييرات أخرى في نظامها بإعادة إقامة المباريات بنظام الذهاب والإياب بداية من نوفمبر/ تشرين الثاني القادم. وخضعت البطولة التاريخية للعديد من التغييرات في السنوات الأخيرة، حيث كان أحدث شكل لها هو إقامة مرحلة المجموعة عقب بطولة أميركا المفتوحة مباشرة. واختار اتحاد التنس الدولي الرجوع لإقامة المباريات بنظام الذهاب والإياب، حيث ستنضم الفرق السبعة الفائزة للفريق المنظم بحدث يضم الفرق الثمانية الأخيرة.

وجه رياضي

عبد القادر خوسانوف

تألق المدافع الأوزبكي الشاب عبد القادر خوسانوف في بداية الموسم الحالي مع فريقه لانس بمسابقة الدوري الفرنسي

باريس ـ **العربي الجديد**

بعد التعاقد مع المدافع الشاب والواعد عبد القادر خوسانوف حتى عام 2027، نجح لانس في ضمّ لاعب قوي بدنياً، الذي بات أول لاعب من أوزبكستان يلعب في مسابقة الدوري الفرنسي. «إنه لاعب كبير يتمتع بإمكانات معينة، وهو الآن لاعب دولي في المنتخب الأول، سيتم صقله على المدى الطويل»، هكذا أعلن نادي لانس عن وصول المدافع عبد القادر خوسانوف في 24 يوليو/ تموز من عام 2023. وقدم المدافع الواعد من نادي إنيرجيتيك-بي جي يو البيلاروسي مقابل 100 ألف يورو، حيث أمضى موسماً بعدما تدرب في بونيودكور، وهو ناد تاريخي في بلاده ضمّ في صفوفه سابقاً البرازيلي ريفالدو في عام 2008. وبعد أن كان اختياراً احتياطياً في البداية، فرض عبد القادر خوسانوف نفسه في الفترة الماضية رغم قوة المنافسة التي يجدها. وأبدى مدربه السابق في لانس فرانك هايز إعجابه به أيضاً بقوله: «لم أكن أعرفه من قبل، لقد اكتشفت ذلك أخيراً، وعندما رأيت الصور، بالنسبة للاعب يبلغ من العمر 19 عاماً، يبدو وكأنه يبلغ من العمر 25 عاماً عندما يلعب، لكنه بالتأكيد يبلغ من العمر 19 عاماً.. إنه قادر على القيام بأشياء مثيرة للاهتمام حتى لو لم تكن لديه كل مبادئنا في بداية التجربة. لكنه فاجأ اللاعبين في الأسبوع الأول، لم يتوقعوا أن يكون بهذا المستوى. إنه قوي وهادئ ويعرف كيفية استخدام الكرة». وصل عبد القادر خوسانوف إلى لانس بعد نهائيات كأس العالم تحت 20 سنة 2023، حيث بلغت أوزبكستان دور الـ16، وشارك أيضاً في كأس آسيا في يناير/ كانون الثاني الماضي. وهو لا يزال مهماً في منتخب بلاده، حيث ساعد «الذئاب البيضاء» في الوصول إلى ربع النهائي قبل الهزيمة بركلات الترجيح أمام منتخب قطر، كما شارك في دورة الألعاب الأولمبية 2024 مع منتخب بلاده التي انتهت بالإقصاء من دور المجموعات، ورغم ذلك فلقد كان عاماً مميزاً بالنسبة لعبد القادر خوسانوف الذي تعلم الكثير دون أن يكون مخيباً للآمال على الإطلاق. هذا الموسم كان من المفترض أيضاً أن يستغل رحيل كيفن دانسو ليصبح أساسياً، ولكنه استفاد من المباريات التي شارك فيها رغم بقاء دانسو. وعند وصوله هذا الصيف ليحل محل فرانك هايز، انبهر المدرب ويل ستيل بشكل كبير بقدراته، وقال: «إنه هادئ، قوي، يتحرك بسرعة، إنه مميز! إنه لا يتحدث كثيراً، لكنه جيد. في البداية، أذهلتني رؤية قوته البدنية. عندما وصلت إلى النادي وكان رحيل دانسو في الأفق، قال لي جان لويس ليكا: لا تقلق، هناك بديل وهو جاهز، إنه جيد».

صورة في خبر

رونالدو يريد دي بروين

كشفت تقارير إعلامية بريطانية أن النجم البرتغالي كريستيانو رونالدو (39 عاماً) حثّ إدارة فريق النصر السعودي على التعاقد مع صانع ألعاب منتخب بلجيكا ونادي مانشستر سيتي الإنكليزي كيفن دي بروين (33 عاماً)، في صفقة انتقال حر خلال سوق الانتقالات الصيفية المقبلة، وذلك من خلال تقديم عرض مالي خيالي يصعب رفضه، واستغلال اقتراب نهاية عقده مع النادي السماوي في 30 يونيو/حزيران القادم. ووفقاً للتفاصيل التي نشرتها صحيفة ذا صن البريطانية، فإن رونالدو معجب كثيراً بما يقدمه دي بروين، وقدّم طلباً لمسؤولي فريق النصر.

على هامش الحدث

جائزة اليابان الكبرى: بانيايا يشدد الخناق مجدداً على مارتين

شدَّد دراج دوكاتي الإيطالي فرانتشيسكو «بيكو» بانيايا، بطل العالم في العامين الأخيرين، الخناق مجدداً على دراج بريما براماك ريسينغ الإسباني خورخي مارتين المتصدر عندما أحرز المركز الأول في سباق جائزة اليابان الكبرى، المرحلة الـ16 من بطولة العالم للدراجات النارية فئة موتو جي بي، على حلبة «توين رينغ» في مدينة موتيجي. وسيطر بانيايا الذي ظفر بسباق السرعة، على مجريات السباق بالكامل، بعد أن خطف المركز الأول منذ الانطلاقة من الشاب الإسباني الواعد بيدرو أكوستا (غاس غاس-تيك 3) أول المنطلقين للمرة الأولى في مسيرته الاحترافية، قبل أن ينسحب في اللفة 13، بسبب سقوطه عند أحد المنعطفات على غرار ما حصل له في سباق السرعة. ونجح أكوستا في الوقوف واستئناف السباق من المركز الأخير، لكنه لم يتأخر في انسحابه. وقطع بانيايا مسافة السباق بزمن 42:09,790 دقيقة، متقدماً بفارق 1,189 ثانية على مارتين الذي قدَّم سباقاً رائعاً أنهاه في المركز الثاني، بعدما انطلق من المركز الـ11، في وقت كان فيه المركز الثالث من نصيب دراج دوكاتي بطل العالم ست مرات الإسباني الآخر مارك ماركيس.

بطولة السعودية: النصر يتابع نتائجه الإيجابية بإشراف بيولي

تابع النصر سلسلة انتصاراته، بقيادة مدربه الجديد الإيطالي، ستيفانو بيولي، بتحقيق فوزه الخامس توالياً في مختلف المسابقات على حساب ضيفه العروبة بثلاثية نظيفة، ضمن منافسات المرحلة السادسة من الدوري السعودي لكرة القدم. ورفع النصر رصيده إلى 14 نقطة في المركز الثالث. وهي المباراة الخامسة التي يخوضها النصر بإشراف بيولي الذي تسلّم منصبه في 18 سبتمبر/ أيلول الماضي، خلفاً للبرتغالي لويس كاسترو، في مختلف المسابقات وفاز بها جميعها. واستعاد التعاون نغمة الانتصارات، إثر فوزه على حساب ضيفه الفتح بهدفين نظيفين، وقفز التعاون إلى المركز الخامس برصيد 10 نقاط، بينما واصل الفتح مسلسل الهزائم، وتذيل جدول الترتيب برصيد 3 نقاط. وصالح التعاون أنصاره بعد الخسارة المفاجئة على ملعبه أمام فريق القوة الجوية العراقي (2-1)، ضمن منافسات الجولة الثانية من بطولة دوري أبطال آسيا 2، التي يشارك فيها الفريق، بصفته صاحب المركز الرابع في الدوري السعودي الموسم الماضي. وفي المقابل استمرت النتائج المخيبة لفريق الفتح منذ انطلاق الموسم الحالي، وتلقى الخسارة الخامسة له.

سبورت: أنسو فاتي ربما يرحل عن برشلونة مجدداً في ميركاتو الشتاء

كشفت صحيفة سبورت الكتالونية أن مهاجم برشلونة، أنسو فاتي، يمتلك خياراً لمغادرة النادي في شهر يناير/كانون الثاني المقبل، للبحث عن مواصلة اللعب، الأمر الذي يفتقده داخل قلعة البلاوغرانا حالياً. وأوضحت الصحيفة أن محيط أنسو فاتي تواصل مع إدارة النادي بهذا الخصوص، حيث يرغب اللاعب في الانتقال لناد آخر، نظراً لعدم حصوله على دقائق كثيرة للعب مع النادي الكتالوني. وأضافت «اللاعب لديه عرض من إشبيلية للانتقال إليه على سبيل الإعارة لستة أشهر»، ورغم إيمان الجهاز الفني تحت قيادة هانسي فليك بقدراته، فإن الإصابة التي ألمت به الصيف الماضي وأثرت بحضوره في مباريات الفريق الودية استعداداً للموسم، انعكست على مشاركاته الضئيلة حالياً. ولا يرغب النادي نفسه في أن يفقد اللاعب شغفه داخل المستطيل الأخضر، إذ إن موسماً صفرياً له ربما يعرض مستقبله للخطر، خصوصاً أن عقده مع النادي الكتالوني مستمر حتى صيف 2027. وكان المهاجم الشاب، أنسو فاتي، الذي سيُكمل هذا الشهر عامه الـ22، قد لعب أيضاً معاراً إلى صفوف نادي برايتون الإنكليزي خلال الموسم الماضي، وبالتالي من الممكن أن يخوض تجربة احترافية جديدة خارج بطولة الدوري الإسباني.

هوامش

وفقاً لدراسة نشرت في مجلة Alzheimer›s & Dementia، كان مثبط ببتيد يسمى RI-AG03 فعّالاً في منع تراكم بروتينات تاو في كل من الدراسات المعملية والتجارب التي أجريت على ذبابة الفاكهة

ما زال الدواء في مرحلة تجريب غير بشرية (البرت كوشيليف/ Getty)

مرض ألزهايمر

دواء واعد قد يساهم في العلاج

محمد الحداد

حقّق فريق بحثي دولي تقدّماً واعداً في تطوير أدوية لعلاج مرض ألزهايمر لأول مرة، إذ طور العلماء دواءً يعمل على كل من «النقاط الساخنة» الرئيسية التي تعزّز التجمع لبروتين تاو في الدماغ، وهو بروتين ضار يعدّ المحرك الرئيسي لمجموعات أمراض التنكس العصبي التي ينتمي إليها ألزهايمر. وفقاً لدراسة نشرت يوم الثالث من أكتوبر/ تشرين الأول الحالي في مجلة Alzheimer›s & Dementia، كان الدواء المقترح، وهو مثبط ببتيد يسمى RI-AG03، فعّالاً في منع تراكم بروتينات تاو في كل من الدراسات المعملية والتجارب التي أجريت على ذبابة الفاكهة.

يوضح المؤلف الرئيسي للدراسة أنتوني أغيديس (Anthony Aggidis)، باحث ما بعد الدكتوراه السابق في جامعة لانكستر والباحث الزائر في جامعة ساوثهامبتون: «يمثل بحثنا خطوةً مهمة نحو ابتكار علاجات يمكنها منع تطور أمراض مثل مرض ألزهايمر. من خلال استهداف كل من المنطقتين الرئيسيتين في بروتين تاو، يمكن أن يساعد هذا النهج الفريد في معالجة التأثير المتزايد للخرف على المجتمع، ما يوفر خياراً جديداً مطلوباً بشدة لعلاج هذه الأمراض المدمرة».

وفقاً لتصريحات أغيديس لـ«العربي الجديد»، فإن بروتينات تاو تلعب دوراً حاسماً في الحفاظ على بنية ووظيفة الخلايا العصبية في المخ؛ لكن في حالة مرض ألزهايمر تتعطل هذه البروتينات، فتتكتل معاً لتكوين ألياف طويلة ملتوية. ومع تراكم الألياف، فإنها تخلق ما يسمى بالتشابكات العصبية الليفية، وهي كتل من بروتينات تاو الملتوية التي تسد الخلايا العصبية، وتمنعها من الحصول على العناصر الغذائية والإشارات التي تحتاجها للبقاء. مع موت المزيد من الخلايا العصبية، تصبح الذاكرة والتفكير والسلوك معوقة بتزايد، ما يؤدي إلى التدهور المعرفي الذي تظهر آثاره في صورة مرض ألزهايمر.

يضيف المؤلف الرئيسي للدراسة أن هناك نقطتين ساخنتين محددتين لحدوث تكتلات بروتين تاو؛ وفي حين تستهدف العلاجات الحالية واحدة من هذه النقاط الساخنة فقط، يستهدف الدواء المقترح ويمنع كليهما: «هناك منطقتان من بروتين تاو تعملان مثل المغناطيس لتمكينه من التكتل. ولأول مرة، لدينا دواء فعال في تثبيط هاتين المنطقتين. إن آلية الاستهداف المزدوج هذه مهمة لأنها تعالج كلا المجالين اللذين يحفزان تجميع تاو، ما يمهد الطريق لعلاجات أكثر فعالية للأمراض العصبية التنكسية مثل ألزهايمر»، يقول أغيديس.

يلفت الباحثون إلى أن سمية بروتين تاو مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقدرته على تكوين الكتل، لذلك من خلال تثبيط هذه التكتلات، يتوقع الفريق البحثي أن يتوصل إلى تأثيرات مرغوبة. وفي حين أن مثبطات التكتل الحالية لها العديد من الآثار الجانبية لأنها يمكن أن تتداخل مع وظائف العديد من البروتينات الأخرى، فإن الدواء المقترح صُمّم خصّيصاً لمكافحة بروتين تاو، ما يعني أنه أقل عرضة للتفاعل غير المرغوب فيه مع البروتينات الأخرى، ومن ثم فإن النهج القائم على الببتيد يعد أكثر أماناً، مع آثار جانبية أقل.

لاختبار فعاليته في الخلايا داخل الكائن الحي، أعطى الباحثون الدواء لذباب الفاكهة التي تحتوي على بروتين تاو الممرض. وبالنظر في أدمغة ذباب الفاكهة، وجد الباحثون أن الدواء يثبط التنكس العصبي ويطيل عمر الذباب بنحو أسبوعين، وهو امتداد كبير بالنظر إلى عمر الحشرات. «عندما لم نحقن الذباب بمثبط الببتيد، كان لديه كثير من الألياف المسببة للأمراض، التي تتجمع معاً لتكوين تشابك. ولكن عندما حقناه بالدواء، انخفضت الألياف المسببة للأمراض كثيراً في الكمية. وكلما زادت الجرعة المعطاة، زاد التحسن الذي رأيناه في عمر ذبابة الفاكهة»، يضيف أغيديس.

كما اختبر الباحثون الدواء في خلية استشعار بيولوجي، وهو نوع من سلالات الخلايا البشرية الحية المصممة للكشف عن تكوين ألياف تاو المسببة للأمراض، ووجدوا أن الدواء اخترق الخلايا بنجاح وقلل من تراكم بروتينات تاو. يقول الباحث: «من المهم أن نلاحظ أن الدراسة في مراحلها المبكرة، لذلك لا نعرف بعد ما إذا كانت ستنجح أو ستكون آمنة للبشر، لكنها تطور مثير ونتطلع إلى معرفة إلى أين ستقودنا». ويعتقد الفريق أن عملهم سيكون له تأثير كبير على جهود اكتشاف الأدوية في مجال الأمراض التنكسية العصبية ويخططون الآن لاختبار RI-AG03 في القوارض، قبل الشروع في التجارب السريرية على البشر.

باختصار

من خلال استهداف كل من المنطقتين الرئيسيتين في بروتين تاو، يمكن أن يساعد هذا النهج الفريد في معالجة التأثير المتزايد للخرف على المجتمع

■■■

وجد الباحثون أن الدواء يثبط التنكس العصبي ويطيل عمر الذباب بنحو أسبوعين، وهو امتداد كبير بالنظر إلى عمر الحشرات

■■■

اختبر الباحثون الدواء في خلية استشعار بيولوجي، وهو نوع من سلالات الخلايا البشرية الحية المصممة للكشف عن تكوين ألياف تاو المسببة للأمراض

وأخيراً

«جوكر» عاشقاً

محمود الرحبي

يرمز قناع الجوكر إلى الإضحاك والتنكيت، ولكن ماذا لو صار قناعاً للقتل؟... حقق الجزء الأول من فيلم «جوكر» (من إخراج تود فيليبس وإنتاجه 2019) نجاحاً واسعاً وإيرادات تجاوزت المليار دولار، وترشّح لأكثر من 11 جائزة أوسكار، ففاز بطله فينيكس خواكين بجائزة أفضل ممثّل. أمّا في الجزء الثاني الذي يعرض حالياً، وتشارك في البطولة النجمة الغنائية ليدي غاغا، التي أضفت على الفيلم بُعداً استعراضياً غنائياً، فتميّز هذا الجزء بكثرة الفقرات الراقصة والغنائية، التي أدّاها البطلان، وفي بعضها بصوت واحد. كما طغت ثيمة السخرية على الفيلم، وهذة المرّة بقهقهات «جوكر» العالية، إلى جانب مشاهد عديدة يظهر فيها وهو يُدخّن في كلّ مكان، سواء في المصحّة أو في المحكمة أو حتّى أثناء المقابلات الشخصية، ما يُدلّل على أنّ فضاء الفيلم ينتمي إلى فترة قديمة نسبياً شهدت تسامحاً كاملاً مع عادة التدخين. يُعزّز هذه الفرضية الديكور والملابس التي تنتمي أيضاً إلى ما بين الخمسينيّات والسبعينيّات.

جاء هذا الجزء ليكمل مآلات الجزء الأول، الذي انتهى فيه «جوكر» إلى قتل خمسة أشخاص، أحدهم على الهواء مباشرةً، حين وجّه المسدس إلى رأس مُقدّم برنامج حواري، أدّى دوره حينها النجم روبرت دي نيرو. يظهر جوكر في هذا الجزء في مصحّة نفسية تابعة للسجن، يُحتَجز فيها إلى حين محاكمته، إذ يصرّ المُدَّعي العام على الحكم عليه بالإعدام. إلى جانب تميّز الفيلم بكثرة الفقرات الغنائية والقهقهات التي يطلقها «جوكر» في وجه أيّ ضحّة نفسية عنيفة تواجهه، يتميّز أيضاً ببعده النفسي العميق، وهدوء عرضه، قياساً بالشحنات الميلودرامية التي صاحبت الجزء الأول منه.

رغم أنّ هذا الجزء يتخلّله أيضاً مشهد حريق وانفجار، إلا أن ذلك يجري في السياق الطبيعي للأحداث. يتعلّق الصراع النفسي الذي يعيشه بطل الفيلم بتبرير اندفاعه إلى جرائمَ ثابتةٍ موصوفةٍ لا تحتاج دليلا، وإن كانت دوافع القتل جاءت في أغلبها دفاعاً عن نفسه في وجه مُهاجِمين، سواء كان هؤلاء المهاجِمون مُباشِرين، كما في محطّة المترو، وفي مقرّ عمله، أم كان الهجوم بالكلام والسخرية، كما حدث له مع مُقدّم البرنامج الحواري. يعترف «جوكر» أيضاً في المحكمة بأنّ ثمّة شخصاً سادساً قتله هو وأمّه حين كان يرعاها في المستشفى، فخنقها بوسادتها ليظهر موتها طبيعياً، خاصّة أنّها كانت قبل مقتلها في ساعة احتضار. لم يقتنع «جوكر» بمرافعات محاميته، فطلب من القاضي أن يكون محامي نفسه، لنتبيّن من اعترافاته الراقصة (وكأنّه يستعين بالرقص للتخفيف من وقع تذكّرها) أنّه عاش طفولةً قاسيةً، وطلبت منه أمّه أن يرتدي قناع جوكر كي يُضحِك الناس، ولكنّ ما حدّث أنّه ارتداه كي يُخفي آلامه، هذه الآلام التي لا تلبث أن تظهر وتتعرّى شرسةً حين تتعرّض الشخصية إلى امتهان وإهانة. حتّى في مصحّة السجن، حين تعرّض «جوكر» لإهانات من السجّانين، جاءته رغبة القتل، ولأنّه مُقيَّد لم يتمكّن من تنفيذ جرائمه إلا خيالاً.

> الصراع بين القناع الاجتماعي وحقيقة المرء هو البنية العميقة لفيلم «جوكر» في جزئه الثاني

لم تضع الفقرات الغنائية التي رافقت الفيلم (على كثرتها) المُشاهدَ في حالة من الملّل، وذلك بسبب الصوت الجميل للفنانة ليدي غاغا، الذي جاء في بعضه أوبرالياً عاليَ النبرة. ولكن ما ميّز هذا الجزء أنّ «جوكر» للمرّة الأولى في حياته يحظى بعشيقة تفهمه، حتّى إنهما اتفقا على الزواج. يتشبّث جوكر بالحياة ويشرع بالدفاع عن نفسه حين ضمن أنّ الفتاة تبادله الشعور نفسه بالحُبّ. ومع تقدّم الفيلم، ينكشف أنّ هذا الحُبّ لم يكن للشخص الأصلي إنّما لـ«جوكر» في قناعه. وذلك لأنّه حين قرّر في المحكمة أن يتخلّى عن قناعه ويظهر شخصيته الحقيقية، تخلّى عنه الجميع بمن فيهم حبيبته. أمام هذه الصدمة قرّر في النهاية الاستسلام لقرار المُدَّعي العام بإعدامه، وسيذهب بذلك إلى نهايته مرتاحاً من عدم خسران شيء في عالم لا يرى فيه سوى أداةً للضحك، غيرَ حافلٍ بشخصيته الحقيقية ومشاعره الصادقة.

الصراع بين القناع الاجتماعي وحقيقة المرء هو البنية العميقة للفيلم، الذي حافظ في جزئه الثاني على قيمته ومتعته، بأداء ممثّلٍ عبقري عجيب.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **دينارات**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**